الآداب
مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر
تصدر عن دار العلم للملايين - بيروت

أصحاب الامتياز
منير البعلبكي - سهيل ادريس - بهيج عثمان

المدير المسؤول: بهيج عثمان
رئيس التحرير: الدكتور سهيل ادريس

العدد الثامن
آب (اغسطس) ١٩٥٤
السنة الثانية

ص.ب ١٠٨٥ - تلفون ٢٤٥٠٢

No. 8 - Aout 1954
2ème Année

Directeur BAHIJ OSMAN
Rédacteur en chef : SOUHEIL IDRISS

AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH - LIBAN B.P. 1085
Tél. 24502

الشباب ثروة وثورة

بقلم ميخائيل نعيمه

كتبت إليّ صحيفة عراقية تطلب كلمة توجيه مني الى الشباب العربي. فأجبتها بما يلي:

« ليس الشباب في حاجة الى من يوجّهه. فالقوى الهائلة التي يزخر بها كيانه هي الكفيلة بتوجيهه في السبيل المعدّ له. وإنما حاجة الشباب الى من يحميه من موجّهيه الذين يحاولون ابداً ان يكمّوا فاه، ويكبّلوا يديه ورجليه، ويسكبوا الماء البارد على الحماسة المتأججة في صدره، ويزرعوا الذعر والخنوع في فكره وقلبه. اولئك، في الغالب، هم رجال السياسة، ورجال الدين، والآباء والأمهات، والمعلمون والمعلمات الذين يعيشون في قلق دائم من ثورة الشباب على ما رثّ من تقاليدهم، وما بلي من اساليبهم، وما تعفّن من معتقداتهم. ولذلك لا ينفكون يقيمون السدود والحواجز في وجه تفتّح الشباب وانطلاقه. وهم إذ يفعلون ذلك لا يدركون الى أي حدّ يجرمون بحق انفسهم وحق الشباب.

فمثلما لا خير في ارضٍ ربيعها خريف او شتاء كذلك لا خير في امّة شبابها كهولة او شيخوخة. وإنه لمن الاثم الذي لا يُغتفر ان نمسك على الشباب حرية الافصاح عما في كيانه من قوىً تتحفز للوثوب، فنجعله يدبّ حيث يستطيع ان يطير، ونجعله يتردد حيث يطلب الانطلاق. فالشباب ربيعنا، ومن حقنا ان ننعم به متفجراً من اعماقنا كما ننعم بالربيع متفجراً من احشاء الأرض، فلا نحوّل ورده قطرباً، وياسمينه عوسجاً، وبلابله غرباناً، ونسوره بوماً. وذلك ما نفعله بالتمام عندما نحرم الشباب حرية التعبير عن نفسه إن بالقول وإن بالفعل؛ ثم نحصره في قوالب صلبةٍ، قاسية لا تلبث ان تضيق به فتنشقق وتتطاير شظايا تدميه وتدمينا بالسواء. وقد تهلكه وتهلكنا. »

تلك هي الكلمة التي بعثت بها الى الصحيفة العراقية وهي، كما ترى، مقتضبة كل الاقتضاب. تنقر باب الموضوع ولا تلجه. وإن هي ولجته فلتتناوله بلمحةٍ خاطفة لا تنقع غليل الشباب ولا غليلي. فمن حق الشباب عليّ، وعلينا اجمعين إذا نحن تحدثنا عنه ان نتحدث بخشوع العابد ورهبة الواقف امام سر عظيم. وأي سر أعظم من سر التجدد الأبدي الصاعد بنا جيلاً بعد جيل، وعلى مدى الدهر، من الحيوان فينا الى الانسان، ومن الانسان الى ما فوق الانسان — الى الله؟ ذلك هو التجدد الذي لولاه لكنا ما نزال حتى اليوم في المغاور والكهوف، ولما كانت لنا هذه المدنيات والحضارات نشيدها ثم نهدمها، ثم نشيدها ثم نهدمها، الى ان نبلغ بها الغاية التي من اجلها وُجدنا واليها نسعى في كل لحظة من وجودنا، عن وعيٍ منا وعن غير وعي — وأعني معرفة كل شيء والقدرة على كل شيء. ونحن مدينون بهذا التجدد للشباب اولاً وآخراً.

وانا إذ أعزو شرف التجدد ومجده وجماله الى الشباب دون غيره من ادوار الحياة، فلست اقصد ان أقلل من شأن الطفولة والصبا، والكهولة والشيخوخة في بنيان الحياة البشرية. ولكن شأن هذه دون شأن الشباب بكثير. لان الشباب هو المتن، وتلك مقدماته وحواشيه وخواتيمه. هو النور وهي الظل. هو الدور الذي فيه تستكمل الحياة البشرية جميع

معدّاتها ومقوّماتها من ذخائر جسدانية وروحانيـة . فاللحم والدم يزخران بالحرارة والحركة . والعقل في ثورة عـلى كل مجهول . والخيال نشيط ووثاب . والقلب في عطش قتـال وجوع مضنك الى الحب والعدل والحرية . والارادة صلبـة ، قحّامة . والايمان بالنفس وقدرتها على مغالبة الصعاب قويّ ، وطيد .

لعل اكبر عقبة في طريق الناس الى التجدد والتقـدم هي انهم يألفون على التمادي نمطاً من العيش الى حد ان يعتبروه غير قابل للتغيير والتحسين . بل إلى حد ان يعتبروا كل تغيير فيه خروجاً على النظام وتصدعاً في بنيان حيـاتهم ، وبالتالي خطراً جسيماً على راحتهم وبقائهم . فحالهم من هذا القبيل هي حال العصفور يألف قفصه ، والبهيمة زريبتها ، والنحلة خليتها . ذلك هو شأن الجماهير في كل زمان ومكان . ولولا قـلة من الناس تتطلع ابداً الى ابعد من عيدان أقفاصها ، وسياجات زرائبها ، وتخاريب خلاياها لما خطت البشرية خطوة واحدة الى الامام .

تلك القلة هي ، في الغالب ، من صفوف الشباب الذي يطل على الحياة بعينين ما اختطف بريقهما الملل من تكرار المشاهد ، وبفكر ما كبّلته التقاليد ، وبعزيمة ما أنهكتها المعارك ولا شلها الخوف من الفشل والهزيمة .

إن ثورة الشباب هي في صفاء بصره وبصيرته ، وفي مضاء عزيمته ، وفي ثورته على الركود والجمود ، وعلى القيود والسدود . وهذه الصفات هي التي تميز الشباب من غير الشباب ، والتي لولاها لما جرى مركب في بحر ، ولا دار دولاب في بر ، ولا اشتعلت نارٌ في دار ، ولا خاطت إبرة ثوبـاً ، ولا شيد حجر فوق حجر ، ولا كان حرف وكان كتاب ، ولا انطلق لنـا جناح في الفضاء ، ولا أضاء لنا سراج في ظلمة ، ولا امتد لنا صوت عبر القارات والمحيطات ، ولا كان لنا اي علم او فن او دين او نظام ، ولا اي شيء من الاشياء التي بها نعيش ومنهـا تألفت مدنياتنا الغابرة وتتألف الحاضرة ، وستتألف التي بعدها.

وصفات الشباب هذه لا يندر ان تجدها في بعض الكهول والشيوخ الذين كان العمر وأثقاله أضعف من ان تسدل الغشاوات الكثيفة على ابصارهم وبصائرهم . فما ألفوا قيودهم ، ولا انكمشوا ضمن حدودهم وسدودهم ، ولا تخلوا عن طموحهم في تغيير حال هم فيها الى حال افضل منها . اولئك هم الكهول والشيوخ الذين ما برحوا شباناً بأفكارهم وقلوبهم . فهم بركة واي بركة للناس اجمعين . إلا انهم ، وإن قاموا بقسط من تجديد البشرية ، فالقسط الاكبر يقوم به الشباب من غير شك.

ولان القديم يكتسب شيئاً من الروعة والقدسية لمجرّد قِدمه ، ولان المألوف يتحصن في قلوب الناس وافكارهم لمجرد انه مألوف ، ولا يكلف الناس كبير عناء في مسايرته على حد قول المثل العامي : « نحس تعرفه خير من جيد تتعرف عليه » – لذلك كان التجدد – ايّ تجدد – ضرباً من الثورة . ولذلك كانت الثورة في دم الشباب الذي يأبى إلا التجدد . ولولا تصلّب القديم وتعنت المألوف لما كانت الثورات من اي نوع كان . ولكن القديم يرسل جذوره بعيداً في تربة الحياة البشرية فيتعذر اقتلاعه إلا بمشقة بالغة. والمألوف يقبض على قلوب الناس وافكارهم ولا قبضة الاخطبوط ، فيصعب التخلص منه بغير الكثير من الالم .

لو أن الناس كانوا أكثر اتعاظاً بدروس ماضيهم ، وأعمق تفهماً لواقع حياتهم لجعلوا قديمهم ومألوفهم من المرونة والطواعية لمتطلبات التطـور بحيث يتفادون الثورات وجميع ما يرافقها من عنف ومن آلام جسدانية وروحية هائلة . إلا انهم بماضيهم لا يتعظون ، ولواقـع حياتهم لا يفهمون ، ويعيون حسيرة وقلوب واجمة الى مستقبلهم يتطلعون . ولذلك تراهم يتكاتفون على كبح جماح شبابهم ، وعلى إقامة الحدود والسدود في وجه قوى التجدد التي تجيش في داخله وتتحفز للانطلاق . أما النتيجة المحتمة فالثـورة التي قد تكون دمـوية وقد لا تكون . ولكنّها في الحالتين تسبّب آلاماً على قدر ما تلاقي من معاندة .

أي دينٍ قام في الأرض ولم يكن ثورة على دين قبله ؟ أي علم ترعرع بين الناس ولم يكن ثورة على جهـلٍ ألِفـه الناس فأحبوه واستسلموا له ؟ أي فن شق طريقه في دنيا الفنـون من غير ان يشق اثلاماً من الكدر والامتعاض في قـلوب الذين ألفوا غيره وما ألفوه ؟ كل اختراع ثورة ، كل اكتشاف ثورة ، كل فكرة جديدة ثورة ، كل زي جديد إن في اللباس ، وإن في المأكل والمشرب والمأوى ، وإن في اللغة والأدب ، وإن في الصناعة والتجارة ، او في الدراسة والعبادة ، او في التقاليـد والنظم السائدة – ثورة . وهذه الثورات هي التي بها تتجـدد الحياة من يومٍ ليوم ، ومن جيل لجيل . والشباب هو الذي يرفع ألويتها ، ويمشي في طليعتها غير مبالٍ بما يقدمه في سبيلها

من تضحيات غاليات . فلا ماله ، ولا جماله ، حتى ولا دمه بأعز لديه من الهدف الذي يسعى اليه ، ومن المثل الأعلى الذي اتخذه لنفسه رائداً وإماما .

فما أجهلنا نحاول ان نخنق ثورات الشباب وهي ما تزال أجنّة ! فلا يرتفع صوت الشباب ضد ظُلامة من مظالمنا ، او ضد تقليد من تقاليدنا ، او طقس من طقوسنا ، او عقيدة من عقائدنا ، او نمط من انماط معيشتنا حتى ننادي بالويل والثبور ، وتعترينا رجفة من سوء المصير . كذلك نادى الكتبة والفريسيون عندما طرقت مسامعهم كرازة المسيح . وكذلك نادى القرشيون عندما قام محمد بدعوته . وكذلك نادى اهل اثينا عندما راح سقراط ينشر افكاره في الناس . وكذلك نادى رجال الدين في الأجيال الوسطى عندما قال قائل إن الارض تدور . ولو شئت ان اعدد الامثلة التي قامت فيها قيامة المحافظين على كل مجدّد في الأرض لما انتهيت .

إلا ان ما كان جديداً في الأمس اصبح اليوم قديماً . وبتنا نسمع اصواتاً تتعالى من هنا وهناك طالبةً تجديده . ونسمع مع هذه الأصوات أخرى تهدر وتزمجر مطالبة بإبقاء القديم على قدمه . فهو من القداسة والكمال بحيث لا يمكن لأي إنسان ان يطاله بقلم او بلسان . واني لأسألكم : أي المنطق هو منطق هؤلاء الغيارى على القديم ، والقائلين بقدسيته وعصمته ؟ وهل يرضون لو تعود بهم الحياة القهقرى الى حيث كان اسلافهم منذ آلاف آلاف الأجيال ؟ ام تراهم يعتقدون ان ما لديهم من تقاليد وطقوس ومعتقدات هو غاية الغايات ونهاية النهايات فلا زيادة بعده لمستزيد ؟ وإذن فما شغلنا على الأرض من الآن وإلى الأبد إذا لم يكن لنا من امل في ان نجدّد ونتجدد ، وأن نبلغ من المعرفة والمقدرة والحرية ولو قيراطاً فوق ما بلغناه حتى اليوم ؟

إننا نتوارث التقاليد والنظم والعوائد والعقائد جيلاً عن جيل . والتقاليد والنظم والعوائد والعقائد الموروثة من شأنها ان تتحجر وتعفن وتنقلب تعصباً وكرهاً في فكر الوارث وقلبه ما لم يهضمها وجدانه ويجعلها دماً من دمه ولحماً من لحمه . وإذ ذاك فمن حقه ان يتناولها بالفحص والتمحيص ، وبالشك والتجريح حتى اذا استساغها تمسّك بها . واذا لم يستسغها راح يفتش له عن اخرى يستسيغها . فالايمان بالله ، مثلاً — وبغير الله — لا يصح ان ينتقل بالوراثة كما ينتقل المال والمتاع والعقار . فهو عملية باطنية وصلة ذاتية بين المؤمن والمؤمن به . والشك باب الايمان . ومن حقنا ان نشك في ما ورثناه عن اسلافنا . ومن حق شبابنا ان يشك في ما ورثه عنا .

لذلك اقول إنه من العار علينا ان ننادي بالويل والثبور كلما تصدى شبابنا لعقيدة من عقائدنا ، او تقليد من تقاليدنا بكلمة او بحركة او بشك . وكان اجدى لنا الف الف مرة ان نطلق له الحرية ، ثم ان نحاول اقناعه بدلاً من ان نضع شكيمة في فمه او ان نحطم قلمه . فالحق في غنى عن دفاعنا اذا كنا على حق . واذا كنا على ضلال فمرحباً بالشك منجياً من الضلال .

ونحن اليوم في دنيا العرب أحوج ما نكون الى شباب يجرؤ على ان يشك ، ثم يجرؤ على ان يعمل للخلاص من شكه . فالشك إذا طال أمسى شللاً . وشبابنا هو الثروة التي اين منها ذهبنا الاسود والاصفر وكل ما تنتجه أرضنا من ثمار وحبوب وبقول ؟ هذه للنفاد والبوار ، وتلك للبقاء والازدهار . وحريّ بنا ان نستثمر هذه الثروة الى اقصى حد ، فنتاجر بها قبل ان نتاجر بالبترول ، وبالخام والشيت ، ونوليها من عنايتنا أضعاف أضعاف ما نوليه الدوالي في كرومنا ، والسنابل في حقولنا ، والاموال في مصارفنا ، والكراسي في مجالسنا . ولا نقضي عليها بما نفرضه على الشباب من قيود وما نقيمه في وجهه من سدود ، بل نطلق للشباب حرية القول وحرية العمل إذا نحن شئنا ان ننعم بمواهبه وبركاته ، وان نتفادى غضباته وثوراته .

ولا يقولنّ قائل إن تلك الحرية قد تؤدي بنا الى الفوضى . فالفوضى هي ما نحن فيه . ولن يخرجنا منها إلا الشباب المجدد والمتجدّد . ويقيني ان ما في دم شبابنا من حرارة ، وما في عقله من اتزان ، وما في قلبه من إيمان بالعدل والنظام والاخاء والحرية لكفيل بان يقطع بنا شوطاً بعيداً نحو عالم ألطف جواً ، وافسح أفقاً ، واعذب صوتاً من عالم نعيش فيه الآن . فليس كالشباب خزانة نأتمنها على آمالنا . وليس كالشباب مجدداً لشباب الحياة . وليس كالحرية غذاء للشباب وحافزاً له على الخلق والابداع والسير بالقافلة الى الواحات المطمئنة والمراعي الخصبة .

ميخائيل نعيمه

حول كتاب

« مشكلة النخبة في الشرق »

بقلم عبد الله عبد الدائم

لا شك ان النخبة هي المفصحة دوماً عن مقام المجتمع، وان قيمة الشعوب لا تقاس بمتوسط مستوى الناس فيها بمقدار ما تقاس بعدد الأفراد النابهين الأفذاذ الذين يمثلون الصفوة بينها. ففي هؤلاء الافراد تتجسد مطامح الأمة وصبواتها، وعنهم تصدر اندفاعة المجتمع نحو مستقبل اكمل. وهم الذين ينتشلون امتهم من روح المحافظة التي تسيطر على سواد الناس، ويقذفون بها في طريق التجديد العميق مرهصين بما ستؤول اليه تلك الامة، متحسسين بالتيارات الخفية التي تضطرم في اعماقها، مبشرين بزوغ هذه التيارات.

وكثيراً ما تلخص حياة الامة كلها في هؤلاء الافراد القلائل، وكثيراً ما ترتد عبقريتها كلها إلى فرد او أفراد. **والذي خلق التاريخ وخلق الأمم، كما نعلم، هم هؤلاء القلة .. إنهم قلة في عددهم، ولكنهم فيما يحملون من آمال الجمهور وتطلعاته كثرة غالبة. وقد يجهلهم الجمهور احياناً، ولا يرى كيف يمثلون حقيقة حاجاته، ولكنه ما يلبث حتى يلمس سرهم، فيندفع إثرهم.**

وأقوى ما في هذه النخبة انها تظل المحافظة الامينة للقيم الفكرية والخلقية العالية. فهي تخلص لهذه القيم حين يكفر بها اكثر الناس، وبهذا تُري هؤلاء الناس كيف يعيش المثل الاعلى وكيف يخلق كبار النفوس، وتجعل من القيم الرفيعة شيئاً ذا كيان وجسد، لا مجرد آمال واحلام ... وعن هذه الطريق تحول بين عامة الناس وبين التنكر لهذه القيم، وتجعلهم لا يقدمون على انتهاكها إلا وهم أذلة صاغرون. فهذه النخبة عيون رائعة ترمق الناس في سرهم وعلانيتهم، فتحبسهم عن الشر وتدنيهم من الخير .. وهي امل باسم يمني المخلصين من الناس بما ينتظرهم من رتبة العظماء ومقامات ذوي النفوس الكبيرة.

ثم ان تذوق المعاني الفكرية والروحية العميقة لا تتأتى للجمهور إلا عن طريق هذه الصفوة. فهي إذ طعمت، تعرف كيف تنقل ما طعمت الى غيرها .. وهي إذ رأت وأبصرت، تعرف كيف تنثر، بمجرد وجودها، ما رأته وأبصرته .. إنها صاحبة اذواق. وإن احاسيسها لنضاحة بهذه الانسانية الكبرى.. ومن خلال جسدها تنطلق دوماً رعشة الجمال والخير، فتسيطر على من حولها وتشيع فيهم هزة كريمة مبدعة.

عن مثل هذه الصفوة يتحدث الشاعر الكبير سعيد عقل في كتابه « مشكلة النخبة في الشرق ». ومن خلال حديثه عنها تتجلى معاناته الحية العميقة لحياة هذه النخبة. ومن خلال كلماته يقرأ القارىء ما يملكه رجل النخبة من توفز ونظرة إنسانية رحبة مطلعة، تجعل معرفته وخلقه « في مستوى المصائر الكبيرة ». إنه يبين لنا قبل كل شيء ان النخبة هي من لا يوجهها القدر، بل توجهه. فهي لا تستقبل الوجود، وإنما تقصده. وهي لا تقف من العالم موقف المنفعل القابل، بل تفعل فيه وتشعر بانها هي المسئولة عن مصيره. وهي التي ترفع الناس عن مستوى الصغائر، وتقودهم الى « المناخات العلى »، وتمدهم « بنبل العلم وبالفكر الكبيرة ». إنها بعيدة عن « الاثرة والانكفاء على الذات »، شاعرة بحرمتها؛ وشعورها بحرمتها هذا هو « كل حيويتها »، وهو « السياج الذي يصون العالم من إغراء المال يلوح به اصحاب الاعمال الكبيرة ». وتاج اعمالها « ان تنادي بين فترة واخرى إلى التمرس بعمل ضخم يجيء في مستوى القضاء والقدر ».

ويبين الشاعر ان الخلاص من الاخطار الكبيرة التي تواجه الامة، من مثل خطر اسرائيل، لا يكون إلا بهذه النخبة. وما مأساة فلسطين إلا نتيجة لانعدام هذه النخبة التي كان في وسعها وحدها، لو وجدت، ان تعد منذ اربعين سنة لمواجهة خطر الصهيونية. وهو يفرّق بين النخبة والحزب تفريقاً جوهرياً. لأن الحزب عمل سياسي ويتطلب الحكم بالتالي .. بينما تظل النخبة « اكبر من تطلب الحكم واكبر من الحكم ». « فتسلم زمام الحكم مشوب، وإن قليلاً، بشهوة السلطة، والنخبة فوق الشهوة وفوق السلطة ». ولا يقوده هذا التفريق إلى محاربة الحياة الحزبية؛ بل يرى ان اصطراع الاحزاب، في بعض المراحل « خير طريقة لشفاء قوى الشعب المصابة ويتناضج فيها العافية ». غير انه يرى ان « الحزب ينفي سواه، والنخبة تلهم سواها ». واجمل ما في هذا التفريق عنده حديثه عن

الاحزاب التي انتهجت سبيل العمل الحزبي ، وظل قوادها مع ذلك متحلين في قرارة نفوسهم بمناقب النخبة . فكلنا يعلم الصراع الذي يثور في نفوس هؤلاء القواد بين طبيعة العمل السياسي التي تجر إلى الخصومة ، وبين صفات ابناء النخبة التي تأبى ان تحارب الاشخاص وتكتفي بمهاجمة الشر فيهم . وكلنا يعلم كيف يُضطر هؤلاء القواد احياناً – إن سلكوا هذه السبيل، سبيل العمل الحزبي الذي تغذيه روح النخبة وخصالها – إلى خيانة العمل الحزبي ، لأنهم يخسرون المعركة مع خصومهم ولا يصلون إلى الحكم، رغبة منهم في الوفاء للعقل والانصاف والخلق.

والحق أن الكاتب يلمس ههنا مشكلة عميقة تواجه الجيل العربي المخلص عندنا .. فهذا الجيل يبدأ حياته مخلصاً للقيم الخلقية والفكرية السامية ، متحلياً بأعراق النخبة . ولهذا يكتفي في بدء حياته بان يكون فوق الخصومات وفوق العمل الحزبي المباشر ، ولا يجاوز موقف الموجِّه المبشر بالمعاني النبيلة .. ولكنه ما يلبث حتى يجد نفسه بحكم موقفه النبيل هذا نفسه ، مضطراً الى تنظيم توجيهه هذا تنظيماً عملياً اكثر جدوى ونفعاً. إذ يرى ان لا سبيل الى فرض اخلاق النخبة ومطالبها إلا عن طريق تكوين صف نضالي يخوض الحياة العامة ولا يبقى على هامشها ، وينخرط في العمل السياسي بالتالي .. غير انه يريد هذا العمل السياسي عملاً من نوع جديد ، تنسجم فيه المبادىء مع اسلوب تطبيقها ، وتظل القيم الخلقية والفكرية رائده وموجهه ، ويظل مترفعاً عن الأهداف الشخصية والغايات العاجلة .. وهو ، إذ ينتهج هذا الأسلوب ، اسلوب العمل السياسي المخلص لمبادىء النخبة ، يجد نفسه عاجزاً عن فرض وجوده السياسي ، مقصراً عن الأحزاب النفعية القائمة على الخصومات والمهاترات .. وهنا يتنازعه اتجاهان : إما ان يسلك سبيل العمل السياسي المباشر ، سبيل سائر السياسيين ، فيتخلى عن مبادىء النخبة ويصل الى الحكم ، ويبرر عمله هذا بانه عمل تمليه ضرورة تحقيق الأفكار التي آمن بها . وإما ان يظل في طريقه الأولى ، يعمل باسلوبه السياسي الجديد المحمّل بعبق المبادىء والقيم الرفيعة ، ويحجم عن انتهاج الأسلوب السياسي العادي المؤدي الى النجاح والحكم . وإذ ذاك قد يشعر بانه يحكم على مبادئه نفسها بالعقم ، وعلى قيمه بان تبقى بعيدة عن التحقيق ، ما دام لم ينتهج سياسة الوصول الى حكم يحقق فيه غاياته ، وما دام لم يستبح لنفسه ان يجعل الوصول الى الحكم ، باي وسيلة، امراً جائزاً تبرره الرغبة في تحقيق المبادىء والأهداف عن طريق الحكم .

والذي نريد ان نقوله بهذا الصدد هو ان هذه المشكلة التي تواجه الجيل العربي الواعي ليست عصيّة على اي حل ، وان الموقف السليم لا يكون بان تعتزل النخبة في أبراج النخبة ، كما لا يكون بان تتخلى النخبة عن مبادئها واهدافها منتهجة اسلوب السياسة الناجحة العاجلة .. فالمشكلة واقعة مستعصية على الحل حين لا يملك هذا الجيل النفَس الطويل ، وحين لا ينظر النظرة البعيدة ، زاهداً بالربح العاجل في سبيل ربح آجل ، بعيد ولكنه مضمون ، قد لا يلقاه هو وتلقاه امته من بعده . اما إذا تخلص هذا الجيل من نزق المطالبة السريعة ، وعلم ان نجاح النخبة في عملها السياسي لا يتأتى إلا بعد مراحل طويلة في حياة البلاد ، وبعد بناء هادىء راسخ طويل الأمد ، فعند ذلك يتخلص في الوقت نفسه من هذا الصراع المتأزم في نفسه بين الاتجاهين اللذين ذكرنا : اتجاه العمل السياسي المباشر ، واتجاه العمل بروح النخبة ، بعيداً عن العمل السياسي .

والواقع ان بقاء النخبة في جوها الصافي ، بعيدة عن الحياة السياسية الكدرة القائمة ، خيانة لرسالتها ، ونوع من الترف يجعلها تفضل البقاء في صفوها ، ولو كان هذا البقاء عقيماً ، على النزول الى معترك الحياة الواقعية الدامية . وليس أجمل حقاً من ان يعتزل رجل النخبة في جوه الروحي العبق ، متعالياً على كل شيء : ولكن الجمال شيء ، والواجب شيء آخر . وعبث ان يبرر مثل هذا الرجل موقفه بأنه يقدم ، عن طريق اعتزاله هذا ، خدمات لا يقدمها عن غير هذه الطريق : فمثل هذا القول يظل تبريراً وادعاء وفلسفة للتخاذل ، وليس واقعاً.

إن براعة الفكرة تتجلى بأن يستطيع صاحبها ان يقلبها الى عمل . وقوة رجل النخبة ينبغي ان تتبدى في قدرته على ان ينظم قيمه وافكاره في اسلوب عملي يشيعه بين أكبر عدد ممكن من الناس. ولا معنى للفكرة إن لم تكن قوة، قوة موجِّهة حقيقية. ومجرد إشعاع الفكرة من بعد لا يهب لها كامل قوتها وإمكانياتها ولا يمكن ان تعطي هذه الفكرة كامل قوتها إلا إذا نُظّم نشرها وإذاعتها . وتنظيم هذا النشر وتلك الاذاعة هو العمل السياسي عينه ، إذا فُهم كما تريده النخبة.

وهذا لا يعني ان المسألة ليست دقيقة وصعبة ، وان الانحدار من مثل هذا العمل السياسي الموجّه بروح النخبة الى العمل السياسي التافه ليس خطراً صعب الاجتناب . ولكن مهمة النخبة ، قبل غيرها وقبل أي شيء آخر ، هي ركوب مثل هذه

المواقف الدقيقة الصعبة وحسن قيادتها . ومتى كان الموقف الصحيح ميسّراً سهلاً ؟

وهل تأتي غلطة الشاعر في كتابه هذا ، حين يورد بعض الافكار التي لا نقره عليها ، إلا بسبب هـذا الانعزال الذي تعيش فيه النخبة احياناً ، والذي يحملها عـلى ألا تحسن فهم واقع حياة امتها ، وعلى ان تعالج الامور معالجة من لم ينزل الى واقع هذه الأمـة ، وبقي في مفاهيمه المجردة وأفكاره المبيّتة ؟ إنه يبيّن مثلاً ان « الصهيونية ، منـذ ان تأسست ، انطوت طبيعياً على محو لبنان » ، ويعتبر هدف الصهيونيـة لبنان من دون سائر البلدان العربية . ويورد بعض الحقائق التي لا ننكر بعضها ، وإن يكن أكثرها مصطنعاً . فسائر البلدان العربية الاخرى ، فيما يرى ، « إما صفر من المياه ، وإما ذات مياه اجنبية المنبع – إلا لبنان .. » وجميعها ، إلا لبنان ، واقعة من الكرة تحت الدرجة الخامسة والثلاثين من خطـوط العرض ، مما يجعلها بعيدة عن ان تكون مركزاً للمدنية . « فلا ينابيع قومية إلا في لبنان ، ولا مناخ ملائم إلا في لبنان » ؟! وسماء لبنان تمطر سبعين بالمائة من مجموع امطار البلدان العربية !!

وهنا نسائل : متى كانت الظروف الطبيعية المادية وحدها هي التي تكوّن الأمم وتخلق الحضارات ؟ أوليس الانسان هو المتحكم في الطبيعة ؟ أو لم يقلب الصحارى الى سهول ، ويطلق المياه حيث لا مياه ، ويغير وجه الأرض كما يشاء ؟ أو ليس تاريخ الحضارة الانسانية هو تاريخ تغلب الانسان على الطبيعة والأرض والمناخ ؟ وهل يجوز الحديث عن أثر البيئة الجغرافية في عصر سادت فيه الوسائل التكنيكية القادرة على الهزء بهذه البيئة ؟

وهل صحيح بعد ذلك ان لبنان وحده يتمتع بهذه الشروط المادية الملائمة ؟ وهل يفكر الصهاينة في مياه لبنـان دون ان يفكروا في بترول العراق والجزيرة مثلاً ؟ وهـل في وسع لبنان ، قبل هذا وفوق هذا ، ان يقاوم الصهيونيـة منفرداً ، ناسياً تكتله مع سائر ابناء الأمة العربية ؟ أو ليست مهمة النخبة ان تخلق هذا الوعي العربي الجامع الذي يستطيع وحده ان يقف مدافعاً مكيناً ؟ واين تعيش القيم الفكرية الرفيعة والمعاني الروحية العميقة التي تثور في نفوس النخبـة ، إن لم تعش في الدعوة الى كيان قومي عربي سليم ، يستطيع وحده ان يجابه شتى الآفات التي تكتنف الامة العربية ؟ إن الكاتب نفسه يبين خير بيان ان الحرب قائمة بين العلم والعاطفة ، وان مهمة رجل

– التتمة على الصفحة ٦٩ –

انا والراهب

[هذه القطعة من وحي وحدتي كل مساء . إن امام بيتنا في مدريد ديراً ، وفي كل مساء يخرج راهب الى سطح الدير امام نافذتي حيث ارقب الغروب الرائع . يخرج هذا الراهب ومعه كتابه او إنجيله . ويصلي الى ان يخيم الظلام على الحي.]

هوى الله يغريك يا راهبي ... عن السحر والافق الغارب
وعن روعة الشمس سالت دماً ... سكيباً على الشفق اللاهب
وجدتك مثلي كل مساء ... وحيداً مع المغرب الذاهب
تصـلي لربـك مستلهماً ... هداك من المنعم الواهب
وأشكو لربيَ من عاصف ... يدوّم في صدري الغاضب

★

وفي خافقي ثورة لا تكنّ ... وفي مقلتي دمعة العاتب
وكم صغت بالوهم يا راهبي ... عقوداً من الاصفر الذائب
وعشت باحلام قلب جريح ... تهرّب من همـه الناصب
واني وإن أوحدتني الليالي ... وعلّقتُ في ظفرها الناشب
وحالت اغاريد قلبي نواحاً ... وعشت على الامل الكاذب
فقلبي سيبقى رفيـع المنى ... عزيز الهوى شامخ الجانب
رأيتك تخشى عليك لحاظي ... فتعرض عنيَ كالهارب
اما اسطعت بعد المراس الطويل خلاصاً من اللهب الراغب
أآدم آدم في كل درب ... يعيش اسير الهوى الساغب
يخاف الغواية ... يا ضعفه ... ولو كان في بردة الراهب
رويدك لا تخش من فتنة ... تقيدها ربقـة الواجب
فقلبي طفل بريء الهـوى ... وخمري تعزُّ على الشارب
ولكن بروحي حنين الى ... سـكينة نفسك يا صاحبي
عسى يطمئن فؤادي ويخبو التضرم في روحي الصاخب
كلانا وحيد . فيا وحشتي ... غريبـة دار بلا صاحب
ويلهو بمدريـد احبابنا ... وأعرض عن لهوها الكاذب
ولو شئت حامت على فتنتي ... قلوب تعـزُّ على الخاطب
أغالب منهن أسمى القلوب ... ويُرضي المنى أنـه غالبي
وفي الشام عين انا حلمها ... على سهدها والكرى العازب
وفي الشام قلب انا نوره ... وأوبـة إيمانه الغائب

★

وتمضي الليالي ولا كوكب ... يشع على امـلي الخائب
وتبقى هناك وأبقى هنا ... وحيدين في المغرب الشاحب

مدريد

سلمى الخضراء الجيوسي

هودج الاحلام

بقلم فؤاد الشايب

نعود الى الموضوع ، وهل ثمة موضوع سوى فلسطين ؟ وهل ثمة ما هو اخطر من مصير العرب مع اسرائيل ؟! وهل كان في تاريخ العرب منذ فجر الاسلام موضوع اكثر مساساً بالكيان العربي ، وأشد لصوقاً بحياة كل عربي ؟!

يقولون : يكفي كلاما ... ويحسبون اننا افرغنا حولتنـــا ، احاديث وكتابات ، واقوالاً ، وان النفوس اصبحت تعـــاف القول والقوالين ، والاحاديث والمتحدثين .

يقولون ، وفي قلوبهم خور ، وفي عقولهم اضطراب : ما جدوى الموضوع وعودتنا اليه ؟! وما الكلام فيه ، وما قيمته ؟!

فاذا كان الكلام ما يعرفون بانه ذاك الهذيان المريض ، والتشدق الاهوج ، والحماسة الفارغة ذات الطبول السياسية الجوفاء ، فقد كفانا حقاً ما اطلقناه في الفضاء ، كرصاصات في ضجة عرس ... اما اذا كان الكلام ، ما يجب ان نقول وننشر ونذيع بين الناس عن كارثة فلسطين ورزء العرب ، فهيهات ان تفي انهار من الحبر على جبال من الورق ؟!

لقد سحقنا عدونا سحقاً في معترك الكلام والنشر ، وسجل علينا هزيمة لا يزال بعضنا يظن انها اتفه شأناً من هزيمة الجيوش ؟! انها بالواقع ، تغطية للزحف ، وتمهيد للغلبة ، وتعزيز للاجتياح والاحتلال . فعندما زحفت بواخر العدو نحو الشاطىء العربي تقل من يسميهم العالم المأخوذ بالدعاية الصهيونية : (معذبي الارض) كانت اكف الملايين من سكان الارض تصفق طرباً لزحف هؤلاء القراصنة الغاصبين وكنا نحن في شرع العالم الذي يقرأ ويسمع ، جماعة من البداة ، الغلاظ ، نمنع الرحمة والمأوى عن المضطهدين ونسام مع النازية في نفخ الغرور العصبي ، وسحق المبادىء الانسانية الرحيمة في العالم . وقد اصبحت معروفة قصة الدعوة الى التبرع بدولار واحد ، لقتل عربي ... تلك القصة التي نشرها الكاتب الامريكي غريزوولد ، ليثير الضمير العالمي ضد وحشية الصهيونية . وما هي الا دليل آخر على ان العرب باؤوا من سوء السمعة عن طريق الدعايات الصهيونية ، حتى اصبحت مقبولة لدى الرأي العام في اي بلد اوروبي او امريكي أية دعوة للتبرع في سبيل ازهاق انسان عربي ...

فاذا كان بعضنا يرى ان قد كفينا مؤونة الكلام ، ولا جداء بعد منه ... فالرأي صحيح ، اذا كان تعريف الكلام ، بالهذيان ، والتشدق والصيـــاح ضمن الجدران الاربعة ، والتجمع كالذباب حول جدار (مبكى) عربي ، نقرع حوله الصدور وننفش الشعور ، وننادي بفظائع قبية ودير ياسين ، في الاقبية والسراديب ...

واذا كان المقصود بالكلام ، تلك الافكار المجنحة ، المرسلة عـــن سبل الطباعة والاذاعة في جميع انحاء العالم دفاعاً عن العرب وسمعتهم ، وقضاياهم ، فما اتفه ما ارسلناه من هذا الكلام ، وما اعجزنا في هذا الطراد ، وما اقبح عبثنا وجودنا ، وذهولنا ذهول البقر في موقف الخطر ...

ان الذي نعلمه ، حول ما نشر من بضاعة الكلام ، ان الدول العربية مجتمعة ، في دمشق منذ اربعة اعوام ، قرر مندوبوها انشاء صندوق مشترك للدعاية العربية في الخارج ، اي (صندوق عربي لشن حملة كلام منظمة امام سمع العـــالم وبصره ..) وما زال مشروع الصندوق ، في الصندوق الفاخر الذي طالمـــا ادرجت فيه مشاريع عربية شتى ... غدت مع الزمن وثائق محنطة في الغفلة والاهمال ، وسوء المصير !

لماذا لم ينجح مشروع الصندوق العربي المشترك ، الدفاع عن النفس بالكلام ... ولا شيء إلا بالكلام ... والكلام وحده ...؟! لو كانت الدعوة الى حشد عربي اقتصادي او عسكري ، لقلنا ان للأمر عقده ومعضلاته ، ولا بد مـــن زمن ، ولا بد من وضع ، ولا بد من سياسة ... وثمة في الطريق عقبات داخليه وخارجية ... مما نعلم او لا نعلم . اما وان الدعوة الى الكلام في موضوع لا مجال للاختلاف في اساسه ، او في اداته ، فلا ندري كيف تطوى الدعوة وتوأد المقررات ، وتنام الخدود على مثل الورود ... والضمائر على مثل الحرائر ... كأن الزوبعة الضارية التي رمت الى البؤس والهوان الوف العرب خارج فلسطين ، ليست مستمرة التعبئة لترمي ملايين العرب ، خارج حدود العرب ... او كأننا نظن اننا وقد دفعنا سلفة على الحساب من دم اخواننا وابنائنا في فلسطين ... سننجو من دفع الرصيد الكامل من دمنا ودم ابنائنا في جميع تلك البلاد الموصوفة في الرسوم الجغرافية ، بانها عربية ؟!

الوف الكتب والنشرات تصدر عن اسرائيل ، ومنظماتها ، وانصارهـــا خارج اسرائيل ، اغرقت العالم ، ودوخت الافكار ، وبلبلت السنة الحق ، وضللت الملايين من الابرياء ، وطوقت الاسم العربي ، بالهـــالات السود والصفر ، حتى اصبحت الدعوة الى (التبرع بدولار لقتل عربي) تلقى في الآذان والنفوس قبولاً وارتياحا ...

فما هو موضوع هذه الحملة النشرية الواسعة التي اكسبت قضية العدو ، عطفاً عالمياً دائماً ؟!

ليس المجال متسعاً لأعرض صوراً من تهاويل الصهيونية وانصارهـــا في كسب معركة الرأي العام العالمي ضد العرب . على انني سأوجز بعض الاسس والفكر التي قامت عليها الحركة الصهيونية ، من قبل ان تقع الكارثة ويغدو الامر الواقع في نظر الدول امراً مشروعاً ... لأنه واقع !

الفكرة الاولى : يجب ان ينقذ اليهود من اضطهاد عالمي ، قاسوا اهواله ، مئات السنين ، فهم شعب جديرون كسواهم من الشعوب او اجدر ، بنعمة الحياة الحرة المستقرة . وتحت نفوذ هـــذه الفكرة ، حمل اعضاء لجنة التحقيق حقائبهم الى فلسطين . ولقد كانوا جميعهم ، مؤمنين بصدق الخرافة اليهودية التي اذاعها اليهود تحت الشمس ، بان النازية قد قتلت من ابائهم وامهاتهم واطفالهم عشرة ملايين يهودي خلال اعوام الحرب – حتى ان الصابون الذي يغتسل به النازي من عظام الضحايا ، وعلب السردين من مفروم لحوم الاطفال ، والادوية والعقاقير من مصل دمائهم ، وعصارة اكبادهم .

الفكرة الثانية : ان العرب يضنون بواحد من مئة من الارض على اليهود ، بينما يهملون التسعة والتسعين منها ، بوراً ، وصحراء ، وخرابا ، فلا يعيشون في هذه الارض المباركة ، ولا يتركون سواهم يعيش . فها هم اليهود منذ نصف قرن ، يفجرون الحياة والمـــاء في قلب الصحراء وفي رواكد المستنقعات ، وينشرون الظل والعطر ، حيث يسود البعوض ، وتختنق الارواح سحابات كثيفة دكناء من الحميـــات . وهكذا فأن استثمار الارض لا يمس مصالح العرب ، بل ان مصالحهم لا تؤمن الا بمثل هذا المجهود العملي . وكل ما هنالك ان الاذى إنما يصيب الكبرياء القومية عند العرب ، وهذا ليس بالأمر الذي يؤبه له ازاء فداحة الدراما اليهودية في العـــالم . ولن يمضي وقت حتى يتصالح عرب ويهود ، تحت ضغط الضرورة والحاجة ، لأن اليهود بحاجة الى الانتاج

فكرة الشهر

الزراعي المصدر من الدول المجاورة ، والعرب بحاجة الى الانتاج اليهودي الصناعي ، فيتمم احدهما الآخر - كما قال بن غوريون - ثم لا بد للأمر الواقع ان يحدث تبديلاً في نفوس العرب ، لأنهم في باطنهم معنا ويأبى عليهم التسليم بالحقيقة ، غرورهم ، واسيادهم وحلفاؤهم الانكليز ..!!

والفكرة الثالثة : التي قامت عليها الصهيونية، ودعاتها في المعسكرين الشرقي والغربي ،وفي بعض الاوساط المحايدة ان العرب اينما كانوا ، عبيد الاستعمار الانكليزي ، الذي يضع السلاح بيد العرب تارة ، وبيد اليهود اخرى ليقتتلوا فيما بينهم، وان سيادتهم في الشرق الاوسط موطدة مع العرب لأنهم خانعون اذلاء ، ومزعزعة الاركان الى جانب دولة يهودية حرة . ثم ان الانكليز ، يعملون لتأييد سلطانهم في هذه البقعة عن طريق الانتداب او اي اسلوب من اساليب الحكم ، فهم يقاومون بالقوة او بالحيلة ، كل من اشتد ساعده فيهدد هذا السلطان .

ومهما يكن من شأن هذه الفكرة التي تفنن الدعاة الصهيونيون في نشرها واذاعتها ، انما يهمنا ان نصل الى المرمى الذي اصابته سهامها ، في تصوير العرب ، امة لا قضية لهم ، وليس جهادهم في فلسطين سوى حركة مسرحية يخرجها الانكليز ، لأغراضهم الاستعمارية . وان اليهود بعد ان كانوا ضحايا هتلر والطغاة في اوربة ، انما يؤلفون مرة ثانية ضحايا العرب ومن ورائهم حراب الانكليز ... ولقد اخذ هذا التهويل ، بقلوب الكثرة من المناضلين والمفكرين في اوربة ، ولم يكن الرأي العام في روسيا ومن حولها ، وفي امريكة الشمالية وبعض امريكة اللاتينية ، ليتردد في قبول اي فكرة سوء عن الاستعمار الانكليزي ، ولما كان هذا الرأي العام يجهل العرب ، بقدر ما يعرف الانكليز فقد قبل بلا جدل ، ان العرب ، مجموعة من القطعان الهائمة في الصحراء ، لا روح فيهم ، الا ما ينفخه الانكليز .

الفكرة الرابعة : التي تشبث بها دعاة الصهيونية،حتى رسخت اقدامهم في فلسطين ، هي (وعد بلفور) . ولقد ظل الصهيونيون يتحون من بئر (وعد بلفور) وحده ربع قرن واكثر ، عندما لم يكن بين ايديهم من حيلة سوى الوعد ، وصك الانتداب ، الذي نص على دعم الوعد بوطن قومي لليهود . حتى اذا حان الوقت ، رجموا امة بلفور بالحجارة - واصبحت حجتهم الاولى الكسب بالأمر الواقع - وبتأليب الرأي العام العالمي الى جانبهم ضد الانكليز وحلفائهم العرب .

وكانت الفكرة الخامسة التي اطلقها الصهيونيون ودعاتهم رداً على حجة قوية-اعترف حتى خصوم العرب بوجاهتها-هي انه اذا كان لليهود حق في وطن قومي واذا كان ضمير العالم يرحب بهجرتهم الواسعة غير المحدودة الى فلسطين ، واذا كان وعد بلفور وثيقة شرعية في ايديهم فما وضع العرب سكان البلاد واهلها ازاء هذا السيل الجارف ؟ او ليس لهم ، مهما كان شأنهم، حق الاقامة والاستقرار في وطنهم ؟!

كان جواب بن غوريون ، الذي تبنته لجنة التحقيق فيما بعد وسمه مندوبو الدول على لسان الصهيونيين في كل مناسبة : (ان حقنا في فلسطين لا يحده سوى قيد واحد ، اذا لم يفرضوه علينا ، فرضناه على انفسنا وهو انه لا يجوز بحال من الاحوال ان يؤدي انشاء وطننا الى ترحيل السكان العرب من بلادهم)

وكان جواب بن غوريون ووايزمان : اسسوا الدولة اليهودية اولاً ونحن على ثقة من ان الوقت سيحل عقدة الخلاف مع العرب . اعطونا الفرصة المناسبة وافسحوا لنا المجال لنأتلف مع الوسط ونتعاون مع العرب ..

كان بن غوريون ووايزمان امام اللجان الدولية يتكلمان كما يتكلم النساك والزهاد الفقراء، وكان الدعاة ينشرون آراء الوكالة اليهودية بأن صحراء النقب وحدها لو اعطيت لليهود لكفتهم وطناً فالنقب لا يسكن اطرافها سوى بعض العرب المترحلين بينما تتسع اذا استثمرت بالوسائل العلمية الحديثة لأسكان مليون ونصف المليون من اليهود وليس في سكنى الصحراء المتروكة ما يضر بصالح العرب .

وسئل بن غوريون في لجنة التحقيق : اذن انتم تطلبون من هيئة الامم ثلاثة امور . اولها الغاء الكتاب الابيض وثانيها انشاء الدولة اليهودية وثالثها التعاون مع العرب ... لماذا لا تبدأ مثلاً بالأمر الثالث وهو الاهم : التعاون مع العرب ؟ وكان جواب بن غوريون ضعيفاً فاتراً ... ايها السادة ! طالما انه باستطاعة العرب ان يمنعوا دولتنا من النشوء ... فلن يتم معهم اي تعاون ... ولكن اذا وضعوا امام الوقائع المقررة لانوا واستكانوا ...

لم يكن جواب بن غوريون مقنعاً ، ولكن الدول ذات العلاقة كانت على ثقة من ان ما يجب ان يحدث في فلسطين هو انشاء دولة يهودية بالقوة ..

وفي سبيل ذلك ، لا بد من دعاية تهويل واسعة تغرق القضية العربية يتبعها زحف عملي عسكري واقتصادي يحقق سياسة الامر الواقع .

ولم يكن احد من انصار الصهيونيين في الدول الكبرى والصغرى يعتقد في قرارة نفسه ان اليهود سيخلدون الى السكينة والهدوء ، وان التقسيم سيضع كلا الجانبين في حدوده المفروضة ، وان السلام في الشرق الاوسط يعالج عن هذه السبيل ، ولكن هؤلاء الانصار ، كانوا على ثقة من ان هذه الشراذم الغاصبة ... ستجد لها مع العرب طريق الخلاص ...

كان ذلك منذ عام ١٩٤٩ ... وما زال هؤلاء الانصار الى جانب الصهيونية يفتشون لها عن طريق للخلاص !

طريق الخلاص غدت واضحة امام الصهيونية وانصارها . فلا بد من دعاية تهويل واسعة ، لأغراق قضية العرب ، بالظلام ، والشك ... والباطل ... ولا بد من هجمات متتابعة في ميدان الكسب بالأمر الواقع .. لا تلقى اي صدى استنكار او استهجان . لذلك نسمع ابداً في ابواق الصهيونية وانصارها من كبار رجال السياسة في العالم ان اسرائيل واقع .. لا بد للعرب من الاعتراف به ..!! ولا بد في سبيل ذلك من سلب العرب ورقتهم الكبرى التي يلعبون بها في ضمير العالم ... وهي ورقة اللاجئين ... فلنطو الصفحة ولندفن القتيل ... ولنمسح الدموع ... ولنعترف بالأمر الواقع ... فالعرب خاسرون وهم اعجز من ان يجابهوا اسرائيل ...!!!

هكذا تصور دعاياتهم قضيتنا في العالم ... وهكذا ... قرر مجلس جامعة الدول العربية في دمشق منذ اربعة اعوام انشاء صندوق عربي مشترك للدعاية ... ولا تزال المقررات تغفو بأمان في هودج الاحلام ، كما يغفو حبيبان مخدران بسحر انغام الوله المعول، والعطف الرعديد، والاستسلام الخائر والبكاء الموسع الحدود... مما هو جدير بأن تمزق له الثياب والاعصاب... ونهيل التراب ...

اربعة اعوام ، ومشروع انشاء الصندوق المشترك للدعاية العربية ينام في اضابيره .

اللهم اعف عنا .. يا ارحم الراحمين ؟!

فؤاد الشايب


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



حين راجع الارقام ، ورأى احدها منطبقاً على رقم ورقتـه رانت على عينيـه غشاوة ، فضلّ طريق المطبعة ورأى نفسه داخلاً إلى مقهى طلب فيه فنجاناً من القهوة .

ولكنه لم يشرب منه إلا قطرة . كان مرّ المذاق . ولقـد اطفأ فيه سيكارته ، وهو لم ينفث منها إلا مجة . ثم نهض فاتجـه الى البيت ، حتى إذا فتحت له زوجته الباب واستقبلتـه بدهشة متسائلة ، قال ان به صداعاً شديداً ، وأن بوده ان يلزم فراشه سحابة اليوم ، وانه خير له ان ينام ، إن كان باستطاعته ان ينام .

ولقد غفا ، وفي سمعه صوت زوجته تهمس لبشرى ان تخفض صوتها في مراجعة درسها .

وأفاق في موهن من الليل على سعال سليم .

ونهض اليه فردّ عليه الغطاء . ولكن السعال اشتـد به ، ففتح عينيه وهمس باسم ابيه في نحيب إذ رآه ، ثم اغمض عينيه .

لا بأس عليك يا بني سآتيك بالدواء الناجع عند الصباح . سأبتاع لك ثياباً دافئة . سننتقل الى بيت خير من هذه الغرفة الرطبة .

نم يا حبيبي ، لا تسعل بعد . ليس الصباح ببعيد يا بني .

وسمع انفاسه بعد لحظات ، يرسلها هيّنة هادئة ، لا يقطعها السعال .

وأخذ لفافة ، فمضى الى الممر الذي يفضي الى الغرفة ، ووقف بنافذته يدخن . كان الليل صافياً ولكنه بارد اللسعة . وكانت النجوم متلألئة ، ولكنها بعيدة الاشعاع . ان الصباح على مسير اربع ساعات تقريباً . لن يفتـح مكتب صرف الاوراق الرابحة قبل الثامنة على اية حال . ستنهض زوجته قبل ذلك ، وسيتحدثان طويلاً فيما ينبغي لهما ان يبتاعاه مما يشعران بأمس الحاجة اليه منـذ سنوات . سيقتنيان بعض الاثاث الجديد ، لبيتهم الجديد . وسيقتضي ذلك ردحاً من الزمن دون ريب . لا بد له إذن من الانقطاع عن العمل فترة من الوقت ، اسبوعاً او يزيد . ثم يعود الى المطبعة .

وتمثّل عودته الى المطبعة بعد غيبة اسبوع . لن تسهل عليه العودة . وما عساه ان يقول لهم ، هم رفاقه ، إذ يكونون جميعاً عيوناً متطلعة اليه ، متسائلة عن هذه الغيبة الطويلة ؟ أيكون يسيراً عليه ان يصارحهم بالحقيقة ، بأنه ربح مبلغاً من المال لا يحلم احدهم به ؟ وهل تراهم سيصمتون ؟ وإن هم فعـلوا ، فأي معنى سيحمله صمتهم ؟ انهم قد لا يحسدونه ، ولكن ،أتراهم لن يشعروا بأنهم قد فقدوه ، بأنه اضحى بعيداً عنهم ، بأنه ليس رفيقاً لهم يكدح كما يكدحون ويشاركهم احاسيسهم ويقاسمهم همومهم ؟ إنهم موقنون بأنه اصبح غريباً بينهم ، لأنه بات أغنى منهم ، وأنهم دونه في المرتبة الاجتماعية ...

وكادت السيكارة تحرق شفتيه . بل مـا الذي يمنعهم من الاعتقاد بانه قد خانهم ، لانه ارتضى ان يسلم قياده للحظ ، لانه ترك للقدر ان يتصرف بمصيره ؟ لانه لا يؤمن بعدُ بان العمل الشريف هو الذي تنتجه يداه ، ويسيل له عرق جبينه ؟

وأشعل سيكارة اخرى . وأي حق له بهذا المال ؟ أليس مما يخجله انه ليس ماله ، بل مال كثيرين من الأشقيـاء الذين تخنقهم اوضاع حياتهم ، فيلتمسون متنفساً لهـم في بروق الأقدار ؟ وهو ، هو نفسه ، ألم يؤمن دائماً بان مصيره ليس إلا صنع يده ؟ ألم يكن في مستهل حياته العملية ، خادماً حقيراً يروح بين المطبعة ومكتب الصحيفة بالمسودات ؟ ألم يعمل بعد ذلك مع العاملين في طي اوراق الصحيفة ؟ او لم ينتقل بعدئـذ الى هذه الصناديق يتعلم فيها جمع الأحرف وتفريقها ؟ أو ليس هو الآن مرشحاً لأن يصبح معلماً للعمال ؟ وما الذي يحـول في المستقبل دون ان يصبح مدير مطبعة ، بل مالك مطبعة ؟ ان هذه كلها درجات ترقاها القدم الثابتة الواثقة من موضعهـا ،

القدم التي تقاوم الوحول وتنتصر عليها .

وتناهى الى سمعه صوت سليم وقد عاوده السعال . فدخل الى الغرفة ، وانحنى فجلس بجانب فراش ابنه ، ومد ذراعه يربت على كتفه ويهدئه . لا عليك يا بني . سيذهب السعال . سوف تشفى يا حبيبي . لا أعلم كيف يتم شفاؤك ، ولكني واثق من انك ستشفى .

وحين عاد سليم الى الرقاد ، نهض الى ثوبه فتناول منه ورقة اليانصيب ، وخرج الى الممر .

★

وحين دلف الى المطبعة ، صباح اليوم التالي ، بادره نعيم بهتاف :

– اين انت يا اخي ؟ لقد اوحشتنا بعد ظهر امس ...

فأجاب بان صداعاً قد اضطره الى ملازمة فراشه ، وان هذا الصداع قد زايله الآن تماماً . ورأى رفيقه يقترب منه ثم يمد له يده قائلاً :

– خذ ، هذه ليرتك . اعذرني على تأخري في ردها اليك. لقد خشيت بان تكون في حاجة اليها ، فأخذت امس سلفة على اجرتي .

وتناول الليرة ، فارتعشت بها كفه : انها ليرته الشريفة .

وشمر عن ساعديه واخذ يلتقط من صندوقه الأحرف الرصاصية ، فيشعر باسع بردها الدافىء .

سهيل ادريس

العامل
في مصافي النفط

هو الزيتُ ؟ أم حلمه الأسودُ
يقطّره الكادحُ المجهد ؟
ليمتصّ من ساعديه الحياة
كما يسلب القوتَ مستعبِد
ويسطرها قصةً للشقاء
على صفحات الثرى تُسرد
شرايينَ تمتدّ خلف الحدود
بعيداً ، ألا ليتها تفصد
ومستودعات رعاها الحليفُ
الغيورُ ، وغنّى لها السيّد

★

وحثّ الخُطى صامتاً في الدخان
كأن السكوت هو المقصد !
ولكنّ خلف السكوت احتداماً
تجفّ السواقي ، ولا يخمد
فلو أنت أمعنت في وجهه
لأدركت أين توارى الغدُ
ففي مقلتيه غموضٌ يشعُّ
وفي ثغره همسةٌ تُرعِد
وفي رأسه فكرةٌ ثرّةٌ
أحسّ بها ثورةً تولد

محمد النقدي

بغداد – الكاظمية



احمد امين معلِّم الأدب ورائد الجيل

بقلم السيدة وداد سكاكيني

حزنت من اجله قبل موته ، فقد أحسست دنو اجله ورحيله ، يوم رأيته للمرة الاخيرة في المجمع اللغوي بالقاهرة يشهد دخول صديقه توفيق الحكيم في عداد المجمعيين ، وكان احمد امين يحب فن الحكيم فلم يتخلف عن حضور الحفل البهيج على الرغم من الضعف الذي هد جسمه واضناه .

لقد اقبل فاتر الخطوات واللمحات ، وقور الطلعة ، فدعوته للجلوس على مقعد بجنبي وما إن رآني حتى حمد لي ما كتبت عن آخر مؤلف له وهو « قاموس التقاليد والتعابير والعادات المصرية » .

كان مجلسه يومئذ على تخوم الدنيا مشرفاً على عالم آخر طالما دومت روحه في آفاقه ، باحثة عن الخلود والخالدين ، باعثة آثارهم واخبارهم في كتبه وتآليفه ، وقد عجبت لذلك البرزخ الذي جلس فيه احمد امين يشهد انتظام صديقه الحكيم في سلك الاعضاء المجمعيين وكأنه جاء مودعاً وفي المجمع انداده وصحبه ، فلم يشأ ان يغادره ويفوته آخر مجلس فيه قبل ان يلقي نظراته الاخيرة الكليلة على هؤلاء الذين سلخ العمر معهم بين مطارحات الفكر ومجالس الثقافة والادب .

كنت أرنو اليه متأسفة مشفقة ، وقد وهن جسمه وكلّ بصره وارتعشت يداه فكان مثل الشمس في الاصيل ترمي بشعاعها الواهي وقد اوشكت على الغروب ، فما أقسى ما تصنع نواميس الحياة ! انها حتم على الجميع : ولقد قيل في الاثر ، « كل امريء ما يحسن » ، وهذا ما ينطبق في عصرنا على المذاهب التي تغلو في تكريم الانسان ، فليت حوادث الدهر سكبت بقرطاس فتجاوزت عن المحسنين المخلصين الذين منهم احمد امين ، وليس هذا مني تجانفاً او معارضة ، لكنه تظلم وابتئاس من اجل أناس تفردوا بمزايا لم تكن الا في الاقلين عدداً ممن يظهرون على اطراف السنين والاجيال ، فلو رأينا هذا الفقيد الحميد من نشأته الى مماته مثلما نرى شريطاً سينمائياً ، وهل كانت الحياة في حقيقتها الا من هذا القبيل ؟ فأين نحن الآن من احمد امين ؟

إنه اصبح بجثمانه في عالم العدم إن صح ان يكون للعدم عالم ، ولم يبق إلا ذكره واثره فيما أبقى من كتب قيّمة واعمال صالحة ورسالة علمية يؤديها من بعده كل من اهتدى بهديه واقتدى بكفاحه وسيرته ، وإن في ذريته التي اعدها للخير والوطن من سيخلفه إن شاء الله .

ولقد تساءلت هذا التساؤل لأستقري مراحل البناء في هذا العالم الأديب ، فهو لم يبن بيسر وطفرة ، وإنما بنى بزيت الليالي التي طالت وترجرجت مصابيحها على صفحاته ، يحبرها ويحررها بدقة ومعرفة ، وأنشأ هو نفسه الكبيرة بعلم وغلاب ومراس في طويل الأيام والأعوام حتى أعطى الزمان فيه ذلك الانسان الدؤوب الموهوب الذي ملأ مصر ودنيا العرب والاسلام بذكره وآثاره ، وأقبل عليه عارفوه مثل إقبال العطاش على النبع الروي الفياض .

ولئن كان خير ما أوتي المرء رجاحة في العقل وخصباً في القريحة ، فإن هذا الخصب والرجحان شغلا احمد امين وجعلاه لا يستريح ، فقد بقي يؤلف الكتب ويملي الخواطر حتى آخر لحظة من حياته ، وكان يحمد لربه حين دهمه الداء منذ بضع سنوات ان أبقى عليه سلامة الفكر والمنطق . ولما تجنى عليه عالم من دمشق كبير نشر في الثقافة يدافع عن نفسه معتصماً برجاحته وكرامته ، مشفقاً على ظالمه من جموح الرأي وانتفاضة الأعصاب .

أما عقله وعلمه فكانا يظهران من بين سطوره وآثاره ظهور النجوم في صفحة السماء نيرة متلألئة ، ولو ان نصيبه جرى في الفلسفة وحدها فتمرس بها واختص بدراستها لكان احد اساطينها

في العصر الحديث، فقد اتخذ المنطق مصباحاً في تأليفه وتصنيفه، ولهذا ظهر في احكامه الأدبيـــة التحديد والاستقصاء في تثبت وتدقيق، فلم يمل مع الهوى ولا انحرف عن الغاية بل اتخـــذ الحقيقة هدفاً ومراداً، وحين صور الحياة العقلية في فجر الاسلام وضحاه وظهره، وفي يوم الاسلام وغيره، أعطى قراءه مثالاً من العالِم الذي لا يعبأ برضى طائفة دون اخرى ولا بقوم دون قوم ولو بقي وحده في صف واحد والعالم جميعاً في صف آخر.

وقد جرّ عليه هذا المذهب تعباً وغضباً، فلم يأبـــه للناقمين، لكنه بات محزوناً لأنهم لم يفهموا عنه مقاصد قوله وتأويله ولا قدروا الحرية والسلامة في كلامه ومرامه، فهو لم يبتـغ زلفى ولا ذكرى ولا داور أو حاور في موضوعات شائكة، بل خاض فيها غير متهيب ولا متحرج وخرج بما ارتآه تفكيره وتعبيره، ولا بد من يوم قريب تواعدنا فيه بمقـــال أزحزح بالبرهان الحرج عما ثار حول آراء استنبطها مؤلف فجر الاسلام وضحاه ولم يتقبلها كثير ممن خالفوه وناقدوه، وما كان هـذا المؤلف متأبياً على الحق فإذا لاح له الصواب عاد اليه راضياً.

على ان المتتبع لحياة الفقيد وسيرته كان يشهد سير تفكيره وشعوره، فلم يكن على تعمقه في الأمور وشدته في الحـــق غليظ القلب متعنتاً او قاسياً وإن غلب عقله دائماً بل كان وديع الروح طيب النفس يعطف على المستجير والهضيم وطالب العون والتشجيع، فيساعفه على تحقيق مبتغاه، لكنه يعـود الى حرية الفكر التي آثرها في حياته العلمية فيرضي نفسه بنصيحـة يسديها او كلمة يسدد بها خطة أنجزها لمتعلم ولم يجعلها حجة له او مجازاً، ولن ننسى ما اتفق له حين استجاره طالب من عندنا حدب عليه وأغاثه، ولما كان الغد نشر الاستاذ احمد امين فكرة الاسبوع بمجلة «الثقافة» وفيها حقيقة رأيه بما صنع الطالب لئلا يخامره الغرور.

وكان هذا دأبه في حرية الحـكم على الدراسـات الفكرية والجامعية، نصيحاً في نقده صريحاً في تعبيره ووجهته، وهـو على جده لا يتحرج من نكتة يمزجها في النقاش والانتقاد.

وقد كتب تحت صورته في شبابه وعمامته امانيه في الوجود بأن يكون نافعاً في الحياة الأخلاقية والاجتماعية، وكأنه رسم بومذاك ناموس عمره ومنهاج علمه وعمله، فما انحرف ولا تعسف وما زاغ ولا راغ، وكان اول آثاره في «الأخلاق» وعاش قاضياً ومعلماً، عميداً ومديراً، عالماً وأديباً حتى آخر يوم من حياته عف الضمير والقـــلم، متجافياً عن التشدق والتأنق يؤثر البساطة في الأداء والمظهر، وما عرف عنـه الملق لحاكم او الزلفى لطاغية كما فعل كثير من الكتاب والشعراء الذين تنصلوا مما فعلوا. وقد سألته مرة وكان منشرحاً للجواب: لم اجد في آثارك مديحاً للملك المخلوع لا بسانحة عيد او ميلاد او حفـل عام فتبسم ابتسامة طفل وديع وقال:

— ... مرة واحدة، فعلتها على الرغم مني فكانت كلمة باردة جافة، فيها تكلف يخالف طبعي، فلما قرئت ظهرت جسماً بلا روح، وانكشفت فيها حقيقتي من التأبي على غير ما اؤمن به وأعتقد، فأهملت الكلمة...

وبرّ احمد امين في نذره وحقق امانيه، فكان نافعاً للجامعة والمجتمع، أفاد منه الالوف من الطلاب والمتأدبين بمصر والبلاد العربية، وتعد كتبه اليوم من أجل المراجع واكثرهـا توثيقاً وتناسقاً، كما ان ثقافته مترامية الاطراف جامعة بين القـديم والحديث.

إن نواحي القول في احمد امين عديدة لا تحصى، ففيهـــا سيرته ووجهته، وفيها علمه وادبه، ومنطقه وفلسفته، وفيهـا مشاركته في حركة الترجمة والتأليف والنشر وانشاء المؤسسات الثقافية، وبين هذه النواحي تبرز المرأة التي كان الفقيد نصيراً لها، مؤيداً لرسالتها ونهضتها، فما وضع في طريقها الشوك ولا خلاّها وجردها من المواهب والكفايات كما فعـل كثير ممن ذموا وجودها وتكوينها واتهموها بالخلو من المزايا الفكرية، فكانوا هادمين ناقمين، اما احمد امين فقد كرمها في امه وزوجته وفي بناته وتلميذاته، وقدرها قدرها في كل ذات فكر ونبوغ، وكان يرجو ان يعم التعليم ويمتد الى نساء الريف لتحظى القروية بنور العلم والحضارة.

لقد دخل احمد امين بغيابه عن دنيانا هيكل الخـــالدين واصبح في ذمة التاريخ، فلو احصينا حسناته في كفاحه ومجهوده وما لم يعرفه الجمهور من مساعيه الطيبة لرجحت على ما قدم جمع من العلماء والادباء. والفقيد يرحمه الله معدود لدى اهله وعارفي هيئته وشكله ميتاً لغيابه عنهم، امـا لدى الاكثرين في مصر والعالم العربي والاسلامي ممن لم يروه إلا بكتبه ومقالاته وبحوثه ودراساته فهو حي باق بأثره وذكره، والموت إذن نسبي إذا نسب الى احمد امين، ومن ها هنا سر خلوده.

وبعد فلئن لم أكن من تلميذاته في الجامعة فقد قدر لي ان

مفهومات في الانسان والفن

بقلم : رجاء النقاش

— ١ —

إن موقف الاستاذ محمد توفيق حسين [١] من قصيدة السياب ينطوي على خطأين: أولهما في قوله « إن كل بيت في القصيدة عصب يتنفس إحساساً، وكل صورة فيها تضج بدم الحياة ». فهذا الكلام يحمل مفهوماً للشعر هو نفسه المفهوم الكلاسيكي الذي ينظر إلى البيت على انه وحدة فنية وشعورية قائمة بذاتها، دون العناية بالقصيدة كتجربة، كعمل متكامل لا انفصال بين جزئياته، وهذا المفهوم الكلاسيكي هو الذي حققه الشعر العربي القديم. وفي تاريخ تطورنا الفني، ثورة على المفهوم القديم، تبلورت، واخذت صورتها الايجابية الناضجة في المدرسة الحديثة، التي يدخل السياب ضمن نطاق الرواد فيها مع : صلاح عبد الصبور، وفدوى طوقان، ونازك الملائكة، وغيرهم. ومن ابرز مقومات هذه المدرسة الحديثة، الانفصال الذي يكاد يكون مطلقاً عن الواقع الفني القديم في ظاهرتين : أولاهما بروز القصيدة كوحدة موضوعية حتى ان كثيراً من الشعراء الذين ذكرناهم قد اتجهوا إلى خلق عالم اشبه بعالم القصة، فتجد الحدث action متوفراً كعنصر بارز من عناصر بناء القصيدة. وقد كان الشاعر القديم يعتمد على تسجيل خاطر نفسي، او وصف خارجي للانفعال في وحدات منفصلة هي الأبيات، وكانت هذه الظاهرة الجديدة في شعرنا الحديث داعية بالضرورة إلى شدة التماسك في وحدة القصيدة حتى اصبح من « المستحيل » النظر اليها كجزئيات منفصلة — والظاهرة الثانية المتصلة بالاولى هي التغير الذي طرأ على الشكل Form في الشعر، فالشعراء الذين ذكرنا اسماءهم، قد اصبح من الصعب ان تحصل عندهم على وحدة في القصيدة اسمها « البيت » بالفهم القديم له، فالالتزامات العروضية اصبحت وسيلة يتصرفون فيها بحرية لخلق عالمهم النغمي. ومهما يكن من علاقة شكلية بين الاوزان في شعرهم، وقوانين العروض المعروفة، فاننا نستطيع ان نقول انه لا علاقة، مطلقاً، بين العروض القديم، والشعر العربي في المدرسة الحديثة التي اشرنا اليها، والفرق قائم بين: التزام الشاعر لقانون من الخارج، والحالة نغمية داخلية يلزم ألا تتعدى هذا القانون الخارجي، وبين التزام مطلق للحالة النغمية الموجودة في نفس الشاعر، حيث تكون هذه الحالة هي الموجّهة وليس لها من ضابط سواها، فإذا اتفق الوزن عند الشاعر الحديث مع القوانين العروضية القديمة، فذلك محض مصادفة. فالكائن الذي امامنا هو القصيدة، ولا نستطيع ان نقسمها الى ابيات إلا إذا قصدنا بذلك المعنى نفسه الذي نقصده حين نقسم قصة الى سطور.

هذا خطأ، والخطأ الثاني هو تصوره لمشكلة تونس، إذ ان المشكلة في اعتقادنا ليست مأتماً شرقياً للطم والندب، كما يفهم من كلامه، فمثل هذا الفهم هو نفسه عنصر من عناصر المشكلة، لانه لا يبعث في النفس ثورة عميقة واعية، بقدر ما يخلق اندفاعة لا تلبث طويلاً حتى تموت دون إحداث أثر ما، لانها تحمل في داخلها عوامل الفناء. والواقع ان مشكلة تونس وغيرها من مشاكل الشرق العربي، هي العناصر التي تخلق مأساة

(١) راجع العدد الرابع، السنة الثانية من الآداب — والعددين الخامس والسادس في باب « قرأت العدد الماضي من الآداب ».

أكون اكثر من هؤلاء معرفة به وتتبعاً لآثاره. وقد أطلت النظر في كتبه ومؤلفاته والسمع لمحاضراته واحاديثه، وكنت سعيدة برضاه عن أدبي وإهدائه إلي اكثر الكتب التي وضعها او شارك في تحقيقها، وطالما كان يلقانا بمجلسه — قريني وانا — ليحدثنا عن آخر مقال كتبه او كتاب بين يديه يتوخى فيه الجدة والاتقان، ولعله أكمل التأليف لخاتمة كتبه وكانت « الشرق والغرب ».

واليوم أترحم عليه وأصوره في هذه اللمحة الخاطفة لتصدر عن البلد الذي احبه وكان له فيه قراء وتلاميذ أحس روحه مدومة فوق رأسي باسمة لي كبسمته الهادئة في الدنيا، فيا رحمة الله الواسعة، ابسطي على الفقيد رياحين الخلود وسلام الطيبين المخلصين.

القاهرة — وداد سكاكيني

واحدة، هي مأساة «الانسان العربي» : مأساة عجزه عن معاصرة العالم، وعجزه عن تحقيق إنسانيته المسلوبة، وتخدره بذات المأساة، إذ لم يرتفع شعوره بها بعد الى هذا الحد الذي يدفعه الى ثورة عميقة يخترق فيها هذا الزمن الذي يفصل بينه وبين العالم، ويجدد قيم وجوده، ويعيش حياته في مستويات إنسانية أرقى – وهذه المأساة هي المنبع الاصيل، لاى فن عربي صادق، ومن هنا يكون خطأ ان تقول ان شاعراً انفعل بمأساة تونس، وفرداً آخر لم ينفعل بها، إن تونس ليس لها مأساة، ولكن لها مشكلة، اما المأساة فهي عامة شاملة ينسحب اثرها على كل عربي معاصر. وصحيح انها تأخذ في كل وطن صورة متمايزة عن غيرها في بعض الجوانب، ولكن هذا التمايز لا يمكن ان يتضح في الشعر الذي تحتم طبيعته الاحتفال بأشد العناصر كلية في المأساة، بينما يمكن ان يتضح هذا التمايز بين صور المأساة، في القصة او المسرح، ومن هنا ينبغي ان يكون وضع السؤال على وجهه الصحيح بالنسبة لقصيدة السياب، لا : هل أحس السياب مأساة تونس ام لا ؟ – ولكن : هل صدرت هذه القصيدة عن شاعر بالمأساة التي يعيش فيها العربي المعاصر ام لا ؟ – والفرق بين السؤالين هو الفرق بين مفهومين عن مقدرة مضمون الشعر على الاحتواء التراجيدي، احدهما وهو فهم الأستاذ حسين، هو ان الشعر يحتوي ويلزم ان يحتوي على التعبير عن الآني والجزئي في المأساة، وهو نفسه الفهم القديم الذي كان يتحقق في رثاء شاعر «لقائد مات»، او في «هجاء العدو»، و «مدح المكافحين» وغير ذلك – وثانيهما وهو ما نفهمه من ان الشعر لا يحتوي إلا التعبير عن «جوهر» المأساة، عن شعور كلي وعام ... متأصل غير آني، – وإجابتنا على السؤال بالنسبة للسياب هو انه احد الذين يشعرون بمأساة العربي بوجه عام، وان إحساسه يتميز بانه من اللون التأملي الهادىء، الذي لا يخلو من انقباض، ولذلك فعالمه النغمي اكثر هدوءاً من عالم غيره، حيث يتميز النغم بالعنف والنزوع الغني للتمرد والثورة، مما يتضح منه ان شعر السياب يخلو مما وصفه الأستاذ حسين به من «ضجيج» الحياة وغير ذلك – وقصيدة «يوم الطغاة الأخير» لا تخلو من خصائص السياب، ولكنها اقل عمقاً من شعره واكثر هدوءاً حتى إنها تصل الى درجة الرتابة والبطء الانفعالي الشديد، مما دفعنا الى ان نقول انها مفروضة على الشاعر من خارجه : لكأنه كان يكتبها وهو ضجر .

هذا هو تفسير حكمنا على القصيدة، وقد قصدنا من هذا التفسير الى إثبات حقيقتين : اولاهما ان رأينا في القصيدة ليس رأينا في السياب، والثانية هي ان هذه القصيدة بالرغم من رأينا فيها بعيدة كل البعد عن عالم الاستاذ حسين : بمفهومه الكلاسيكي عن الشعر، وطبيعة إحساسه الآني غير العميق بمأساة الانسان العربي .

– ٢ –

ويقول الاستاذ محمد توفيق حسين إن الانسان المجرد خرافة، وانه ليس إنساناً من لحم ودم، وانا اسألك كيف فهمت هذا الفهم لكلامنا ؟ إن كلامك لا يعدو ان يكون وصفاً ومناقشة لمفهوم خاص بك، هو، كما فهمناه من مقالك : الماهية الذهنية للانسان المثال – اما نحن فلم نقصد إلى هذا المفهوم، ولو قرأت ما كتبناه قراءة متأنية، لما فرضت علينا مفهومك عن الانسان المجرد، ثم اخذت تناقشنا على هذا الأساس الخاطىء، – فقد قلنا الانسان المجرد بعد ان ضربنا ثلاثة نماذج من قصص عالمية مختلفة، ونموذجاً رابعاً لقصة روسية معروفة، وكانت النماذج المختلفة في تلك القصص هي : فلاح روسي، وطبيب قرية، وبنت صغيرة فقدت والديها، وناس في روسيا، وليس من المعقول ان نقصد بهذه النماذج التي ضربناها إنساناً خرافياً، وضمن القصص التي ذكرناها قصة «طبيب القرية»، وهي قصة ذات شهرة عالمية، اي قصة مكتملة فنياً من ناحية، وغنية بالتعبير عن إنسان موجود يعرفه العالم الذي أعجب بهذه القصة ووضعها في مكانها ذاك من ناحية اخرى . إن الذي قصدناه بالانسان المجرد، والذي يستطيع اي قارىء ان يفهمه من كلامنا لو اراد إلى الحقيقة لا إلى الجدل، ليس الماهية النظرية، ولكن الحقيقة الموجودة في كل إنسان على هذه الارض ... إنه انت وانا وغيرنا، على اختلاف البيئة والظروف : حين نحب او نبكي او ننفعل اي انفعال لا يصدر إلا عن نوع الانسان، إذ ليس هناك مثلاً حب روسي، وآخر مصري، ولكنه عاطفة تصدر عن الانسان حين يتجرد من كل عامل عارض او صفة اتصف بها مصادفة وليست البيئة والظروف الخارجية الاخرى، بالنسبة للانسان، إلا عوامل عارضة . كان من الممكن ان تتغير، ولو حاولنا ان ننظر إلى الفن منذ نشأته لوجدنا ان موضوعه الخالد، ونبعه الاول هو : الانسان المجرد كما قصدنا اليه،

ولم يحدث ان استمد عمل فني ، قيمته ، كفن ، من اتسامه بسمات بيئـــة معينة او صدوره عن اقتناع ذهني ســـابق بنظرية ما ، وقيمة اي نموذج ينجح الفنان في خلقه بقصة ما ، هو انه يصور الانسان المجرد ، في « أزمات » أو « حالات » أو « مواقف » ، وتدخـــل البيئة بل وتكون ضرورة احياناً ، فتخلق ما يدخـــل في خانة من الخانات السابقة : الأزمة ، او الحالة ، او الموقف ، ولكنها لا تكون مصدر النجاح او الاهتمام في الفن لأنها تقوم بدور العامل الخارجي الذي اصطـــدم به « الانسان » ، ولا قيمة لأي عامل خارجي لا يساعد على إشعار القارىء بمشكلة الانسان او ازمته . ولذلك فهو ينعدم في بعض الاعمال الفنية - حين تنعدم ضرورته ، دون ان يكون الانسان آنذاك ، خرافياً ، تماماً كما هي الحـال في « طبيب القرية ... » لكافكا التي اخـذت مكانا كبيراً في الأدب العالمي بالرغم من تصويرها انسانا بلا بيئة ، ويكاد يكون بلا عصر لولا ارتباطه بأزمات الانسان المعاصر . وفقدان البيئة وغيرها من العوامل الخارجية في هذه القصة القصيرة ، لم يفقد طبيب القرية مقوماته كإنسان يكاد كل منا يجد نفسه فيه .

ولنأخذ فناناً « كتورجنيف » : ان ليزا في « عش النبلاء The nest of nobles » و « إلينا » في « ذات مساء «On the Eve» » لا يستمدان قيمتها كفن من انتسابها الى روسيا .. ابداً ، انها في الحقيقة بما فيهما من نزوع مثالي ، نموذجان إنسانيان اولاً ، وهل اصدق من سلوكها دليلاً على ذلك ؟ .. لقد تخلت إحداهما ، إلينا ، عن وطنها روسيا ، وخرجت مع « انساروف » ، مؤمنة به وبقضيته ، وهو غريب عن وطنها وقضيته بعيدة عن قضيتها كروسية .. لم يكن لهـــا غاية من ذلك إلا تحقيق وجودها كإنسان مجرد ، لقد فضلت الحياة مع الافلاس والغربة والسل ، وتركت وطنها وطبقتها الناعمة . ولم يكن ترجنيف يوجه سلوكها في القصة الى غائية معينة ، كان ما تفعله هو غايتها : ان تحب ، ان تحب انساروف بما فيه من نزوع ثائر ، من ايمان بقضية ، من موت يأكل أيامه ويكاد يضع امام عينيها مأساة يقينية .. وحين تحدث المأساة بموت إنساروف ، تكتب الى امها من بقعة مجهولة : انها لن تعـــود .. ستكون إنسانة مجردة ، امتداداً لانساروف ، الذي غاب منذ قليل .

ولو كنت قد قرأت لفنان واحد من الذين ورد ذكرهم في

- التتمة على الصفحة ٦٤ -

قيصر

الجائعون على الطريق تجمّعـــوا وتجمهروا
يتهامسون على الرصيف .. هنا سيعبر قيصر
ويثرثرون كما الذباب على الفتات يثرثر
سيمرُ يتبعه الجنود على الخيول .. تحدّروا
ويصيح طفـــل بالرفاق تفسّحوا - ويزجر
ويمر ما بين الصفوف .. محاولاً .. يتعثر .
فيجره من خلفـــه طفل هنا .. متأخر .
فيشق فضلة ثوبه ، يبـــكي الغلام ويجأر
لكن آمال الصغـــار تموت ثمّتَ تنشر
سيمر قيصر من هنا ، مثـــل الغمامة تمطر
وتحفه الخيـــل النجيبة ، والنقـــود ستنثر
وتمدُّ أعناق الصغـــار إلى الفضاء لينظروا
سيمر بين طريقنا . متهاديا .. يتبختر
ويبعثر الذهب النضار - على الرؤوس يبعثر
ويقول طفـــل : يا رفـــاق أتسهرون ، سأسهر
وإذا ابي نادى علي .. اما تجيء .. وتحضر
سأقول .. لا .. واظل العب والنجومَ واسمر
ومع الصبـــاح سأشتري حلوى تلذ وتسكر
فتقول امي : هل سرقت ؟ أما تخاف وتزجر ؟
فأقول لا .. لا ما سرقت .. لقد تبرّع قيصر .
ومضى الزمان كأنه فوق الحيـــاة مسمّر
والريح تقتلع التراب مـــن الطريق وتنثر
والمرهقون عيونهم جمدت فمـــا هي تبصر
والـــبرد يهرأ لحمهم فوق الرصيف ويعصر
وهنـــاك اقبل حارس بعصاه موت .. احمر
ورمى الحفاة بنظرة .. منها الحفاة .. تحجروا
امضوا ولا تقفوا هنـــا وحذار ان تتأخروا
وخذوا الذباب ، ذبابكم ، فلسوف يعبر قيصر

القاهرة **كيلاني حسن سند**

أنعيش عصرنا أم نفرّ منه ؟

الآداب تستفتي

« نشرت مجلة « الانباء الادبية » الفرنسية في احد اعدادها الاخيرة اجوبة عدد من ادباء فرنسا عـلى سؤال اعتبرته قضية اليوم ، وهو : « أينبغي للاديب المفكر ان يعيش عصره ام ان يفر منه ؟ » وقد اختلفت الاجوبة طبعاً ، فبينما قال موريس بيدل « يجب ان يعيش الاديب عصره بالتهاب » قال جوليان باندا: « ان القضية الوحيدة التي يتجه اليها الانتباه الآن هي القضية السياسية، ولا يمكن الفرار منها ». وقال اندريه شامسون: « ليس لي الخيار فأنا افر من الحياة الحاضرة بان اعيشها في كثافة . وهذه الكثافة نفسها هي في الوقت الحاضر فرصتي الوحيدة للفرار » . وقال بيير هامبورغ : « الافضل ان يفر الانسان من الحياة . ويجب عليه ان يقرأ ويخرج كثيراً ، وينسى على اي حال. ولا يفر المرء حقاً الا بالفكر » وقال روبير راي : « ان الفرار ، وهو اصطناعي دائماً ، جبن وتمرين لا يرتضيه إلا الخصيان . ان على المرء ان يصارع حتى الدقيقة الاخيرة ، ويقاتل عند اللزوم ضد العالم كما هو الان . المهم الا يصعد مطلقاً الى البرج العالي فوق الجموع . ان هذا نوع من الانتحار » .

ولا ريب في ان هذه القضية على غاية من الاهمية بالنسبة الينـا نحن العرب ، في هذه المرحلة الحرجة من حياتنـا . فما هو جوابكم على هذا السؤال ؟ » .

جواب السيدة اميلي فارس ابراهيم (لبنان)

ليس الاديب المفكر ، اياً كان وفي اي مكان وزمان، سوى انسان.

وما اوتي لأنسان ان يفر من عصره – من معاصريه ... اذ ليس له أن يختار البقاء بينهم او الفرار منهم وهو الانسان . والانسان العادي اجتماعي بطبيعته ونفسيته وعيشه وحيـاته ، فكيف بالانسان الاديب المفكر المفروض فيه امتيازه على الانسان العادي بالأدب والفكر ؟ وفي عرفي ، ان الانسان الفرد الممتاز المتفوق على سواه يزداد اجتماعية لا فردية كلما ازداد امتيازاً وتفوقاً . وهو في حال الامتياز والتفوق يتقدم معاصريه ولا يفر منهم ... ان الراعي لا يفر من قطيعه عندما يتقدمه رائداً نحو المراعي والموارد . وان الإمام لا يفر من المصلين خلفه عندما يتقدمهم ليؤمهم في المحراب مجلياً. والقائد لا يفر من جيشه عندما يتقدم الجنود ليسير بهم الى النصر في الميدان... ومفروض في الاديب المفكر ان يكون كالرواد الأئمة القادة ، وإلا فما هو بالأديب المفكر، ما هو بالانسان ذاك الذي يفر من عصره – من معاصريه، ليعتزلهم بعيداً عنهم . والاعتزال فرار . انه بعض الموت .

فالأديب المفكر اذن هو من عايش عصره ومعاصريه ، وتحسس آلامهم، وشاركهم في معقدات حياتهم ، (وحياته منهـا بالطبع) فراح يتطلع الى الآتي ويعده لأن يكون احسن وافضل مما هو . وهذا ما نسميه بالمرامي . هذا هو التقدم ، هذا هو السبق الذي قد يلتبس على البعض فيظنونه ابتعاد او فراراً . واذا كان هذا هو الفرار من الجمود الى التحرك ، من الوقوف الى التقدم ، فيا نعم الفرار... ونعم اليوم الذي يوضح فيه الادباء المفكرون في دنيا العربية ادواء مجتمعاتهم ومآسيها فيخططون التصاميم لبنـاء المستقبل الاحسن والافضل ، ويوفقون على الاقل الى ان لا تظل ديارهم وشعوبهم على الشطرنج لعبة الامم ، وفي بحار الحياة تحت رحمة التيارات .

جواب الاستاذ محيي الدين اسماعيل (العراق)

الأدب قوة ايجابية منفعلة فاعلة ، والأديب المفكر الحق في صراع دائم مع عصره ، فهو يأخذ منه ليعطيه ويغنيه وليس هناك من ادب لولا هذا التفاعل المشبوب: هذا الصراع الكياني بين الاديب وعصره . فالأديب لا يتعامل تعاملاً «موضوعياً» مع واقعات عصره، كما هي الحال مع العالم الكيماوي امام اجهزته في المختبر ، حيث يظل واقفاً بمعزل عن التجربة يرصدهـا دونما انفعال، إنما الاديب كائن ينفعل انفعالاً «ذاتياً» لعصره وقيمه ومضامينه. ولولا ذلك لبطلت رسالة الأدب ، واستعيض عنها برسالة العلم .

ولكل عصر قيمه وحقائقه الكيانية الخاصة به، ومهمة الاديب ان يكشف عنها بأن يعيش عصره بعنف وتوتر، لكي يستطيع ان « يفسر » عصره تفسيراً صادقاً مخلصاً . ولا يتسنى لأديب قط ان يفر من عصره ، الا اذا شاء ان يتخلى عن رسالته .. ان ينتحر . ومن هنا نجد ان دراستنا لأي اديب من الادباء لا تتم وتتكامل ما لم ندرس العصر الذى عـاش فيه ذلك الاديب ، ومـا لم نتبين القيم التي سادت ميدان ذلك العصر . وحتى دعوة « الفرار » الاخيرة هذه ، ما هي الا تعبير سلبي عن بعض القيم الطافية على وجه عصرنا الراهن ، كالقلق والجزع والهم التي يتسم بها جيلنا اليوم .

واذن فعلى الاديب المفكر ان يعيش عصره بقوة وحرارة ، وان لا ينتكس في هذا الفرار السلبي المصطنع ، اذ لا عاصم اليوم من امر عصره .

جواب الاستاذ منير البعلبكي (لبنان)

في منطق الحياة لا فرار . لأن الفرار عنوان الهزيمة وآية الانتحار والهارب من العصر ، كالهارب من المعركة ، محكوم عليه بالموت . لأن الحياة لم تكتب الا للعاملين المناضلين الذين لا يؤثرون العافية ، ولا يقولون بلسان الحال : « من بعدي الطوفان ! » .

واذا كان هذا هو قضاء الحياة في ابنائها جميعاً ، بل قضاءها في كل كائن حي من الاناسي والعجماوات سواء بسواء ، فكيف جـاز لمحرر « الانباء الادبية » الفرنسية ان يسأل : « أينبغي للاديب المفكر ان يعيش عصره ام ان يفر منه ؟ » والادباء المفكرون هم طليعة الامة ومنائر الجيل المفروض ان تتمثل فيهم اكثر من غيرهم إنسانية الانسان، ومجتمعية الانسان، ونضالية الانسان من اجل حياة كريمة سعيدة؟

ان « الاديب المفكر » الذي يفر من عصره ليس اديباً ولا مفكراً، قد يكون فيلسوفاً غيبياً رجعياً ، او متصوفاً توكلياً تنبلياً ، او خائناً قضية بلاده بسبب من جبانة او جهالة او إيثار لمنافع عاجلة يسيرة او غير يسيرة، ولكنه لا يستحق، في ميزان القيمة الدقيق الحاسم ، ان يسمى اديباً ، بله اديباً مفكراً .

الاديب المفكر يعيـش عصره ويشارك فيه : يشارك في ثقافته ، في همومه ، في قضاياه الكبرى ، ويلعب دوره الايجابي في تطوير ذلك العصر، ومحاربة آفاته ، ولإزاحة العراقيل التي تضعها الفئات الرجعية في طريق تقدمه الصاعد، وبذلك يسهم في خدمة مجتمعه، ويضع لبنة فى بناء عصر جديد هو اقرب الى الكمال الانساني من العصر الذي يعيش فيه .

وكلما كان المجتمع الذي يحيا الاديب المفكر في خضمه متخلفاً عن ركب التطور العالمي ، بعيداً عن التحقق بشرائط المجتمع الصالح كانت مسؤوليته اعظم ، وخيانته اذا آثر الفرار لسبب من الاسباب ، اكبر .

وهنا تتجلى حتمية موقف الاديب العربي من عصره . انه موقف الكفاح النير الذي يحرر المجتمع العربي من كل ما يجعله مجتمعاً مهترئاً فاسداً ، والذي يرتفع به الى مستوى المجتمع الامثل . وهي حتمية يقتضيها المفهوم الحديث لمعنى الأدب على وجه العموم ، بقدر ما يقتضيها واقع الامة العربية على وجه الخصوص .

جواب الاستاذ عدنان الراوي المحامي (بغداد)

الى وقت قريب كان الاديب غريباً في مجتمعه ، وبعضهم ما يزال كذلك ، ذلك هو الفرار ، واولئك هم الفارون ، والمسألة ليست سياسية ، انها مواطنة كما اعتقد ، تتوقف على اعتبار الاديب ذاته مواطناً ممتازاً تتوفر فيه مميزات القدوة .

وفي هذه المرحلة الحرجة من حياتنا ، نحن العرب ، يكون على الأديب ان يتحمل مسئولية القيادة النضالية . تأكدوا ان هذه المرحلة من حياتنا ليست حرجة فحسب بل انها مرحلة حياة او موت . أنتم تعلمون ان (ماوتسي تونغ) شاعر يقود الصين الشعبية نحو الحرية وان شاعراً آخر يقود الفدائيين في (بورتوريكا) مجاهداً ضد الاستعمار الاميركي ، وعلى ادباء الوطن العربي ان يحددوا موقفهم على هذا الاساس .

ان حصيلة الوطن العربي من الادباء المجاهدين اقل من القليل ونحن بحاجة الى واحد مثل ناظم حكمت يقضي الشطر الاكبر من حياته في السجون ، ذلك هو موقف شاعر تركي ، مع اختلاف الوضع هناك عن الوضع عندنا .. والامثلة في هذا المجال كثيرة .. لا تخرج عن كون هؤلاء اعتبروا ذواتهم مواطنين، حتى اعتبر بعضهم نفسه مواطناً عالمياً بعد ان قدم كل طاقته الأدبية في ساحات كفاح موطنه الأم .

وطبيعي اننا لا نطلب من ادبائنا ان يكونوا عالميين حالياً وفي هذه المرحلة من حياة وطننا العربي ، ونحن كذلك لا نمنعهم بعد ان يقدموا طاقاتهم الادبية لهذا الوطن من ان يكونوا كذلك .

ليس هنالك مبرر للفرار من ان يعيش الاديب العربي عصره مواطناً إلا الجنون .

جواب الاستاذ صبحي شفيق (مصر)

ان استفتاء مجلة « الآداب » يلمس احدى المشكلات التي نعيشها الآن بكثافة : هل نكتب لكي تكون كتابتنا فعالة او اننا نتكلم لمجرد الكلام ؟ وبالنسبة لي ، ككاتب من كتاب اليوم ، فأنني لم امسك بالقلم قبل ان اسأل نفسي : لماذا نكتب ؟ لأن هذا السؤال يضعنا وجهاً لوجه امام ماهية كل ادب ، انه يبدأ ببلورة المفهوم الذي كونته الانسانية - والكاتب دائماً وعيها النابض - عن الادب ، وانتهت بتحديد واع لما نسميه عادة الفعل الادبي . لكن ما معنى هذا ؟ لكي نفهمه ، علينا ان نميز بين الادب الذي كتبه اجدادنا وهذا الذي يتصل بوضعنا الحالي .

فقديماً ، كان الادب يعتبر « حالة »، كان الكاتب يصف اشياء جميلة، يزين الحياة ، ينقد المجتمع ، يلتقط بطريقة حدسية مختلف مظاهر النزوع الانساني. وكان الكتاب يتظاهرون بأنهم اكثر موضوعية منهم في أي وقت آخر . انهم كانوا ينظرون ويجعلوننا نشاهد معهم . ولكن لم يكن هناك اي تدخل من جانبهم يمكن ان نحسه في اعمالهم . هكذا كانت حالة الادب الكلاسيكي وهذا الذي نسميه عموماً ادباً واقعياً .

هل لاحظ هؤلاء الكتاب أنهم كانوا يتبعون القاعدة الذهبية التي كانت تقول : « المعطيات تساوي المعطيات » حتى عندما كانوا يتكلمون ادباً ؟...

حقاً ، لم تكن الاشياء التي يكتبونها لتختلف عما هو واقع : الخارج كالداخل ، كلاهما آمن . اما الذات المعبرة فتمسة . ولنحدد . حين شرع بلزاك في كتابة «أوجيني جرانديه» كان (يلحظ) في الحقيقة ان إبنة البخيل، مع براءتها ، لا تستطيع ان تعيش كبقية الناس، أي حرة ، فأن «أوجيني» في نظره تعاني شيئاً يهدد كيانها : انه ضغط المجتمع الذي يمثله هذا الأدب القاسي . وهنا بالضبط نستطيع أن نعثر بالباعث على كتابة القصة : أكتبها ليغير من نظرة المجتمع الى حق الابناء في الحياة ؟ أكتبها لينهانا عن البخل ؟ ربما . ولكن مها اختلفت الظروف فأننا نجد أن بلزاك قد (أحس) أن (الآخرين) يهددون تلقائية هذه الذات الحرة . ولأنها حرة فهي تندفع إلى الدفاع عنها . لهذا حرك المشكلة ، وضعها امام الناس ، اعني ، في كلمة ، بدأ (الفعل الادبي) يبرز كحقيقة . وهنا نسأل : وهل لا تستطيع (اوجيني) - في الحياة طبعاً - ان تدافع عن حريتها ؟ ان تثور ضد ابيها ؟ ولو حدث هذا لما كان هناك اي دافع لكتابة القصة .

إلا ان حاسة الكاتب (بالفعل الادبي) افسدت الادب نفسه . ذلك انه فهم ان عليه ان (يصور) الموضوع، قائلاً في النهاية: «يا لتماسة الواقع ! ألم ارسم كما هو ! مسكينة هي (اوجيني) ! » . ولهذا ايضاً ، صب لعنته على الاب. ولم يفهم ان كليها انسان ، ليس ملاكاً وليس حيواناً ، وان المسألة لا تخرج عن كونها عدم فهم لحريتها .

لو كان (بلزاك) قد وضع هذا كله في صورة (موقف) وبدأ يحدد واقعاً ويرسم طريق كل وجدان بشري من وجدانات شخوصه في حالة التفاعل مع الواقع ، لأمكنه ان (يغير) من الواقع . لكن العصر نفسه كان ساذجاً . وبلزاك ابن عصره .

نستلخص من هذا ان الاديب يقف امام المجتمع ليقول له ، بطريقة لا يوجد سواها ، اعني بالتعبير ، ان هذا الموقف اسمه (كذا) . فالمعروف، ان المجتمع منذ بدايته حتى اللحظة ، قد احاط نفسه ، ليحفظ كيانه ، بقيود تتبع خطوطاً مستقيمة ، اي منطق مقوماته بمنطق صوري، كالعدالة والعقاب وحق الضريبة ، الخ ... لكن فيما يدخل في دائرة التلقائية ، نسي نفسه . ان المجتمع الذي يفرض لنفسه دستوراً ثابتاً يجهل ابداً (ديالكتيكية) النفس البشرية التي هي ، في جوهرها ، نزوع وحرية . ونتيجة لهذا تحدث باستمرار ازمات . تريدون مثلا ؟ الحرب ! ما هي الحرب ؟ لا اكثر من نزعة لقتل من هم قد وجدوا للحياة. ما هي الفاشية ؟ حركة تجعل منا اشياء ، (احجاراً) تصطف بيد واحدة هي يد الدكتاتور . هنا ، نجد انفسنا قد حكم علينا بالموت ولا زلنا احياء . لماذا ؟ لأن (انا اريد) قد كفت عن الحياة ، اصبح المستقبل مقيداً بالخط المستقيم الذي قد رسم قبلا ، لم يعد هناك مسوغ لأن نتابع شيئاً لن يبهرنا من جديد .

هذه الازمات اغفلها المنطق والتشريع . وقولوا لي : هل من الممكن ان نرفع قضية على العالم كله امام محكمة من المحاكم لنقول فيها : « اوقفوا الحرب ايها القتلى لأننا خلقنا للحياة ؟ » . ثم ان المشكل لا يقتصر على المفهومات الكبيرة : في اي (ديوان) حكومي يحس الموظف انه آلة ولا يتكلم . هل يرفع بدوره قضية ضد رئيسه يقول فيها : ان رئيسي يجردني من تلقائيتي ؟ ... من هنا لا بد من اداة تغير من الضغط الخارجي على الحرية . وقد عرف المجتمع كيف يخلقها. وكان بذلك مولد الادب . ولكن لا اعني بهذا ان علينا ان نضيف على ماهية الادب اطاراً خارجياً اسمه

(ايديولوجي) يحيط جوهر الفعل الادبي ويرسم له (خطة) فتصبح العاطفة النازعة الى اقامة موازاة في المجتمع عبارة عن موشور. صحيح ان الادب في جوهره اتجـاه من (ذات) الى الآخرين تقول لهم : انكم اقل حرية فثوروا ... لكن ما هي الحرية ؟ لا شيء . لا شيء ما دامت الحياة ليس لها معنى . لا شيء ما دمنا مقيدين الى وجود ليست له حروف ابجدية . لا شيء ابداً . ولأنها لا شيء فهي لا تقيد (ما اريده انا) . انما - امامي - المستقبل مفتوح . فأذا ما قيدتها انت الآخر لتقول لي : (حريتك انك مدرس او موظف !) .. فأنني احس اني نسخة واحدة من صحيفة لن يضـاف اليها جديد ، معرضة لكل يد ، لكن الاخبار فيها تأخذ عنـاوين جديدة ولا تتغير . من يدافع عني ؟ من (يغير) الحكم الصادر عليّ ؟ انه الادب ... وما دام حكم الآخرين صادراً عن (وعيهم) وعن (رأيهم) وعـن (ارادتهم) وعن (رغباتهم) ، فهو حكم داخل في منطقة واحدة ، هي : الشعور بالكينونة البشرية La conscience d'être وما دام هذا الشعور لا يدخل في حكم ايّ منطق ، فلا مفر من ان يخاطبه الاديب . واذا تكلم فأنه يعرض عليك (الجدل الدائر بين (انت)و (انا) وما يحوطنا . ان يدفعنا لتغيير واقعنا ، للتحرر من نقطة تجمدنا فيها . انه يدفعنا الى المستقبل . ولهذا يرد لنا تلقائيتنا وحريتنا .

هل يهرب الاديب اذن من الواقع الى عالم الخيال ؟ . لقد ظن موروا امكان هذا . وتبعه عدد من ادباء فرنسا . فكانت هزيمتهـا . لكن حينما ظن سارتر وكامو ومالرو ان الادب تغيير في دائرة الواقع، تحررت فرنسا . هل هناك جدال في اننا نتجه من الخارج الى الداخل لنجد انفسنا قد انطلقنا نحطم هذا الخارج ؟...

ان بين الواقع وبيني (انا) نوعاً من الصراع . كلما كف الواقع عن ان يكون لي أغيره كما اشاء ، كلما احسست بانني مهدد . لأن الواقع مجرداً من اي معنى ، ليس اثري الفني ، انني لم اخلقه ، انه مادة معطاة لي تشكلها ارادتي . وأي شيء اكثر فاعلية من التغييرات التي احدثتها العمارة والرسم والموسيقى والأدب ليجعلوا من الصخر الهامد صورة تحمل طابعي هي المنزل.

ومن الاصوات اهازيج بشرية ، ومن الايماءات العرضية تعبيراً حياً ، ومن اللغة المملة رموزاً تملأ شعورنا منذ الابد بصور مختلفة لتمايز النوع البشري؟...

يخيل الي ان صورة الاستفتاء في الصحيفة الفرنسية تحمل تناقضاً . فهما كتب الاديب كلاماً فارغاً فأنه يصور انعكاس المجتمع عليه. فقط : هناك اديب واع يسمي الاشياء باسمائها وأديب يقول ادبا ...

جواب الاستاذ موريس صقر

هذا السؤال يحرك نزعتين متناقضتين في كل انسان يعي وجوده ، وخاصة الاديب . وفي اعتقادي ان الجواب عليه لا يمكن ان يكون مرضيـاً إلا بمقدار ما يأخذ بعين الاعتبار النزعتين معاً . فالأديب يشعر اولاً بحاجة ملحة الى ان يعيش عصره ، اذ ان العصر هو جزء اساسي من وجوده ، وهو الوسط المادي والفكري الذي يستمد منه الغذاء والإلهام الى حد بعيد . والاديب يشعر في الوقت نفسه بحاجة ملحة الى الفرار مـن عصره ، او بالأحرى من البشاعة والحماقة والحقارة التي كثيراً ما تطغى على العصر وتطمس معالم الجمال والنبالة فيه وتحول الكون الى شبه سجن يحد من انطلاق الانسان ويحول دون ارواء عطشه الى اللامتناهي . وغالباً ما يأمل الاديب ان يمكنه الفرار من خلق عالم رحب ، يتعدى الزمان والمكان ولو في الوهم ، عـالم ترتاح اليه النفس او يخيل لها انها ترتاح ، عـالم يهدأ فيه بعض القلق النفساني الناتج عن اصطدام الانسان بحدود ذاته وعجزه عن تحقيق امانيه الكيانية .

ولكن يستطيع الاديب ، على ما نعتقد ، ان يوفق بين هاتين النزعتين المتناقضتين (وما اكثر النزعات المتناقضة في الانسان) وذلك بالغوص الى اعماق ذاته واعماق عصره معاً واستيعاب ما هو اصيل فيهما وادخال هذا الاصيل في صلب حياته . وهكذا يتوصل في آن واحد الى الاندماج في عصره ، الذي هو منه وله، والى الهيمنة عليه والاتصال عن طريقه بما هو صـامد ، ثابت عبر الاجيال ، اذ ان العصر الذي نعيش فيه لا ينفصل عن تدفق الزمن بل هو من ضمنه ، يتحدر من الماضي ويحمل المستقبل كالجنين . وفي نظري ان شرف الانسان وحقيقته، سواء أكان اديباً ام لا ، يحتمان عليه ان يتجند لخدمة الحق والعدالة والمعرفة ، اي لخدمة ما يتوق اليه جوهره . وهـذا الكلام يصح بنوع خاص في بلاد العرب حيث الحق والعدالة والمعرفة بحاجة قصوى الى ان تخدم وتعلن ، واذا تصفحنا التاريخ نجد ان الادباء الخالدين هم الذين عاشوا عصرهم بحرارة من جهة ، وعرفوا من جهة ثانية ان يرتفعوا فوقه ليتصلوا بما هو انساني ، خالد ، على ممر العصور .

جواب الاستاذ شاكر مصطفى

يخيل الي ان في وضع السؤال بعض الخطأ . وهذه الـ (ينبغي) في اوله تقف في خاطري كالشوكة ، كلوحة التضليل عـلى مفترق الطريق . فأني اعتقد انه ليس ثمة ما ينبغي او لا ينبغي عمله بالنسبة للاديب (المفكر !) هناك « حياة » كاملة تعاش ، تلتهب في القلب ، تتفجر كل لحظة بما فيهـا من زغاريد وعويل وفعل ورد فعل . و (العصر) يتغلغل فينا حتى العظام ، حتى السديم الفريزي .. هو نسيجنا المبهم. ومن ذا الذي يستطيع الفرار مـن عصره ومن الزمان ؟

وهل يأبق الانسان من ملك ربه   فيهرب من ارض له وسماء ؟

فقل ان شئت : (يجب ان يعيش الاديب عصره بالتهاب) او قل بالهرب والبرج العاجي. ففي اعماقك، برغمك يختبىء عصرك ؛ وتموي ، كالنعيب الفاجع مشاكله . لا مجال للهرب مما يعيش فينا ، ويعيش بنا .

المهم في الموضوع ان تكون مخلصاً لنفسك ، ان لا تدع الخيانة تزحف الى فكرك وتشوهه . ان الثقافة الحقيقية تفترض موقفاً من الحياة وليكن

هذا الموقف ما كان فهو الذي يمنح القيمة للانسان ومن اجله وحده يجب ان يناضل . وبهذا الاخلاص للفكر يحيا الاديب (المفكر) عصره « بكثافة » ويذوب فيه برغمه ويعمل . اما تصنّع الحلول وأما استعارتها والعيش الزائف على موائد الآخرين فهو الهرب الجبان، وهو العدمية والفراغ وبرج الوحل، ان الفكر الذي لا يعاش ليس بفكر .

جواب الدكتور محمد مندور

الأصل عندي ان يعيش الاديب المفكر عصره حتى يكتوي بناره او ينعم بسعادته ، ولكن الحياة كالخضم الهادر او الصحراء المحرقة لا بد لسالكها من جزر وواحات يأوي اليها من حين الى حين حتى لا يهلك في الطريق وحتى يجد السكون اللازم لعملية الترسيب التي تمكنه من استخلاص نتائج تجاربه . ومن هذه الجزر او الواحات يستطيع ان يتبين الكثير من معالم الجهاد في الحياة التي قد تخفى عليه وهو مأخوذ بحمى الجهاد في المعركة . وإذا لم يكن بد من ان تسمى هذه الجزر والواحات هروباً من الحياة ، فأنني لا ارى بأساً في هذا الهروب بشرط ان تكون الجزر والواحات التي نهرب اليها امامنا لا خلفنا، ومنها يستطيع المفكر ان يرسل اضواء الهداية لإخوانه في الإنسانية الذين يصارعون امواج الحياة او يضلون في متاهات فجاجها . واما الهروب الى الخلف والتقاعد عن السير مع ركب الحياة او الالتجاء الى ابراج عاجية مقفلة النوافذ فذلك ما لا اؤمن به ، حتى ولو كان الانطواء في تلك الابراج كانطواء دودة القز داخل نسيجها ، وذلك لما هو معلوم من ان هذه الدودة الخيّرة تموت هي نفسها داخل نسيجها الذي يصبح لها قبراً.

لا بد للاديب المفكر من معاناة الحياة وإلا كان ممن يتثاءبونها . والمعاناة هي سبيل المشاركة الوجدانية التي تنفث الروح في قلم الاديب وتثير حرارة القلب التي تنفذ الى قلوب الآخرين فتدفعها نحو مثل الحق والخير والجمال .

جواب الاستاذ ميخائيل نعيمة

وهل لأي اديب إلا ان يعيش عصره ؟ فكيف يفر منه ؟

أليس قولك (اديب) يعني انساناً يحس حاجات النـــاس ومشكلاتهم احساساً قوياً ، ويفكر فيها تفكيراً عميقاً ، ثم يعود فيبسط للناس احاسيسه وافكاره في قوالب من الكلام يكون نصيبها من الصدق والوضوح والجمال ، ومن التأثير في القارىء ، على قدر ما يكون نصيب صاحبها من الاخلاص لنفسه ، ومن سلامة الذوق ، وصفاء الذهن ، وحرارة الايمان بما يقول ؟ فالذي (يهرب) من الناس لا يستطيع ان يحس حاجاتهم ومشكلاتهم . والذي لا يحس حاجات الناس ومشكلاتهم لا يستطيع ان يكتب للناس . واذن لمن يكتب ؟ لنفسه ؟ وهل يكون اديباً مَن لا قراء له غير نفسه ؟

غير ان حاجات الناس ومشكلاتهم اصناف واصناف : منها ما هو وليد ساعة عابرة ، ومنها ما ينحصر بجيل دون جيل ، وفي بقعة دون سواها من بقاع الارض . ومنها ما يلازم الناس اجمعين في كل زمان ومكان . وهـــذا الاخير هو الذي منه تنبت وعنه تتفرع جميع مشكلات الناس . فهو الجذور وغيره الفروع والاغصان والاوراق .

وكما ان حاجات الناس ومشكلاتهم اصناف واصنــاف كذلك ادباؤهم اصناف واصناف . فمنهم الذين يحصرون جل همهم في مشكلة ساعة هم فيها . ومنهم الذين يتجاوزون مشكلة الساعة الى مشكلات الجيـــل . ومنهم الذين يعالجون مشكلات كل ساعة وكل جيل . كمشكلة الخـــير والشر ، والثواب والعقاب ، والحرب والسلم ، والحيـــاة والموت . فهمهم الاكبر ان يهتدوا ويهدوا الناس الى الهدف الابعد من وجودهم الذي تنسجم معه ثم تتلاشى فيه جميع مشكلاتهم ، ومن ضمنها مشكلة الخير والشر ، والثواب والعقـــاب ، والحرب والسلم ، والحياة والموت .

فأن قرأت اديباً من الصنف الاخير فلا تحسبن انه عمٍ او متعام عـــن مشكلات يومه او عصره . فهو في الواقع يبحث عن جذور تلك المشكلات السحيقة، ويأبى ان يتلهى باسبابها المباشرة او بما يبدو منها لأعين الذين يتناولون الامور من سطوحها وقشورهـــا . وهو يعيش لعصره وعصور بعد عصره . وان رأيته يجنح في حياته الخاصة الى العزلة فلا تقل انه يتهرب من الناس . فقد يكون في عزلته ألصق بالناس من الذين يعيشون وايام في زحمة مـــن الحركة التي لا تهدأ والثرثرة التي لا نفاد لها .

ويقيني ان في عزلة بعض الادباء من المحبة الصافية للناس ، ومن التفهـــم لمشكلاتهم ، والحدب على خيرهم، والتفاني في خدمتهم ما لست بواجد ذرة منه في اقوال — وفي افعال — الكثير من الكتاب الذين يتبجحون ابداً بانهـــم يعايشون الناس و « يعيشون عصرهم » .

جواب الاستاذ خليل هنداوي

ان ما يسميه السؤال « قضية اليوم » هو في الحقيقة « قضية كل زمان » . لقد جرب ادباء كثيرون من قبل ، بعد ان يئسوا من الصلاح ، الفرار من الحياة ، والقاء حبلها على غاربها كأبي العلاء ... ولكن هؤلاء الادباء ، وهم في ابراجهم المنعزلة ، كانت تصل اليهم هزات المجتمع كالموج الذري الذي يخلخل طبقات بعيدة من الفضاء . انهم يظنون انهم فروا من المجتمع، وتعالوا عن مؤثراته ، وعاشوا في نجوة مطمئنة منعزلة عنه ... ولو قدر لهم ذلك كما توهموا فلماذا يفرون منه ، ويلتفتون اليه بين الحين والحين مذعورين ؟

انا لا اعتقد بان الاديب يستطيع ان يفر من المعترك ، ولو ادار ظهره له ... اذ لا بد لأفكاره ، واتجاهاته ان تتأثر كثيراً او قليلاً ، او قريباً او بعيداً بحياة مجتمعه . اما العزلة المطلقة فشأنها كشأن العقل الصافي الذي لا يستطيع ان ينجو من التقاليد الموروثة مها تبرأ منها .

ولكن المفكرين يختلفون في مواجهة مجتمعهم : فمنهم من يقابله بصدره ، او بظهره ، او بجانبه ، ومنهم من يعاشره مخلصاً ، ومنهم من يماشيه متماقاً .

ومما يؤسف ان ارى بعض ادبائنا السابقين كانوا اجرأ للحق وأشد على الباطل ، واكثر مقاومة للأوهام ، واكثر تحرراً من التقاليد ، لأنهم كانوا يضربون الضربة الصادقة ، ويؤدون الرسالة الحقة .

والآن، لا فرار من المعترك ! لنعش في مجتمعنا ، ولنتقبله مادة صالحة للتطور والثورة . ولا بأس ان نحترق...لبناء المجتمع العادل ، وانقاذ الفكر الحر .

سِرّ المنظار الأسود

قالت وفوق شفاهها تنساب سخرية مريبه
ومن العيون الفاترات تطل اسئلة غريبه
لمَ قد حجبت عن الوجود عيونك اليُبس الشحيبه
لمَ ذلك المنظار مصبوغ . . . بألوان المصيبه
داج كأيام الشقاء . . . ينم عن محن عصيبه

★

فهتفت والكون العبوس يبث من حولي عويله
والهمّ يبرز للوجود مناجلاً سوداً طويله
كي لا يرى الناس الدموع تسحّ من عيني الكليله
كي لا يرى الناس الدموع . . . دموع أيامي الثقيله
تنساب في صمت ... فتكشف عن مآسينا الوبيله

★

قالت : بل ارفع ذلك المنظار وانظر للوجود
تجد الزهور الراقصات على الجداول والورود
تجد الطيور مغردات بالبشائر . . والسعود
والكون قيثاراً يتيه هناك . . . بالنغم الشرود
قم واملأ الاكوان بالنغم المعطر . . . يا جحود

★

فهتفت : لا . . انا لست اسمع غير عاصفة تنوح
تلك الزهور المائلات إخالها بعض الجروح
شربت دموع الكادحين هناك في غور السفوح
انا لا أشم بها سوى ريح معفنة تفوح
دفعت بها عبر الفضاء الجهم . . . آلاف القروح

★

انا لست أعبأ بالورود ، ولا الربيع ، ولا الزهور
انا لست أنصت للنشيد ولا لأوهام الطيور
انا لست أبصر غير اكباد مقرّحة . . . تمور
انا لست اسمع غير أصداء من الذكرى تثور
ذكرى الذين مضوا وملء جنوبهم عصف الدهور

★

قالت : أأعمى لا يرى في الكون آثار الجمال
أعمى يعيش بلا شعور في متاهات الضلال
لا يلمس السر المخبأ في اهتزازات الظلال
في همسة الطير الخفوق وفي انبثاقات الخيال
قم وارفع المنظار يا أعمى . . . ودع هذا الخبال

★

فهتفت والوجه الجهوم . . . ينم عن همّ دفين
انا لا ارى في الكون إلا . . . دمعة المتضورين
نهراً من الدم والصديد ، ومن دموع الكادحين
ينساب احمر . . . كاللهيب ، كزفرة المتحفزين
انا لم أكن أعمى وفي غدنا المؤمّل تدركين

★

انا كيف اصدح للورود الشاربات من الدماء
انا كيف أنعم بالزهور روين من دمع الشقاء
انا كيف اطرب للطيور النائحات . . . بلا رجاء
انا كيف انصت للنشيد ، وفي دمي هذا العواء
اواه يا اختاه لو لم يحترق قلبي . . . هباء

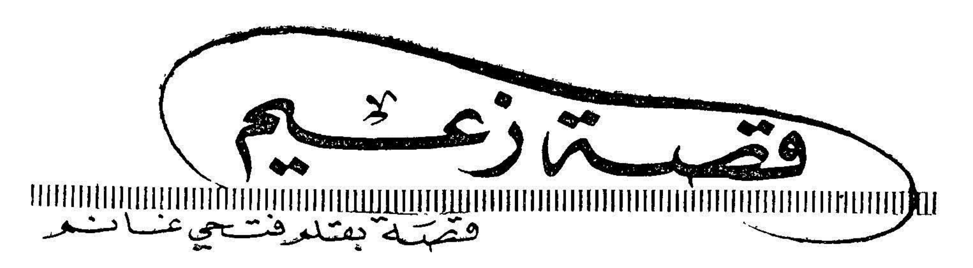
★

قالت وفي نبراتها صدق ، اجل صدق عجيب
ومتى سترفع ذلك المنظار يا هذا الغريب
فهتفتُ : في غدنا . . . اجل غدنا الذي يبدو قريب
والحب ينتظم الأنام . . . مع انتفاضات الشعوب
والعدل يبرز في الوجود بوجهه الحلو الحبيب

★

إني لأنظر في غدي . . . فتلوح ألوية السلامْ
متموجات بالمنى . . . مستبشرات بالوئام
والورد والزهر الطروب يبعثر العطر المرام
وإذا الحياة تشع بالأنوار . . . من بعد الظلام
والحب « سيمفونية » عذراء تشتمل الأنام

القاهرة — عبد المنعم عواد يوسف



لست ادري أهو الاتفاق ام التدبير ، الذي جعل اكبر مدرسة في القطر المصري لتعلم الشطرنج تقوم في شارع (البيدق) .

وهو الشارع الخلفي لدار الاوبرا ، حيث مدخل الممثلين والممثلات .. وقبالة هذا المدخل من الناحية الاخرى تقع المدرسة ، او مقهى مخالي القزم اليوناني العجوز . وهو مقهى صغير ضيق يئن من اوجاع الكهولة شاخ فيه كل شيء . ونخر السوس جدرانه الخشبية المتآكلة ، وتهشمت المرايا ، وشغل محلها رسوم وكلمات ، خطها ابناء الفراعنة المولعون بالكتابة على الجدران .

وفي السنين الاخيرة ، عندما كانت المظاهرات المتتابعة قد هشمت زجاج المقهى كله ، قام الورق المقوى مقام الزجاج ، وألواح الخشب مقام المرايا . وكان المكان لا يسمح بانتشار المناضد فيه. لذلك رصت في صف واحد طويل كأنها منضدة واحدة... وفي الحقيقة ما كانت تدعو الحاجة الى فصل المناضد بعضها عن بعض فرواد المقهى متعارفون ، تجمعهم كلهم هواية واحدة هي لعب الشطرنج . وهم يلتفون حول الرقعة يتداولون الأفراس والفيلة والوزراء والملوك في ايديهم وكأنهم الاقدار التي تحرك الوجود ، وترسم للمخلوقات سبيلها المكتوب .

ولعل طبيعة اللعبة هي التي جعلت الغرور يصيب بعض اللاعبين ، فيتخذون لأنفسهم مظهر الديكة المزهوة ، وألقاباً ينادون بها بعضهم بعضاً ..كالزعيم .. والعبقري .. وبطل الشرق .. ووكيل الزعيم .. والموراتي .

وهم جميعاً من امهر اللاعبين وابرعهم ، تهبط عليهم الوفود من جميع انحاء مصر والاقطار العربية ، لتشاهد فنهم . وتسمر معهم في مجلس المرح .

ورواد المقهى خليط نافر من شتى الطبقات والاعمار ، فبينهم الفنان ، وسائق القطار ، والصحافي ، والمحامي ، والطالب ، والطبيب ، والعاطل ، والمزارع .. وبالاختصار كل ما يمكن تصوره من طبقات الشعب المختلفة .

وعبد الحميد افندي السويفي ، هو (الزعيم) . وقد كان مدرساً سابقاً للغة الانكليزية في المدارس الابتدائية . ولما احيل على المعاش واظب على التردد على المقهى وحوله الى مدرسة للشطرنج ، فهو يتأبط كتب الشطرنج يومياً ، ويجلس وسط حلقة الدرس ويفتح كتابه ، ويقيم القطع على الرقعة امامه . ثم يعرض ألعاب مشاهير اللاعبين الدوليين ، ويقرأ شرح نقلاتهم ويتفرس في وجوه من حوله ، وقد احمر وجهه الابيض السمين ، واهتز شاربه الرمادي الكث. وبين فينة واخرى يزعق :

– يا حمار .. ألا ترى الفرس مهدداً بالفيل..يا ولد لا تتعجل الامور .. اياك ان تمد يدك الى القطع .

وهو لا يطيق ان يناقشه احد. فهو المدرس الذي يعيش وسط التلاميذ، العالم الذي يحيطه الجهلاء . وليس لتلاميذه – وهم رواد المقهى جميعاً بلا استثناء – إلا ان يستمعوا الى الدرس وهم صاغرون .

وأحب الدروس الى قلب السويفي افندي، هو درس المسائل الشطرنجية، فهو ينظم القطع في مواقف خاصة ، ثم يعلن على تلاميذه في صوت رنان :

– الآن يموت الملك الاسود بعد نقلتين يلعبها الابيض .

ويبذل التلاميذ جهداً عظيماً للوصول الى الحل. وقد يمضي وقت طويل وهم لا يفلحون . وهنا يوسعهم الزعيم تأنيباً وسخرية ، وتهكماً وإشفاقاً من جهلهم وغبائهم الوراثي . ثم يفتح الكتاب الذي لا يطلع عليه احد قط ، ويقرأ فيه الحل ، ثم يعلنه على الجميع كأنه يعلن نتيجة الامتحان !

ومن المؤسف ، ان تكون الجهود التي يبذلها السويفي افندي في سبيل الشطرنج تجد جحوداً من الكثيرين . فحسن بك خورشيد مثلا ، لا يكف عن ترديده (ان السويفي افندي مخرف مجنون...انه رجل جاهل مغرور... لسنا تلاميذ في كتاب ... انه يزعق كالحيوان ...) والعبقري ، يعاكس السويفي افندي من مكانه في آخر المقهى. كما عاكسه التلاميذ الكبار في آخر الفصل من قبل . وقد اعتاد ان يقطع شرح السويفي افندي ، بصرخة مدوية ، صائحاً :

– الجهلاء .. كالعلماء . سواء .. بسواء !

واحياناً يثور السويفي افندي عليه ، فيقف منفعلا ويوجه كلامه الى العبقري .

– يا حيوان ... يا سكير ... يا ساقط ... اخرس .

فينظر اليه العبقري نظرة مجنون ثم يضحك ضحكة قصيرة ، ويلتفت الى من حوله قائلا عفو الخاطر :

– لقد بقبق ... الطليئيون .

فيسأله احد الجالسين :

– من هم الطليئيون الذين يبقبقون ؟

فيضحك العبقري ضحكة ساخرة محملة بالازدراء ويجيب .

– انهم الطليان... الم تسمعهم يبقبقون ايام الحرب في سيدي براني !

والكلمات تخرج من فم العبقري ، كما تخرج خطوط الرسم السريالي من يد الرسامين ، وعليك ان تقبل كلمات العبقري على علاتها بلا مناقشة ، واذا راجعته فيها ، فلن تنال منه إلا السخرية والازدراء .

في يوم من الايام دخل المقهى ، حسن بك خورشيد ، وهو من الاعيان الاتراك ، الذين يتأنقون في ملبسهم وكلامهم ، واتجه من فوره الى حلقة درس السويفي افندي ، وصاح فيه متحدياً :

– عندي لغز شطرنجي... اتحداك ايها الأستاذ الخطير ان تعرف حله.

واحتقن الدم في وجه السويفي افندي وقال في غضب .

– من انت حتى تتحداني ... هات كل ما عندك من الغاز ، وسأحلها في خمس دقائق .

وتقدم خورشيد بك من الرقعة واقام عليها القطع ثم قال في فرح صبياني :

– هل تستطيع ان تميت الملك الاسود في ثلاث نقلات ؟.

وانطلقت الاجابة من فم السويفي افندي كالقذيفة :

– طبعاً !

وانصرف السويفي افندي الى التفكير في اللغز ، وكلما فكر ، ايقن انه قد تورط في مشكلة معقدة لا خلاص منها . وبدأ السويفي افندي يحس ان كرامته وحياته كمدرس تتأرجح في الميزان . خاصة وان العبقري قد بدأ يغني قائلا :

دا شيء جميل – كالدرفيل – هات الفيل– لا.. يا خليل –زلومة طويل– طويل طويل .

واحس السويفي افندي بأنه المقصود بغناء العبقري، لأنه كان قد امسك بالفيل لينقله معتقداً انه وجد الحل ، ثم اكتشف خطأ ظنه . وزاد احتقان وجه السويفي افندي ، وكان لا يدير رأسه يمنة او يسرة ، ولا ينظر إلا امامه ، وقد شدت عيناه الى القطع . ومرت ساعات ، وحل موعد الغداء ، فانصرف من انصرف،وبقي الآخرون يتناولون طعامهم وهم يرقبون السويفي افندي ، وكان بينهم حسن بك خورشيد ، الذي كان يحاضر رجلاً الى جانبه عن الشطرنج فيقول :

– المخ النظيف هو الاساس ... فالأغبيـــاء لا يلعبون الشطرنج ... تولستوي .. ونابليون ..: وهارون الرشيد ... والفريد دي موسيه ... هم الذين برعوا في لعب الشطرنج .

ثم ادار بصره فيمن حوله وتنحنح . ثم صاح في الخادم .

– اعطني كوب ماء .

ثم التفت الى السويفي افندي ، وقال له في رقة وادب معسول :

– ماذا تشرب يا سويفي بك ؟

وزمجر السويفي افندي بكلام غير مفهوم ، ولكن فهم منه انه يرفض ان يطلب شيئاً ، وعاد الى تفكيره العميق . ومضت ساعات وساعات حتى اقبل الليل ، وفجأة صاح الزعيم :

– لقد وجدت الحل . ونهض الجميع فجـأة والتفوا من حوله ليجدوا صدق ادعائه، وامسك السويفي افندي ، (الذي كافح هذه الساعات الطوال ليؤكد زعامته) بالفيل الذي كان قد امسك به من قبل ، ونقله نقلة واحدة ثم نظر الى خورشيد بك بانتصار وقال « هذا هو الحل » .

وما كاد خورشيد بك يقول ...

– صدقت ... هكذا يموت الملك الاسود .

حتى سقط رأس الزعيم على صدره .فصاح العبقري ضاحكاً :

– لقد مات الزعيم هو الآخر .

وقال خورشيد بك في ذعر :

– لقد اغمي عليه :

وحاول اثنان انهاض الزعيم . بينما صرخ العبقري في صاحب المقهى :

– يا مخالي الكلب ، هات كوب ماء ... هات نشادر ...

وجعلوا يدلكون يـدي الزعيم . وخلعوا رباط عنقه ، وفكوا قميصه والصقوا آذانهم واحداً تلو الواحد بصدره ، وقد غشيهم قلق وحيرة ، حتى قال احدهم ، ووجهه ابيض كالثلج :

– لقد مات .

واشتد القلق ، وساد الذعر في المقهى . واتصلوا بالاسعاف ، واستدعوا طبيباً ، ولكن نظرة واحدة الى الزعيم كانت تكفي لنعرف انه لن ينهض من نومه هذه المرة ، وتعاونوا على حمله ، وارقدوه على المناضد المتلاصقة . ووقفوا من حوله صامتين .

وكان يقطع الصمت ، صوت بائع يدخل وهو ينادي بأعلى صوته ... «بيض سميط وجبنة»...او سائل ينادي «لله...لله يا اسيادي»او ماسح احذية يضرب صندوقه الخشبي قائلاً ... « تمسح يا بك ... » ولكنهم كانوا يتبينون جميعاً حقيقة ما حدث ، فيصمتون ويتساءلون في همس وخوف .

وانفجر العبقري بالبكاء عندما جاء (مخالي) بمنشفة غطى بها وجه الزعيم ، وسرت همهمة . وانطلق العبقري يندب :

– آه يا عبد الرحمن ... آه يا حبيبي .

وكان موقف العبقري مريباً . هل يبكي نتيجة تأثر حقيقي . ام جنون اطار صوابه ؟ ووقف خورشيد بك عند باب المقهى يفحص ساعته الذهبية في قلق وقد نسي منشته العاجية على مقعده داخل المقهى. وجعل يحدث نفسه في غيظ :



– كلهم حيوانات ، لا احترام للموت .. لعله لم يمت بعـــد ، ولكنهم سيخنقونه بهذا التدافع .

وكثرت الاسئلة داخل المقهى :

– أنتركه هكذا حتى يأتي الاسعاف ؟

– اين يسكن ؟

– الا يعلم احد كيف نتصل بأهله ؟

وكأن الزمن لا يمر ، والجثة لم تعد شخصاً كان يحيى بينهم ، ويصيح ، وينهر ، ويدرس فن الشطرنج ... لقد اصبح شيئاً آخر غير الناس، انفصل عنهم ، ولا هم لهم إلا التخلص منه والاسراع بدفنه .

كان الزعيم مستلقياً على رخام المناضد البارد ، وقد سقطت كتبه على الارض ، وداستها الاقدام ... ولكن الزعيم كان قد أكد زعامته قبل الموت ، بل هو قد استشهد من اجلها ... ولما جاءت سيارة القصر العيني ، وحمله رجال يلبسون الملابس البيضاء . سألوا عن اهله وعنوانه فلم يجبهم احد فمضوا به ...

وبدأ الباعة يزعقون من جديد ، وكل واحد من رواد المقهى يعود الى مكانه ، وانصرف بعضهم الى اللعب ، ولكنهم تركوا مقعد الزعيم خالياً لا يشغلونه ، لأن من كان في المقهى في ذلك المساء ، كان يستشعر في نفسه ان ضوء المكان اصبح اكثر خفوتاً ، وان الاصوات اقل جلبة ، وان اللاعبين أقل حركة ، وكأن الدنيا تسير على مهل ، كما يسير الجند بخطواتهم البطيئة في مواكب الحداد ، او كما تستطيل انغام الموسيقى ، اذا عبرت عن الحزن ، او صورت مرارة الوداع .

القاهرة **فتحي غانم**

ادبنا الملتزم

بقلم محمد وهبي

الالتزام فكرة ذائعة اليوم حول السلوك او الطابع المثالي للأدب ، بحيث يكون ذا رسالة منبثقة عن مقتضيات الحياة الاجتماعية ؛ ويقيني انها خير سبيل يكتسب به الأدب قيمة حقيقية ، على ان يكون هذا الالتزام كاملاً ، فلا يقتصر على مجال الوصف والتحليل ، كما درج اعتبار الأدب في معظم الظروف ، ولكن يتعدى ذلك الى مهمة التقويم وتعيين المبادىء والتصاميم الواجب الأخذ بها. فلو اكتفى الأديب بالتصوير ، لما كانت مهمته بذات موضوع ، ولما اختلف عمله عن عمل آلة التصوير السلبي ؛ إذ الوصف والتصوير وسيلة لا غاية ، فما قيمتها إن لم يهدفا الى التعليل ثم التقويم ؟ وإذا اكتفى الأديب ، وهو رجل الفكر ، بالقيام بوصف الحياة ، فلمن هو يصف ، ولمن يترك مهمة استخدام الصور التي يقدمها من اجل تحقيق عمل التقويم

تسود فكرة الالتزام الأدبي في عالمنا العربي ، ولكنها بإزاء ما يغمر هذا العالم من اعمال ادبية ، تظل يتيمة ، لا صدى حقيقياً لها ، ولا ظل لها في حيز الواقع .

إن نظرة واحدة الى الحياة العربية ، مهما تكن خاطفة ، تنبىء عن وجود حالة شاملة وبارزة بروزاً فاقعاً ، هي التأخر الذي يصم كافة مجالي هذه الحياة . ومنطق الالتزام يقضي بان تكون هذه الحالة هي الموضوع الرئيسي للالتزام : فتأخر العرب هو الموضوع الأصيل الذي يجوز حقاً وصفه بانه من صميم الحياة العربية ، والذي ينبغي ان تذوب في معالجته اقلام الكتّاب وتبرى . على ان ما نلمسه في النتاج الأدبي ، هو ان الاتجاه العام في غير هذا السبيل ، بل انه على النقيض منه في اكثر الأحيان، إذ يعمل على هدهدة الأوضاع الراهنة وإطرائها، وتجاهل كونها ذاتها مشاكل في الصميم ، لا بل أم المشاكل . ويقوم اتجاه الهدهدة وسط اتجاهات متعددة لاغية ، تتركز في معنى التجاهل التام للالتزام ، وما ينبغي ان يكون به الالتزام، ويذوي فيها الفكر على مومياء فنون الأدب المحنطة من غزل وتشبيب ، او سرد لوقائع من وحي الصدفة والمطابقة في قصص خاوية ، او تفلسف صبياني حول توافه الأمور .

اما قضية تأخر العرب، فانها لا تحظى حتى بجهود الوصف، إذ انها ليست بعدُ فيما يوحيه النتاج الأدبي قضية ؛ وإذا تطرق اليها الوصف في النادر ، لم يعط عنها غير صور زائفة . فمنذا الذي عُني حتى اليوم بموضوع التأخر العربي ؟ إن الشواهد تشير الى ان هذا الموضوع ليس له ان يفوز بشيء من العناية ، فالتأخر العربي محتجب عن الوعي ، او على الأصح ، الوعي مختف في ظلال هذا التأخر . وليس أدل على ذلك مما سمعناه في الآونة الأخيرة من اديب معروف بانه من جهابذة الأدب العربي وشيوخه ، لا يهمني ذكر اسمه ، ولكن يكفيني ان اسمه يُقرن عادة بعبارة « الكاتب الكبير » على نحو ما تُطلق الألقاب العلمية : وقف هذا الكاتب الكبير في إذاعة القاهرة ، وجعل يعلق على تصريح لأحد المستشرقين حول موقف العرب من المدنية الحديثة ، قال فيه ما معناه « أن العرب بمعتقداتهم وتقاليدهم يقفون في وجه المدنية » . وبعد ان أكد اديبنا ان ما يقصده ذلك المستشرق ومن على شاكلته من الغربيين بالمدنية ليس إلا « الاستعمار » ، وان ما يعنونه بالوقوف في وجه المدنية إنما هو « التمرد على الاستعمار » الذي يُبديه العرب ، بعد ان أكد هذا الاستنتاج الواهي الذي لا رابطة فيه ، اذ لا شأن للمدنية بالاستعمار ، ولئن ادّعى الاستعمار نشر المدنية ، فليس معنى دعواه ان تصبح المدنية هي اياه ، قال بصوته الرنان وبملء فيه ، وكأنه يستشعر ما ستُحدِّثُ به عن قولته الأجيال القادمة بالفخر والثناء والامتنان : « اذا كان هذا هو الواقع حقاً ، فحبذا هذا الوقوف في وجه المدنية ، ونعم ما هو » ، ثم راح يستطرد في تفنيد الاستعمار ومهاجمته ، وهكذا استطاع مرة واحدة ان يحجب عن نفسه حقيقة الموضوع بهذا الخلط الأدبي الذي لا طائل تحته ، مع ان المستشرق اراد ان يعني ان العرب لم يهضموا المدنية الحديثة ولم يتمثلوها ، وهو ادعاء وجيه جدير بالدرس والتأمل ، وكان الأحرى بأديبنا ان يحاول الافادة منه بوصفه تنبيهاً ولفت نظر ، ان لم تَقُدْهُ بصيرته من تلقائها الى مثل فحواه ، بدلاً من اعتبار غرضه مجرد التشهير ، ومن انفاق الوقت في الهجاء الذي لا يستطيع النيل من الحقائق .

وموقف هذا الأديب ليس الا عيّنة من كثير ، بحيث ان

موضوعاً جوهرياً خطيراً كموضوع التأخر العربي ، تنبثق خطورته عن اتصاله الوثيق بكيان العرب ومستقبلهم ، قد غدا بفعل إهماله ، لا بل الاصرار على تجاهله ، معضلة مضاعفة الخطورة ويزيد من تعقد هذه المعضلة ايضاً ما يبديه بعضهم بين الفينة والفينة من آراء حول وجود تأخر عربي لا يدرون كيف يحددون مفهومه ، والتحديد هنا لب الموضوع ، ولكنهم يضربون اخماساً لأسداس ، ويتمّون بذلك طمس الحقيقة.

يتحدث بعض هؤلاء عن النقص في المتعلمين وعن ضرورة اقتباس العلوم ونشرها ، وحملة الشهادات العلمية فينا كثير ويزيدون باطراد ، في حين ان التأخر قابع مقيم . ويطنب بعضهم في الكلام عن فساد الاخلاق ووجوب اصلاحها ، مع ان التقاليد الاخلاقية المحلية التي ينادون بتعزيزها مصونة على العموم وفق ما يسمح به الامكان . ففيم الحديث إذن ، وأين اصالته ؟ وهل في هذا ما يوحي بانه ضرب من الجد ، او انه وليد ايمان برسالة ؟

الواقع ان مفهوم الرقي كضرورة يقضي بان يكون واجبنا لا ان نتعلم اليوم ، ولكن ان نتعلم الايمان بالقيم التي انبثقت عنها العلوم ، ولا ان نتفقه بالقواعد والسنن الاخلاقية ، ولكن ان نتفهم ونؤمن بالقيم التي استندت اليها هذه القواعد والسنن في جميع العصور . ما قيمة المتعلم الذي ينصرف بعد تلقي ثقافته الى وقف استخدام هذه الثقافة على شؤون معيشته الخاصة ، اي شؤون الربح التجاري ؟ وما قيمة الرجل الاخلاقي الذي ينحصر سلوكه في المطابقة الشكلية مع القواعد المأثورة التي لا تتصل في حد ذاتها بغير أحوال خاصة من الحياة ضئيلة العدد ، في حين أنه ينتهك مفهوم الأخلاق في ما عدا هذه الأحوال ، لجهله الاصول والجذور التي صدرت عنها القواعد المأثورة؟ ان ما يبدو انه لم يزل مجهولاً لدينا ، هو ان المتعلم يظل جاهلا ما لم يتعلم الايمان بالحقيقة كحقيقة مطلقة ، والسعي اليها بإيمان واخلاص ، وأن السلوك يبقى بعيداً عن الصفة الاخلاقية ما لم يستوح القيم التي انبثقت عنها القواعد ، وليس القواعد ذاتها . لنذكر ان قانون التطور قد جعل القواعد الاخلاقية عرضة للتبدل والزوال ، وحتى الحقائق العلمية في تحول مستمر ، في حين ان الذي يصمد ويدوم ثابتاً هو القيم التي نهضت وتنهض ابداً عليها الاخلاق والعلوم .

إن حقيقة فقرنا ليست في المثقفين بالعلم وعددهم ، ولكنها في القوة الروحية . إنها ليست قضية مقدار ، بل قضية نوع . وعبثاً نحاول تغطية فقرنا هذا بالاقتصار على زيادة عدد المتعلمين ، خصوصاً وأن الشواهد الماثلة تدحض حجة هذا الاتجاه السطحي ، إذ اننا بعد عشر سنوات من التحرر السياسي أخذنا فيها بهذا الاتجاه ، لم نلمس في جيش المتعلمين والمتخصصين قوة روحية تدمغه ، ولا قوة روحية تصدر عنه الى هذه الشعوب الرازحة تحت عبء الرجعية . ذلك الى ان ما نحتاجه لا يُدرّس في المدارس ، إنه ليس تعاليم ونصوصاً تُلقى في الأذهان للحفظ والاستظهار ، وهو ذا شأنه ايضاً عند الأمم الراقية ؛ إنما هو روح تنبثّ في النفوس « عَبرَ » الثقافة والعلوم ، وتتشكل عاداتٍ وتقاليد ومثُلًا تنطبع في أبسط امور الحياة اليومية ، وتنتقل من جيل الى جيل على نحو ما تفعل الوراثة ، بحيث ان الفوارق بين ما ندعوه هنا بالخاصة والعامة تنمحي امامها ، ليظل منها فارق وحيد لا يتصل بهذه الروح ، بل بالمادة العلمية من حيث الكم والمقدار فقط . ونستطيع ان نأخذ مثالاً على هذه الروح إذا قارنا بين رجلٍ أميّ من البلاد « السكندينافية » ورجل أمي عربي ، أو بين عالم غربي وبين آخر مثله — أو بالأحرى يماثل له — عربي ؛ فمن مراقبة المثل الأعلى والأحكام التقويمية عند كلٍ من هؤلاء ، بل من نظر أتفه تصرفاته الخاصة ، تتجلى لنا شقة الاختلاف ، وسعة البون ، كما يتضح لنا ان العلم والفن والأخلاق ليست كل شيء ، وأن الاصل والاساس إنما هو في روح العلم وروح الفن وروح الاخلاق ، التي تحدد جميعاً روح الرقي .

والذي يبدو انه العنصر الأول في تكوين روح الرقي هذه ، هو تعزيز الغيرية وإنكار الذات على حساب الأثرة التي تميز نفسية الرجل البدائي . فمن الراهن ان العلم في جوهره لا يتعرف على الأثرة مطلقاً ، فهو لا يعرف تبعية لانسان او وطن او زمان ، ولو كان لهذه التبعية ان تكون لما كان ، ولما كان الرقي . لذا نجد انه بفضل هذا العنصر الأساسي ، تتحول المثل العليا من حيز الانطوائية الفردية ، الى مجال الايمان بقيمة المجموع ، وتتفلت من قيود الجسد لتعمل للقيم المطلقة ، بحيث يغدو ممكناً للعالم ان يصدف عن استخدام علمه في منفعة شخصه فقط ، ليلج باب التضحية في سبيل المجموع حتى بحياته ، كما يفعل اليوم ، في عصرنا الموسوم عنوة بالمادية ، رجال في مقتبل العمر وفي ظروف اجتماعية ممتازة ، هناك . . في عالم الغرب . ولا سبيل

التمايز في العلم

بقلم : لويس دوبروغلي

يتم تقدم العلم ، بفضل مؤازرة عدد كبير من الجهود الفردية ، التي يجريها بحّاثون ، هم مع اتحادهم الكلي لانجاز عمل مشترك ، يختلفون فيما بينهم ، بميولهم واستعداداتهم ، ووجهات عقليتهم ، وطرق عملهم المختلفة واحياناً المتعاكسة .

ويمكننا ، في اول الامر ، ان نفرق بين النظريين (les théoriciens) والاختباريين (les expérimentateurs) بين اولئك الذين يميلون خاصة الى الافكار المطلقة ، ويبحثون عن مركّبات المواضيع (synthèses) والنظرات الاجمالية الجريئة تارة ، والمغامرة طوراً ، وبين هؤلاء الذين في تطاحنهم مع صعوبات مادية بلا هوادة ولا ملل ، يطلبون الى الملاحظة والاختبار ، ان يفشيا لهم تدريجياً ، اسرار الطبيعة .

تناقض قائم بين هذين النوعين من البحاثين . فالنظري ، هو في الاصل ، حليف التفكير والتأمل . مسرح نشاطه الاعتيادي غرفة عمله ، كما ان تفكيره اكثر تجريداً من الاختباري ، وقد يلجأ بكل طيبة خاطر ، الى النظريات الرياضية واساليبها التي تستعملها . بينما نجد على عكس ذلك ، ان المختبر هو الاطار العادي لاعمال الاختباري ، وعندما تجبره مادة ابحاثه ، ان يلاحظ او يختبر خارج مختبره ، فهو دائماً ملزم على التجهز بأدوات القياس واجهزة مختلفة تنشىء حوله جو المختبر . وهكذا ، ولاتصاله الدائم بالحقيقة الفيزية ، ومقاومته لجميع الصعوبات التي تثيرها إيضاحات النصوص الاختبارية ، والشك الملازم في ان يتلافى الاخطاء القياسية ، والشروح المتعسفة ، يتقدم الاختباري بحكمة ، رافضاً على العموم ان يمنح ثقته الوجهات النظرية ، غير طالب من الحساب إلا الاستعلامات التي يراها ضرورية موجبة . وهو إذا ما لجأ الى التصوّرات النظرية ليدير ابحاثه ، فغالباً ما يكون ذلك في قوالب بسيطة نوعاً ، كما كانت الحال سابقاً عند فاراداي (Faraday) . قوالب ، قد تضحك احياناً النظريين ، المولعين بالضبط والتدقيق . كما انه بالعكس ، كثيراً ما يجد الاختباري ايضاً عمل النظري ، جد صناعي ، وجد بعيد عن القدرة على ان يأتي بتفصيل دقيق لتشابك الاحداث الملاحظة .

ولكن مع ذلك ، وُجد في الماضي ، ويوجد ايضاً في الحاضر ، علماء هم في آن واحد ، اختباريون بارعون ، ونظريون

الى إنكار أنه بغير هذا العنصر لا رجاء في حدوث الرقي ، إذ لا امل في صدور اية قوة روحية عن رجال العلم الناضب ، بل انه بغير هؤلاء قادر على ابداع قوة روحية فعالة ، تكون بدورها سبباً في إحداث النشاط العلمي وتحقيق الرقي المتكامل .

وهكذا نرى كيف ان العجب ان يتملكنا بعنف وقوة ، حين نسمع بكتّاب يبغون الالتزام ، فلا يجدون غير الاستعمار او نحوه كموضوع للتناول يبذلون فيه الجهد دون جدوى حقيقية ، مع ان الاستعمار قد جلا عن البلاد او هو في طريق الزوال ، في حين ان ما ظل راسخاً فيها ، وما يجدد تأخرها ويمهد الأسباب لعودة النفوذ الأجنبي ذاته او بقائه ، هو استعمار الاثرة في النفس ، واستعمار السطحية في الفكر ، وكلاهما في الشكل والفاعلية سواء إن لم نقل صنوان .

إن للأديب رسالة مقدسة في الحياة ، ليس له ان يشوهها ويضع من قدرها بتجاهل الواجبات الاصيلة التي تلقيها على عاتقه . وهذه الرسالة القائمة في حلقات متضامنة بعضها في بعض ، تتصل أدناها ببيئته المحلية المسماة بالوطن ، وتحيط اعلاها بالوجود الانساني العام ، تحتم عليه ان لا يحيد عن ربط مجهوده بكلٍ من مشاكل أمته ومشاكل النفس الانسانية وما يجري بينها من مسائل اخرى يثيرها الفكر الحر ، وذلك في نطاق الزمن الذي يعيش فيه . فليس له ان يُحيل مهمته الى مجرد صناعة ألفاظٍ يُسوّد بها الورق الابيض ، بحيث يفضله عندئذ اي صانع « أشياء » كصانع الالبسة او الحلى او التحف الأثرية ، لأن حقيقة حرفته التي أداتها الفكر وموضوعها الانسان في شتى ظروف وجوده ، إنما هي صناعة القوة الروحية ، ولأن مدى نجاحه في هذه الصناعة هو الذي يحدد معنى حرفته .

من معين هذه الشروط يستمد الأدب قيمته ، وبالاستجابة لها فقط يكتسب صفة الالتزام ، ومن ثم القوة . لذا ، لسنا ندري كيف نصنّف في مجال هذا الاعتبار ، أدبنا العربي المعاصر .

محمد وهبي

ماهرون ، عرفوا ان يدمجوا معاً في عقولهم شكلين من مباحث الظواهر الطبيعية المختلفة أصلا . غير ان صعوبـة النظريات المعاصرة ودقّتها ، وتعقد التكتيك التجريبي ، ودقة الظواهر التي لم يعد العلم اليوم ، يخشى من ان يتناولها دارساً ، كل هذه، جعلت من الشاق اكثر فأكثر على شخص بمفرده ، ان يُقبل بنجاح على هذا وذاك من هذه الأنواع من الأبحاث .

وكان ان نتج من ذلك ، بعض عواقب سيئة ، ماثلة للعيان في الوقت الحاضر . ذلك انه كثيراً ما يعتـبر الاختباريون كحقائق ثابتة نهائياً ، نتائـج بعض النظريات المعاصرة ، فقط لأنهم يجهلون ركاكة الفروض (hypothèses) التي يرتكز عليها هذه النظريات . كما وأن النظريين كذلك ، يعتبرون احياناً ، كمكتسبة ، نتائج بعض الاختبارات . فقط لانهم عاجزون عن نقد الطرق المستعملة في هذه الاختبارات ، وعـن تقدير الاخطاء التي كان يمكن ان تحل بها .

هاهو إذاً ، اول انقسام للبحاثين الى طبقتين جدّ متناقضتين وأحياناً يكون هذا التناقض جسيماً إلى حد ينفي معه كل تقارب . ولكن هلاّ نصدّق ان شخصين مختلفين كل الاختلاف ، كألبيرَ انشتين (Albert Einstein) وفيكتور رينيو (Victor Regnault) قد ساهما في بناء العـلم ذاته ، وهو الفيزياء : انشتين الدائم الانهماك بالفكر المطلقة والفلسفية ، الهائم مع قوة العبقرية من فرض الى فرض، بجرأة متزايدة . ورينيو الخادم المدقق والمبالغ في التدقيق للوقائع المحققة ، والمكرّس حياته لأرضاء قدرته — بفضل اختبارات طويـلة ومجادلات على غاية من الدقـة — على اضافة بعض جزيئيات على قيمة الثوابت الفيزيئية الخاصة . ومع ذلك ، فان الذين ، يشبهون هذين العالمين ، يشتركون — على الرغم من كل ما يعترضهم — في انجاز العمل الضخم نفسه . لان هذا العمل ، إذ يعرض جهات متنوعة ، يجب ان يُلاحـق ويهاجَم من جهات متنوعة بواسطة طرق متناقضة تقريباً .

ولكن إذا ما تجردنا لتحليل أعمق ، نرى ان هناك فروقاً دقيقة اخرى ، في كيفية وجود البحاثين العلماء وتفكيرهم . نرى ان النظريين ينقسمون الى منطقيـين وبديهيين . اما المنطقيون فيعلقون اهمية كبرى على تبيان براهينهم بضبـط فائق ، متوخين قبل كل شيء ان يعتمدوا عـلى بعض مبادىء (Principes) ومصادرات (Postulats) بسيطة وقليـلة ، يمكنهم بعد التسليم بها ان يفرّعوها بحكم ضرورة ملحفـة الى مستنتجات يمكنها فيما بعد ، ان تُقارَن بالتجربة . وهكذا ننتهي الى نظريات شاقة ، حيث كل لجوء الى المخيّلة مستبعـد بقدر الامكان ، وحيث ارتكازات النظرية المنطقية ، مضافـة الى تحقيق مستنتجاتها ، تبدو البرهان القاطع ، لاستحكام كل انشاء . واننا لنصادف في جميع أزمنة تاريخ العـلوم ، عقولاً استهواها هـذا النوع من مركب الموضوع للظواهر . ففي الفيزياء الرياضية الفرنسية كان بيير دوهيم (Pierre Duhem) المدافع البليغ عن وجهة النظر هذه، التي كانت الموجّه الأساسي لمدرسة الطاقة التي طالما حاربت دخـول تصورات التآبث [1] (Thermodynamique) الاحصائي الذي كان يقبل التركيب الذري للمادة . هذا الدخول الذي عرف فيما بعـد بثماره الجمة . كما يوجـد كذلك حديثاً ، نفس الميل الشكلي عند اغلب المدافعين عن التفسير الحالي للميكانيكية الكمّية المعينة (Mécanique quantique)

واما النظريون البديهيون فهم بالعكس ، بحاجـة الى صور استنتاجاتهم كما انهم ضعيفو الثقـة نوعاً ما ، بالبراهين المجرّدة ، ويمكن ان يكونوا اكثر اقتناعاً من المنطقيين الاقحاح بواقع العالم الخارجي . إذ هم يفكرون بأن هناك كهانة بديهية لهذا الواقع ، غالباً ما تكون ايضاً نافعة واحياناً اكثر خصباً من الدقة الجافة لطريقة اقرانهم البديهية .

إلا ان البديهيين قد لعبوا هم ايضاً ، دوراً هاماً في تاريخ العلم النظري . ففي العلم الحديث ندين لهم بادخال الفرض الذري، وشرح النظريات الجسيمية .

واذا ما كانت الحـالة الحاضرة ، للفيزياء الكمية المعينة ، تظهر على انها ترجّح المنطقيين على البديهيين ، فلا شيء يدل على ان ذلك سيستمر ، وعلى انـه ليست جرأة الخياليين هي التي سوف تعطي القوة الى نظريات تبدو احياناً غائصة في التجريد .

ومن جهة اخرى ، إن الاختباري هـو عموماً اقرب الى النظري البديهي منه الى المنطقي . ولما كان يستعمل اجهزة تحتل مكاناً معيناً في بضعة امتار مكعبة من مختبره ، فهو يحب في اكثر الاحيان وضوح الشروح المستفيضة البديهية ، وهـو بوجه العموم، قليلًا ما يحمل على الاقتناع — تبعاً لفكاهة فيزيائي معاصر — بأن الذرّة او الكهيرب هما فقط (نظام من المعادلات) .

فهناك اذاً كبير امل بأن يتابع ، في المستقبل كما في الماضي، كل من المنطق المجرّد والمخيّلة البديهية ، لعب دور هام في تطور العـلم . فالميل الاول يقود الى بناء انشاءات صلبة لا تصدّع

[1] من وضع علامتنا الشيخ عبد الله العلايلي (المعجم) .

فيها ، والثاني يأتي بفكر جديدة « مختمرة »

وبما ان الطبيعة الانسانية من جهة اخرى ، مركبة تركيباً لا نهاية له . فالمنطق والبديهة سيكونان دائماً حاضرين بتعادل متنوع في اذهان جميع العلماء . إذ ان البديهي ، اذا لم يكن منطقياً البتة ، لا بد ان يقع في هذيان مخيلة غير منتظمة . وكذلك المنطقي ، اذا لم يكن هو ايضاً بديهياً نوعاً ما ، لا يلبث ان ينحصر في اعقم طرق المدرسيين (او الاسكلائيين Scolastiques) .

وهكذا ، نجد عند العلماء – تبعاً لمعادلة الميول الخاصة لكل عقل – اختلافاً كبيراً في الميول . بدءاً من المواقف الاكثر صرامة ، الى الاختيارية (Eclectisme) الاكثر حفاوة ، كما هو الشأن في نظرية بوانكاريه في « السهولة » Commodisme .

وان ما قلناه لينطبق على النظريين . بيد اننا سنجد فروقاً مماثلة إذا ما قمنا بتطبيق نفس التحليل على الاختباريين . سنجد ان البعض – كأحد عظمائنا جان بيران (Jean perrin) مثلاً – هم « ستراتيجيون » يدركون لسيطرتهم على الموقف ، بلمحة عين ، التجربة الاختبارية (L'expérience cruciale) التي ستبت بمسألة اساسية ، ويعرفون من ثم ان يحققوا هذه التجربة . في حين ان آخرين هم « تكنيكيون » يعرفون على الأخص ان يضعوا نصوصاً محكمة تمكن من تحقيق عمل ما او التغلب على صعوبة ما . وهناك آخرون ايضاً يساهمون في التقدم ، بانجاز اعمال طويلة النفس ، تتطلب صبراً مفرطاً في التدقيق ، كوضع جداول واسعة للمعطيات العددية .

ومن ناحية اخرى ، فأن هذا النوع من العاملين يوجد ايضاً عند النظريين ، وهم اولئك الحسابيون الذين اصبح اليوم عملهم الضروري وغالباً الطويل والجاف ، عظيم السهولة بفضل وجود الآلات الحسابية .

وبعد ، فيجب ان نتحدث ايضاً عن مطابقات العلم التي لها على السواء نظريوها واختباريوها . يجب ان نتحدث عن التكنيكي الذي يمكن ان يكون رجلاً متخصصاً ذا افق محدود ، ولكن ، يمكن ان يكون ايضاً ، وليس هذا بنادر ، رجلاً ذا آفاق واسعة يستحق لقب عالم ، مثله مثل اولئك الذين يشتغلون بالمعرفة الخالصة المجردة .

ففي عصرنا الذي تتجلى فيه هذه الالوان الكثيرة من التكنيك نتيجة للبحث والاستقراء ، وخاضعة لسيطرة الطرق العلمية ، يوجد كثير من المهندسين الذين هم علماء شرعيون عظماء . على انه من السهل ان نبين ان مشاغلهم وميولهم الذهنية ، هي غالباً جد مختلفة عن تلك التي تحدد العلماء في مفهوم الكلمة الضيق .

ويجب اخيراً للتكملة ، ان نحلل سيكولوجية المخترعين ، ونظهر كيف نمرّ بتدريجيات لا شعورية من (الخادع) المبتذل الى المخترع العبقري .

ان درساً سيكولوجياً عاماً للبحث والاكتشاف في نطاق العلم او التكنيك لا يمكن ان يجري في بعض سطور . لذلك فأننا سنكتفي بانهاء هذه الكلمة الوجيزة بالنتيجة التالية :

ان العلم ومطابقاته ، إذ هما من عمل الانسان ، فان تقدمها ، يعود الى الاراء المتضاربة والميول المتباينة . ثم أليس هذا اخيراً ما نلاحظه في تاريخ جميع الانشاءات الانسانية ؟ أليس هذا بذاته المميز الاساسي لكل تطورات الكوائن الحية ؟

وعلى هذا فان هذا الاختلاف في الميول والاراء ، بدلاً من ان يشل سير التقدم ، يجعله بالعكس ممكناً ، لأن المنازعات بحد ذاتها ، تحول دون الجمود ونسق الاطّراد ، وتقود الى تفحص المشكلات القديمة بلا مهادنة ، من نواح اخرى ، او مواجهتها مجدداً ، كما هي الحال مع الحياة ذاتها . إذ لتمايزها وعدم استقرارها يدين العلم بعدم بقائه جامداً ، وبقدرته على التقدم * .

نقلها الى العربية

هنري صعب الخوري

* راجع العدد ١٣٩٦ من مجلة Les Nouvelles Littéraires

الصامدون

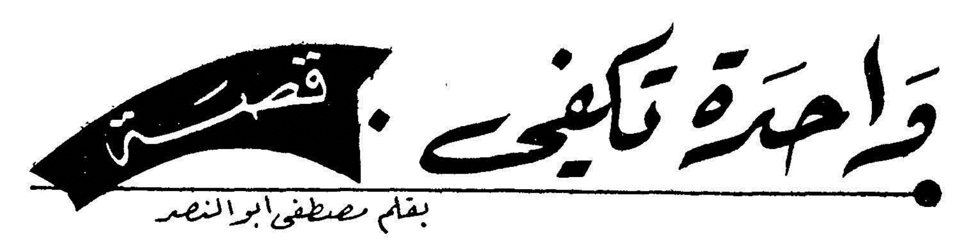
[لقد كنت تحمل رمادك في ذلك الحين الى الجبل،
فهل تحمل الآن نارك الى الوادي ؟ ..]

من لوعة الاحزان ، من سأم الليالي الخاويات
من وحدتي المحمومة الدكناء ، من ليلي المرير
عيناي مطبقتان في نهم على كون مضاء

. . . .

كوخي المجصص ، والدجى ، والسامرون
ولهيب مدفأتي القديمة ، حيث تحتضن الظلال
اضواءَها المتبعثرات
وكأذرع الموتى ، هناك ، تعوم في الافق البعيد
بعض السنابل ، بعض دفلى ، بعض غابات النخيل
ونساؤنا الثكلى ، ووحشتنا ، وجارتنا العجوز
– بالأمس سيق وليدها الواعي الى ليل السجون –
معروقة عمياء ، تطرد بالتعاويذ الهموم
وعويل جائعة يمزق هدأة الصمت العميق
ابداً ولا وجه يعبر عن حبور
لا بسمة تشدو ، ولا وجه يعبر عن حبور
والموت والاقطاع يفترسان اعشاب القطيع
وبلا ربيع
ستظل ايام الكسالى الخانعين بلا ربيع
والليل ، والحمى ، وحراس الحقول من اللصوص
– ككلاب قريتنا الهزيلة – من طوىً متوحشون
والخوف ، والارض الحزينة ، حيث اشداق الخريف
عبر الفصول الغبر تزدرد المروج
ولقد مللت مدينة الاوغاد حيث الجائرون بلا ضمير
وبلا دم وبلا قلوب
وبلوت ألوان المصائب ، واغترفت شذى الحنان
من قلب طائشةٍ ، اراقت عبرة اللحن الاخير :
« قد مات حبي ، جف ينبوع الرؤى واحسرتاه »
وتلوتُ انجيل الحياة الرث في نهمٍ شديد
وخرجت باللاشيء ، إلا من اغاريدٍ حرار
« يا اخوتي الرفقاء ، ما زالت اباطيل القرون
تستعبد التاريخ . دكوا صخرة الماضي الأثيم
لا بد من شيء جديد »
وسئمت آفاق المدائن حيث تنتصب البروج
وعلى اعاليها يرفرف بيرق الخزي الشنيع
والليل والغرباء – مصاصو رحيق حياتنا –
والساقطون فرائس الزمن المريض
التافهون الماسخون
بعض الشعارات النبيلة من اغاني الصامدين :
« أواه دعهم ، يا رفيق الدرب ، دعهم ، يهزأون
بهمومنا المترنمات
بدموعنا المتحدرات
بسجوننا ، بقيودنا المتحجرات
أواه ، دعهم ، إنه الطوفان يكتسح السموم
والعار من ارض العبيد . »
... وغمرت قلبي بالرماد
ودفنت احلامي الوضيئات العذارى والورود
وثكلتهن بلا دموع
وجنحت في آلاميَ المتوقدات
من نقمة الموتى ، ومن احقاد مجتمعٍ هزيل
وعدوت ، لا كانت رؤى الماضي البليد
والريح تطرق باب احلامي ترن وتستعيد :
« امخر بزورقك العباب
ابداً عذارى اليم تؤنس وحشة الأفق السحيق . »
وعدوت لا كانت رؤى الماضي البليد
وهرعت للكون المضاء
وعلى مدينتهم بصقت ، ادق باب المستحيل
عبر الممرات الوعيرة ، والدماء
من جرح اقدامي تسيل
والشوك ، والدرب الطويل ، وامنياتي المطفآت
وصدى صلاة
عذراء تصعد للنجوم
أمشي ، واسأل وحشتي الدكناء عن نجم بعيد
زاه ، ينام وراء امواج الرمال .
والصمت ، والاشباح ، والقلق المبيد
وحش يطاردني الى صحراء قاحلة السهوب
مجهولة الابعاد ، تسبحُ في بحارٍ من جليد
حتى لمحت ، على طريق الشمس ، قافلة ونار
من حولها رفقائي الاحرار في احساسهم
يتدفأون .

بغداد — كاظم جواد



واحدة تكفي

قصة

بقلم مصطفى ابو النصر

دقت الساعة تسع دقات كئيبة ، فرفعت بصري اليها في ضيق ، وراودتني رغبة في تحطيمها . ولكنني اتجهت الى مكتبي ، فجلست امامه ، ونقلت بصري عليه في حـيرة ، فوقع على علبة السجاير ، فأشعلت واحدة ، ورحت انفث دخانها ... ودارت في رأسي افكار : لماذا اعيش ؟.. هل الحب كل شيء ... الفشل، النجاح ... امنيات لم تتحقق... الفشل، انه الصورة الصادقة لحياتي... جمعت من المال الكثير...ولكن ما فائدته ؟ قطعاً ان المال ليس كل شيء... السعادة كلمة لا معنى لها...الانتحار ... الموت ... ليس بعد الموت حياة... كيف تكون ان كانت ؟! لا شك انها خير مما نحن فيه... وربما ... كلا... لا اعلم ...

وظلت الافكار تتضارب في رأسي ، وانا في شبه ذهول عام ، لم افق منه إلا حينما لسعتني السيجارة ، فتنبهت الى نفسي واطفأتها . واحسست ان يدي فارغتان ، فاردت ان افعل شيئاً ، ففتحت الدرج وانا لا ادري لماذا افعل ؟ فوقع بصري على مسدس ملقى في الدرج ، وكأنه ينعي حظه، رصاصة واحدة لم اطلقها منه ابداً منذ ان اشتريته ، لماذا ؟ وفيم اذن كان شراؤه ... حقاً انني لغبي ... واقتربت يداي منه وقد اصابتها رعشة خفيفة ، وامسكت به واخذت اقلبه في كفي ... ان لونه الاسود يعجبني ، قد يكون ذلك لأن حياتي نفسها سوداء ... الفرق بيني وبينه ، انه ملآن وانا فارغ . وارتسمت على شفتي ابتسامة ، ولست ادري ما كان معناها !! ابتسامة بلا معنى ... ثم اخرجت خزانته وافرغتها فاذا فيها تسع رصاصات ألقيت بها في الدرج ما عدا واحدة ابقيتها في المسدس قائلاً : واحدة تكفي . واغلقت الدرج في عنف ، فتخيلت انني لطمته ، ووضعت المسدس على المكتب ، وقمت من جلستي متجهاً الى الشماعة ، فأخذت سترتي وارتديتها ، ثم ألقيت على نفسي نظرة سريعة في المرآة ... فأطلقت ضحكة عالية سخيفة ، احسست انني قد اخترقت بهاظلام الحي جميعاً ، وتناولت المسدس ووضعته في جيبي الخلفي ، ولكنني شعرت عند ذلك ان مشكلة اخرى تواجهني ، لا اعلم ما هي ، بيد اني لم اقف لأفكر في مشكلة لا أدريها ، وانما اتجهت نحو الباب ففتحته فوجدت القاعة التي امامي مظلمة معتمة ، فتذكرت ان حجرتي مضيئة ، فامتدت يدي الى زر الكهرباء وضغطت عليه فساد الظـلام المكان ، الا من ضوء خافت تسرب كاللص من اخر المنزل . واغلقت باب الحجرة ، وسرت في القاعة المظلمة وانا احس في نفسي بألم دفين ... وشعرت الخادم بوقع قدميّ ، فهبت من جلستها وراحت تحوم حولي ... على شفتيها الكلام ، ولكنها لم تستطع ان تنبس بحرف . لا شك انها ادركت ما اعانيه من ألم ... ويبدو انها ارادت ان تنزح هذا الصمت الجاثم بيننا ، فقالت بصوت خافت كله تردد : هل سيتأخر سيدي في الخارج ؟ ... فرمقتها بنظرة لم تلمحها هي لنور بصرها الخافت ، ولما لم تلق اجابـة ما ، تحركت في بطء وانزوت في ركن القاعة مطرقة لا تنبس ، ولا تستطيع ان تبصر .

اما انا فقد تصرفت كشخص مجنـون ، درت حول نفسي عدة مرات ، وشككت في وجودي ، فرحت اتحسس وجهي ، ولم استطـع اكثر من ذلك ، فخرجت عن صمتي وصحت قائلاً : الهي ... اكاد اجن ... واسرعت خارجاً من المنزل .

خرجت الى الطريق ، فوقفت حائراً اتلفت في هذا الظلام المطبق، ولولا هذه الذبالات الضئيلة المنبعثة من مصابيح الطريق ، لقتلت نفسي ، انها الشيء الوحيد الذي يستطيع ان يبعث في نفوسنا الامل مرة ثانية . ثم اتجهت الى اليسار ورحت انقـل الخطى في بطء شديد ، وانا اشعر في نفسي انني آتي شيئاً مؤلماً ، ورفعت بصري ، بعـد ان كنت مطرقاً ، انظر الى الشبابيك المغلقة التي ينبعث من خلفهـا الضوء ، وراودتني فكرة وامنية ، ولكنها جنونيتان ... فكرت في ان اطير، وتمنيت لو صار جسدي كالخيال والروح يخترق الحيطان دون ان يشعر بي احد . لقد انتابني نوع من التطفل عجيب، اريد ان اعرف كل ما يدور في داخل هذه البيوت...

هل يعيشون مثلي في فراغ مميت ؟.. لا اظن والا لكانوا جميعاً يسيرون الآن في الطريق ... ان الحياة خلف هذه الجدران ... لا شك انها جميلة ممتعة وإلا لما استطاع احدهم ان يقضي دقيقة واحدة في منزله . كيف امكنهم الحصول على هذه الحياة ؟ يا لي من غبي ! اهذا سؤال ؟ ان هذه الحياة الناعمة السخية..لا يمكن الا ان تكون موهوبة .. فليس لانسان ان يصنع حياته.

وفجأة لاحت من بعيد عربة فخمة، جرحت هذا الظلام بضوئها الشديد ، ومضت مسرعة من جانبي ، وكان يبدو على سائقها انه سعيد ، وسألت نفسي : ترى الى اين هو ذاهب ؟... لا بد ان حفلة راقصة في انتظاره . وعاد السكون الى الطريق مرة اخرى بعد ان اختفت العربة بضوئها وضوضائها.. وتركتني استمع الى وقع اقدامي الحزينة .. ووجدتني اتحسس موضـع المسدس ، وهممت باخراجه من جيبي ، غير انني لم افعل ، لم اجد سبباً لذلك، وكدت الطم نفسي .. ولكن هذا جنون .. وكانت اسئلة كثيرة تتكتل امامي ، ولكن السؤال الكبير الذي ظهر واضحاً وملحاً هو : ومن ادراك انك لست مجنوناً ؟ ! حقـاً من ادراني انني لست كذلك .. وكاد التفكير يجرفني مرة اخرى بصورة قد تكون اضخم وابشع من الاولى ولكن عربة كالسابقة لاحت ووقفت امام قصر فخم واطلق صاحبها الة التنبيه في صوت منغم لطيف .. عندئذ توقفت عن السير وانزويت في ركن امين ، واخذت احدق النظر الى العربة وراكبها .. وكان وجهه يبدو تحت الضوء الخافت ، كانسان قضى حياته في الجنةوهو ذاهب الآن الى جنة اخرى يتم فيها نعيمه.. وانتبهت الى ضوء لاح في نافذة واطل منها شبح امرأة قالت في صوت هادىء سعيد : حمدي.. حالاً .. واختفت من النافذة .. ثم انطفأ النور . واضاءت الحديقة .. وخرجت امرأة فاتنة كالحب .. وسألها : تأخرت عليك ؟! قالت كلا .. واطلقت ضحكة جميلة ، لست ادري سببها،واختفت بجانبه في العربة ومضت حتى ابتلعها الظلام في نهاية الطريق. وعاودت السير ولكني احسست ان شيئاً فقد مـني وتحسست المسدس فاذا هو قابع في مكانه .. ترى لماذا احضرته ؟ ! وتملكني هذا الشعور بالضياع فرحت ابحث في جيوبي جميعاً عن شيء فقدته ، ولكن لم اجده .. اه انني لم افقد شيئاً سوى الحياة .. حياتي ليست حياة..وعاد السؤال السخيف يبدو امامي مرة اخرى..لماذا اعيش ؟.

كانت خطواتي البطيئة ، وطريقة سيري الضال ، تثير انتباه بعض المارة ، كنت ارقبهم بعـين خفية واحس بالحاجز الضخم الذي يفصلني عنهم ..

الذي يفصلني عنهم؛ واردت ان افعل شيئاً، فنظرت في ساعة يدي فلم اتبين الوقت، فأخرجت عود ثقاب، وأشعلته، ولكن الهواء اطفأه قبل ان اعرف الزمن.. فلعنت نفسي.. وعاودت السير وأنا اسأل نفسي : الى اين انا ذاهب ؟! ولم اجد الاجابة طبعاً ... واقتربت من مصباح الطريق ، فرفعت يدي ونظرت في الساعة .. كم ! ! العاشرة والنصف ! ! ولم اصدق .. فاتهمت الساعة .. ساعة ونصف قضيتها سيراً في هذا الطريق ! ! ؟ شيء لا يعقل .. وظهر احد السابلة فاقتربت منه وسألته في شيء من الاضطراب : كم الساعة من فضلك ؟ فرمقني بنظرة. احسست انها اخترقت جسمي ... وكدت انسحب لولا ان قابل في برود جعلني اذوب في نفسي خجلاً : العاشرة والنصف .. فتراجعت وأنا اتمتم : اشكرك اشكرك ... إذن فساعتي مضبوطة .. ماذا اتيت في هذه الساعة والنصف ؟ ! لم افعل شيئاً وإنما كنت اسير.. ألم اتوقف! حقاً لا ادري .. نعم توقفت مرة او مرتين .. ولكن كم من الزمن قضيته واقفاً ؟. لا بد انني محموم، ورفعت يدي الى وجهي وتحسست جبهتي، فاذا هي باردة كالموت ... خير لي ان اعود .

وتوقفت حائراً ، ورحت اتلفت حولي ، وكان الضيق قد بلغ بي حداً كبيراً ، واقتنعت تماماً انني اعيش بلا فائدة .. واعجبتني الفكرة .. نهاية غامضة جميلة .. لا شك في هذا ، وابتسمت وارتفعت يدي تتحسس المسدس .. واخرجته ، والقيت عليه نظرة معجب مزهو وتمتمت قائلاً : هنا يكمن الحل .. واخرجت خزانته ونظرت الى الرصاصة بشيء من الارتياح ، ثم وضعت الخزانة مكانها ، ورحت اقلبه في يدي .. وألقيت نظرة الى الزناد .. ضغطة واحدة على هذا المكان تنقلني الى عالم آخر ... لست ادري كيف يكون .. لا بد انها حياة جميلة ، وإلا لعاد احد الموتى على الاقل ..

وفجأة تخلل سمعي صوت اقدام منتظمة الايقاع تقترب ، فرفعت نظري فلمحت في الظلام المطبق شبحاً متجهاً نحوي.. يجب ان اتخلص منه .. كيف ؟ واقترب مني الشبح شيئاً فشيئاً ، فلمحت ازرار سترته الصفراء ، فأدركت انه شرطي ..لم احاول التفكير ، وماذا استطيع ان اصنع .. سيظن انني مقبل على جريمة .. سأقضي الليلة في السجن .. لماذا لا اقتله قبل ان ... ووجدته واقفاً امامي ، فارتعشت يدي ودرت على عقبي وتظاهرت بوضع يدي في جيبي وأخفيت المسدس .. الحمد لله لم يره . وسألني قائلاً :

– ماذا تصنع هنا ؟

فرسمت على شفتي ابتسامة باهتة وانا اقول :

– لا شيء .. اتمشى .

فقال في تعجب :

– في هذا الظلام ! !

فقلت : سأعود .. سأعود حالاً .

وهممت بالسير ولكنه شك في كلامي فمد يده الي . امسك بذراعي وهو يقول :

– قف .. الى اين انت ذاهب ؟

– الى البيت .

– اين تسكن ؟

– هنا في آخر الشارع .

وأشرت بيدي الى نهاية الطريق.. فتركني ومضى دون ان ينبس بكلمة.. وتذكرت المسدس وشعرت بثقله في جيبي .. اريد الخلاص منه .. اين .. اين .. هنا . واخرجته وانحنيت على الارض ووضعته في جانب الطريق ، وتلفت حولي وانا اشعر بضربات قلبي المتوالية ، وكان الطريق خالياً ، واخذت طريقي الى المنزل .

كنت اسير بخطوات مسرعة ، وانا لا افكر في شيء ما .. كان عقلي عبارة عن مجموعة من الافكار المفزعة المخيفة .. ووصلت الى المنزل وكان الظلام مطبقاً ، فأشعلت عود ثقاب لأضع قدمي على اول درج من السلم .. ثم صعدت فيه والظلام يكاد يمزق عروق عيني ، ووقفت امام باب الشقة ، وكان ضوء باهت منبعثاً منها .. وضربت الباب بقدمي .. لماذا ؟ .. لا ادري! وما لبث ان فتح الباب وظهرت الخادم بوجهها الهادىء .. فألقيت عليها نظرة ولم انبس بحرف ، ورمقتني بنظرة لم افهم معناها ، ووقفت في وسط القاعة، وأحسست بالحيرة تقطع قلبي فسألت نفسي : لماذا انا حيران ؟ .. ولكن لم اعرف الاجابة وانما سمعت صوت الخادم وهي تسألني قائلة : هل أعد لك العشاء ؟

واعتقدت انها تدخلت فيما لا يعنيها فكظمت غيظي ولم الق اليها جواباً ، وانما سرت الى حجرتي وانا اكاد انفجر ضيقاً .. وقبل ان ادخل وكنت ممسكاً بأكرة الباب التفت الى الخادم ، وفي فمي شتائم ، وهممت ان اقول لها « انت من الغد مطرودة » ، ولكن حين نظرت الى وجهها ، فقرأت عليه سيماء الحزن ، ورأيت في عينيها الوانيتين شعاع المحبة والحيرة والرغبة في ارضائي ، او خيل الي انها الرغبة في مساعدتي على الخروج من ازمتي ، تحولت الشتائم في فمي الى انفجاراً احسسته يمحو من صدري كل ضيق وكل توتر ، فصحت بها :

– هل تظلين طويلاً واقفة هكذا كالجدار ؟ ألم تعدي العشاء بعد ؟

القاهرة — **مصطفى ابو النصر**

جنود الاحتلال

ما زلتُ اذكر ذلك اليومَ الرهيبْ
والشارع النائي ، وقضبان القطار
كنا صغار ..
كبراعم الورد الحبيبْ
نلهو ونمرح في الأزقة والدروب
كنا صغار ..
حين احتوانا – والضحى – درب طويل
في ذلك اليوم الرهيب
كنا نهرول في جنون ..
اقدامنا الرعناء تستبقُ العيون !
للشارع النائي البعيد ..
وعيوننا البلهاء تنثر في ذهول ..
نظراتها بين الأزقة والدروب
حتى وصلنا الشارع النائي البعيد

★

كانت جيوش الاحتلال
كالسيل تزحف للقتال ..
كانت .. واسراب المدافع في المسير ..
عجلاتُها الحمقى تدمدم كالهدير !..
والارضُ ، كانت ، تحتها تعبى تنوء
تعبى تنوء ...
كنا حيارى ذاهلينَ ، وفجأة بين الجموع
تلفتت عيناي تبحث عن « رفيق » ،
أخي الصغير ...
ومضيتُ اصرخ في جنون ، والدموع
تجري .. وتجري فوق خدي : « يا رفيق !
أخي !.. حبيبي .. اين انت ؟
أخي رفيق !! »

لكنني ابصرت قوماً من بعيد ..
قوماً كثار ..
كانوا هنالك عند قضبان القطار ..
يرغون في صخب شديد ..
اصواتهم تعلو وتنذر بالوعيد ..
وكأنما قد لفهم ثوب الشجار !..
فركضت نحوهمو لعلَّ اخي هناكْ ..
لكنني !! يا هول ما قد ابصرتْ عيني هناك !..

★

كانت جيوش الاحتلال
كالسيل تزحف للقتال ..
كانت .. واسراب المدافع في الطريق
عجلاتُها قد مثّلت بأخي رفيق !!
تركته اشلاءً مبعثرةً يلونها النجيع ..
ومضتْ الى سوح القتال ..
عجلى ، وفوق ظهورها كانت جنود الاحتلال
في نظرةٍ شزراء تهزأ بالجموع !!..

★

ما زلتُ اذكر ذلك اليومَ الكئيبْ ..
وعويلَ امي ، والخدود الداميات ..
والاعينَ المتقرحات من النحيب
والباكيات الناعيات ...
ونساءَ جارتنا يبعثرن الشعور ..
واللاطمات على الصدور ...
في بيتنا الخرب العتيق ..
كانوا ، جميعاً ، ينحبون ويندبون
أخي « رفيق »

بغداد — حسن البياتي

حلاق القرية

.. الحائط الوسخ الملطخ بالدهان ،
رسمت عليه كف طفل وهو يعبث بالمداد ،
نخلا ، وجمجمة ، واشياء كثيرة
من قصة السعلاة والجني والبنت الاسيره .

★

الحائط الوسخ الملطخ بالدهان وبالمداد ،
لصقت عليه كف صاحبه تصاويرا كثارا ،
بمقصه المثلوم قطعها من الصحف القديمه ،
ومضى يحدق في مناظرها ويحلم بالمدينه
ويجيب من حين لحين وهو يوشك بالسعال :
– اهلا – تحية عابر حيا وسارا
ويعود للتحديق في الصور القديمة في سكينه .

★

وتمر ساعات فينهض وهو يسعل في سكون ،
مستبشراً بالرزق موفوراً ، فقد جاء الزبون
ويدور بينهما الحديث بلا اتساق ولا انتظام ،
يتحدثان عن الحياة عن الحروب عن السلام !! : –
« البؤس اضنانا فما اهل القرى »
« إلا كديدان تدب على الثرى »
« عشرون عاماً في الحلاقة والزمان »
« يطوي الخلائق في عباءته ويمضي دون مهل »
« وانا هنا وحدي بلا مال بلا ولد واهل »
وتداعب الريح الكئيبة وهي تعبر في الحقول ،
العشب والاشجار في غاب النخيل :
« اني تعبت من الحياة فما أزال »
« اشقى ويضنيني الرغيف »
« بالامس لم يعرج على الحانوت شخص فالرجال ،
« في الحقل يشتغلون إذ جاء الحصاد »
« هم في الربيع وقد دخلت من الحياة الى الخريف »
« تعساً لعمر مثل عمري فالحياة ، »
« تقسو على المستضعفين وليس يخشاها الطغاة . »

★

« رباه ! ان الزارعين لمتعبون ، »
« انا إن اموت فهل سيبقى الظالمون ؟ ، »
« في الارض يجنون السعادة من دماء الكادحين ؟ »
وتطلعت عيناه للصور القديمة من جديد ،
فرأى – كأن لم يبصر الرسم القديم ،
من قبل – فجراً أطلقته من سلاسله العبيد .

بغداد زهير احمد

فهو كثيراً ما يقحم الصور التي لا تمت الى واقع حياتنا بصلة كصورة الحداد الذي يراود عينيه النعاس في قصيدته (سوق القرية) فلم اجد هذه الصورة في الريف العراقي. وكقوله في قصيدة (القرصان) :

والمومسات
بثيابهن الباليات
يجمعن اعواد الثقاب
وينتظرن على الرصيف .

فما هي حاجتهن الى جمع اعواد الثقاب ؟ الخ ...

وتجد هذا التكاف في الصور في قصائده : «ماوماو»و«كوريا»و«فيتمين»التي اقحمها اقحاماً دون ان تشدها وحدة متماسكة من الاحساس والتلوين العاطفي والايقاع العذب . كما اخطأه التوفيق في وصف الثائرين بالموت في قصيدة (الباب المضاء) :

والليل والباب المضاء ، واصدقائي الميتون
بلا وجوه يحلمون
والاصدقاء الميتون من المصانع والحقول
كمياه نهر هائج يتدفقون ، ويهتفون
بموت سفاكي الدماء الخ ...

فاذا تخطينا قوله «بلا وجوه يحلمون» لأننا لا ندري ماذا يريد بذلك، فأن الذين يدافعون عن حريتهم وانسانيتهم لا يوصفون بالميتين ، ان من يقاوم الظلم ويدفع الحيف لا يوصف بالميت . انه البطولة والعزة والشموخ في اسمى معانيها .

والبياتي موزع الشخصية بين الرمزية والوجودية والواقعية والرومانتيكية ولم تتضح له شخصية مستقلة واسلوب متميز ، وربما جمع الضدين في قصيدة واحدة كما فعل في قصيدة (امطار) : فقد ابتدأ رومانتيكياً وانتهى وجودياً . ففي القسم الاول من القصيدة يصف حنينه للعودة الى الحقل بحرائثه وبأرضه السوداء وعصافيره والربى الشاحبة، وبعد ان ينفث شوقه الى اكواخه والبيدر وأغاني الحاصد العائد من كوخه النائي .. بعد كل هذه الصور الساذجة الحلوة على الرغم مما فيها من خطوط سوداء يفسد هذه الصور بوجودية مظلمة فيقول :

اتراها لم تزل تذكر من
عمرها يوماً به كانت وكان
يوم القته على الارض وقد
نامت القرية عنا والزمان

ان النقلة التي انتقلها البياتي في قصائده (انتظار) و (مذكرات رجل مجهول) و (الملجأ العشرون) تدعو الى التفاؤل فيما هو ماض اليه ، وما عليه إلا ان يعيش في تجاربه مع الواقع ومع الحياة والناس وعندها سيولد شاعراً يغني المعاني الانسانية بقوة وعمق واخلاص . فالأزمة في حقيقتها ليست بأزمة قوافي وأوزان بقدر ما هي ازمة فكرة وأحاسيس وصدق .

بغداد اكرم توفيق

فوق التراب

قصة بقلم عبد الهادي البكار

قصة ماســح الأحذية ، هذا الذي في ضيعتنا ، قصة ، تُضحك ، وتبكي .

الأحذية التي يلبسها ابناء ضيعتنا ، ما فيها حذاء تَعْلق عليه (البويا) .. كل الأحذية بلونٍ واحد ، لون التراب ، أو لون يابس الطين .

والحكايات — كل الحكايات — التي رواها لي أبي عن رجال الضيعة ، ليس فيها ما يُشير الى ان واحداً تجرّأ فعمل ماسح احـذية في ضيعة ٍ تجمع بين احذية ابنائها رابطة واحدة ... رابطة (اللون) !

ماسح الاحذية هذا الذي في ضيعتنا إذن ، ليس من ضيعتنا .

انا كلما مررت من السوق ، أراه جالساً في قرنة دكان (أبي صالح) بائـــع لحم الجَمَل ، ساهماً يستر شعراته المتجعدات بـ (لبّادة) ضاع بياضها لكثرة ما حطّ عليها من براغيث خفيفة ، وذباب ثقيل الدم ! يرتدي سروالاً يلمع عند الركبتين يشده الى خصره زنارٌ عريض ، أصله « لحشة » كان يلفها حول رقبته الرفيعة ، التي تبرزُ من منتصفها الأماميّ (تفاحة آدم) فكأنها منخر له ثانٍ ! وأرى صـدره المقعَّر ، الأسمر البشرة ، فيه انخفاضٌ ملحوظ عند عظم القص .. وقدميـــه الحافيتين كأنها ليستا حافيتين .. فقد تقرْمَد جلدهما ، فصار تربطـــه بأحذية الآخرين من ابناء الضيعة رابطة واحدة .. رابطة (اللون) !

مِن شهرٍ — وكان الجــو قد بدأ يصحو — خرجتُ من الدار ، عند العصر ، لأستنشق بعض الهواء النظيف في البساتين ، فشاهدته يتوغل بين الاشجار ، وحيداً مطرق الرأس ، واضعاً كفيه في جيبَيْ السروال .

وشعرتُ بدافع للحاق به .

مشى — ومشيت خلفه من بعيـــد — قدْر كيلومترين . استقرّ على ضفة النهر ، الترابية ، وصار يخطُّ خطوطاً مبهمـة بإصبعه فوق التراب ..

وبعد ساعة ، أمضاها يخطط ويفسد ما يخطط ، قام وأخذ وجهته بين الشجر ، شطر الضيعة .

ما كاد يغيب ، حتى هرولتُ الى المكان الذي كان يجلس فيه ، فإذا بصورة مشوّهة لخارطـــة مخطوطةٍ خط إصبع على التراب ، كانت .. خارطة فلسطين ، بحدودها ، قبل التقسيم !

★

بعد هذا الحادث ، بدأ ماسح الأحذية الاسمر الذي في ضيعتنا يثير فضولي ، وحزني .

قصدته البارحة ، في قرنته ، عند دكان ابي صالح بائع لحم الجمل . كانت في عينه دمعة ، وأولاد كثيرون حوله مجتمعون ، يرمونه بقشر الخيار .

لم يتكلم وقت وضعت قدمي على الصندوق ؛ بل انهمك يحرّك يديه ، ووجهه لا يرتفع عن الحذاء . قالت طفلة ، تشير اليه ، بلحن اغنية معروفة في الضيعة :

— أخرس .. يا أخرس ..

فلم يلتفت .. ما سمعَ شيئاً ... وظل وجهه منكبّاً فوق الصندوق .

ولما نقر قفا حذائي بإصبعه ، إشارة الانتهاء ، نقدته ربع ليرة ، فأخذها غير مبتسم ، واكتفى بهزّ رأسه علامة الرضى ؛ وحين قرّب كفه من علبة خشبية ، مثبتة جنب الصنـدوق ، ليضع فيها ربع الليرة ، رأيت خطوطاً محفورة على الخشب .. كانت صورة مشوهةً لخارطة فلسطين .. بحدودها قبل التقسيم .

★

سألت اليوم أبا صالح بائع لحم الجمل ، عن ماسح الأحذية الاسمر هذا الذي في ضيعتنا . فقال :

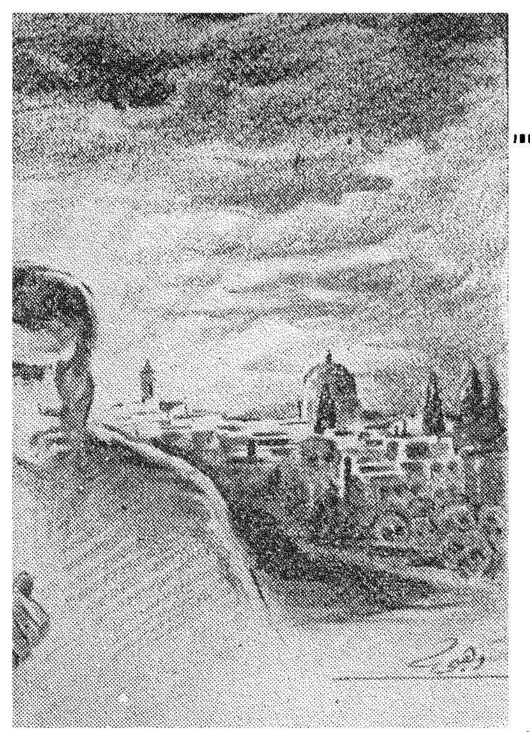
— من يافا جاء مع اللاجئين .. كان يحكي .. وخرس من سنة ... ثم اصبح أينما حلّ يحرّك إصبعه في خطوطٍ مبهمة .

★

أيها المارّون بضفة النهر الترابية في ضيعتنا ، لا تعبثوا بالخطوط المشوهة على التراب ، ففينا بعدُ من يحفظ صورة فلسطين ... قبل التقسيم !

دمشق — دوما

عبد الهادي البكار



عودة اللاجئ

من وحي صورة « نداء العودة » للفنان اللبناني رشيد وهبي
على غلاف العدد الخامس من مجلة (الآداب) – مايو ١٩٥٤ .

مَن ذلك الرائع في صمتـهِ
على حدود الوطن الغالي ؟ *

يرنو الى الغرب وفي قلبـه
وناظريه عزمُ رئبـالِ !

أشاعرٌ ، خيـاله يجتـلي
سحر الدنى خلف الغيوم الرقاق؟

ام عاشق لم يسل محبوبـه
رغم المدى، ورغم طول الفراق؟

كلاهما ... فشاعرٌ صامتٌ
والشعر في لهفة وجدانـهِ

وعاشق في قلبه لوعـة
محرقة من فقـد اوطانـهِ

تدعوه في وقفته الصامتـه
نسائم البحر البعيد الجميـل

وعابثات الموج في ركضها
الى رمال الشط عند الاصيل

يدعوه عطر البرتقال الشهي
يرش من آلائه في الفضاء

وزقزقات الطير فوق الغصون
تأوي الى أعشاشها في المساء

تدعوه تذكاراته الباسمات
منذ الصبى ، وذكرياتُ الهوى

في قلبه منها وفي روحـه
أعذب ما تهفو اليه الرؤى

تدعوه في شوق جبال الجليل
قد برّح الشوق بها للقاء

وكل مرج باسط صـدره
يهتف في مسمعه بالنـداء

في كل شبر رنة من نشيد
وهمسة من ذكريات عذاب

او قطرة من دم إلف شهيد
ضحى باحلام الهوى والشباب

تدعوه في فصل الشتاء الغيوم
وفي الربيـع العشب والزهر

والبرتقال الحلو ، اشجـاره
في الصيف تستهويـه ، والبحر

والفأس في الخريف تدعـوه
للأرض، كي يشق صدر التراب

ويغـرس الخـير بأحشائه
فيجتني منه الثمار الرطاب

في كل فصل همسة حلوة
في اذنه تدعو : متى يرجع ؟

من كل شـبر دعوة عذبة
إلى متى تدعو ولا يسمع ؟!

وخلفه ... ماذا ترى خلفه ؟ !
الخيمـة العـارية الباليـة !

ولقمة الاحسان جادت بهـا
(م) الايدي التي تسلبه العافيه !

فلتحترق خيمتـه ! انهـا
رمز الشقا والعزة الضائعة

ولقمة الاحسان ، حتى متى ؟!
الى الجحيـم اللقمة الخانعه !

كل كنوز الارض لو نالهـا
لم تعدل البيّارة النائيـه

وكل ارض هي سجن لـه
إن لم يعد لداره الغاليـه

لن يرتضي الفردوسَ داراً له
ودارُه تدعـوه ان يرجعـا

ولن يهاب الموت من أجلها
ولن يخافَ النار والمدفعا

في روحه عزمٌ يُذلّ الصعاب
ويسحق الهول ، ويفني العدى

فلتعصف الدنيا وويلاتهـا
وليزبد الهول ، وليطغ الردى

في أذنه صوتٌ حبيب حنون
يدعوه في شوقٍ : «متى نرجعُ ؟»

لبيك ، لبيكَ نداء الوطن !
لبيك ! إني سامعٌ طيِّعُ !

. . . .

. . . .

وارتفعت يمناهُ في دعوةٍ :
« إلى الحمى ! إلى الحمى يا رفاق

إن الحمى أذرُعـه نحونا
مفتوحةٌ ، مشتاقة للعناق ! »

عيسى الناعوري
عمان — الأردن

* تعقيب : يلاحظ ان الشاعر لم يلتزم نظام القافية (ولا نقول الروي) في القصيدة ، فان وزن المقطع الأخير في القافيـة يجب ان يكون واحداً فيها جميعها ، وهذا ما لم يلتزمه الشاعر . « الآداب »

دراسة في الفن الشعبي

محنة الشمر في دار الانتقام

بقلم شاكر حسن سعيد

(١) القسم الأول : مقدمة

كثيراً ما كان يظهر امامنا فوق صهوة جواده مقنعاً ومن احدى عينيه يقدح الشرر . وحينما كنا بعد نأوي الى احضان امهاتنا،كان ابطال الحكايات يحلون لفترات وجيزة محله ، فيلوحون من خــلال ظلمة الغرف الاسطورية المفعمة بروائح المسك وهم ينتزعون النور من قلب الليل.او يدخلون الكهف بقلوب لا تلين ، ويخرجون بانوف شامخة ووجوه قاسية . وكانوا يتقنعون للتو بقناع كقناعه ويتدرعون بلأمة كلامتــه . وذات يوم كنت اكتشف رأسي وانا مغمض الجفنين ورائحة الرطوبة العفنة ، واصابع امي وعمارات غطائي الصوفي . وكان كل ما حولي يسلمني الى خدر لذيذ ، ولم اك اشعر بهذا الظمأ الراهن لفقدان الاحساس . والدموع لم تكن لتتجمد في مآقيّ بعد ، وعلى حين غرة كان هو يصدمني بضحكة رنانة صافية فتبرز اسنـــانه لامعة وخلالها نابه النحاسية ووجهه الاسمر ، فيغيض عن وجهي اللون الوردي ويسرع قابي الطفولي بالخفقان . وكان مـع ذلك يختفي بغتة فأفتقده ، هو هو اللعين بعينه مقنعاً بالحمرة وفي كفه سيف اقتضى الحال ان يكون مقوساً ، وما وراء ظهره الدرقة النحاسية المرصعة بالمسامير .

وفي ايام السبايا (١) كنت استلم حزيناً الى رثاء الرجال ونواح النساء من بعيد ، وكان يختاط امامي الحلم باليقظة واللاشعور بالشعور. فهاهنا سوف يستحيل هو ايضاً الى الم دافق جاثم سرمدي يرن بسلاسل الندم ويتشح بسواد الاحداق . ومن خلال هذا كله سيظل ايضاً حزيناً مرعباً في آن واحد ، ويسير حتى في موكب النعش حيث الجسد محمول بين رؤوس الرجال مبتور الرأس ملطخ الكفن بالدماء ، وفوقه الحمام الآمن المطمئن .

واذكر مرة اني شهدت ما وراء هذا الجدث اسداً محولاً في عربة يحثو التراب على رأسه ، وسلسلة من الاجداث محمولة ملطخة الاكفــان مبتورة الرؤوس . وكانت اقدامها القذرة ترسم في الفضاء ما يشبه اذناب الاسماك ، واصابعها تستدير بشكل يشبه الهلال المطعون . وكان هو لا يزال يطل علي من كل شيء . ولم ينج منه جسد ولا جدث . كان بعينه مغامراً وحشاً حزيناً لا يستحق الرثاء ولو من اجل ما سيقذف به من حجارة ولعنات ، ويقال ان شمراً من الممثلين لاقى حتفه بغتة من يد احد المتزمتين ، فمات الانسان الذي يتقمصه تاركاً زوجاً وبضعة اطفال دونما مورد مــالي . ولكن صورته لم تطمس . ولكأني به الآن يخب مجدداً على صهوة حصانه ، وفي مقدمة بيضته ريشة تطاول الفضاء الذي تسبح فيه .

وهكذا كان يتغلغل في كل شيء . فهو من ابطال (اقاصيص الجان) و (المدن المسحورة) وهو من ابطال مسرحية يوم في عاشوراء ولكنه ايضا فلاح بسيط رضي ان يمثل دوره على المسرح بثمن بخس عــلى ان يضع في حسابه كل المصادفات المحتملة الوقوع. وذات امسية كئيبة سيهجم على هـذا الرجل المطمئن متزمت وبيده (قامة) يهوي بها على رأسه دونما سبب . ودونما سبب ايضا ستتدحرج الدرقة على الارض وستصطدم بحجارة الطريق وتزهق روح الانسان من جديد على الارض التي لم تذق ماء المطر منذ فصل الخريف.

ولكن هذا المارد الخرافي ، الذي كتب عليه اللعنة الازلية ، والذي ما زال يتجسد في بعض الفلاحين من ريف العراق الوسطي والجنوبي هو نفسه الذي سيظل بامكانه ان يتجسد في الآلهة: فمنذ اعماق التاريخ و (الشمر) يقف وجها لوجه امام ضحاياه . كانت مغامرات (جلجامش) (١) مثلاً تقتضي ان يقتل هذا المغامر (خمبابا) غول غابة الارز . وهو كائن قبيح الصورة يفتك بالآمنين . (والشمر هنا ضعيف الملامح) ، غير ان نزول(انكيدو)

(١) في عشرة الايام الاولى من محرم للسنة الهجرية تقــام مراسيم الندم والبكاء على شهداء معركة كربلاء . و (السبايا) اسم يطلق على المواكب التي سير ليلًا لهذا الغرض في العراق .

(١) الاشارة هنا الى الملحمة السومرية [ملحمة جلجامش] وملخصها : ان (جلجامش) بطل مدينة (ارن) وجبارها ومغامرها يبني اسوار مدينته ومعبدها ثم يستبد بسكانها فتبعث له الالهة غريمــا هو (انكيدو) عاش اول الامر في (البريه) . وبعد معركة حاميــة بين الغريمين (جلجامش) و (انكيدو) ينتصر (جلجامش) الا انه يفوز مع ذلك بصداقة (انكيدو) ومن ثم يغامر كلا البطلين الصديقين معاً عدة مغامرات . ومنها المغامرة التي يقتلان خلالها (خمبابا) غول غابة الارز ، ويدعى ايضا هواوا الذي عينه الاله (انليل) حارسا لتلك الغابة . وبعد ذلك يفتك الصديقان (بثور السماء) على الرغم من رغبة الهة الحب (عشتار) وهي التي بلغ من جبروتهـا ان هددت اباها الإله (آنو) بانه اذا لم يخلق لها ثور السماء لتحارب بواسطته (جلجامش) فسوف تحطم باب (العالم السفلي) ، وتدعو الاموات الى عالم الاحياء . وتستمر الملحمة في سرد رحلة (جلجامش) الرهيبــة الى جده (اتونوبشتم) او (نوح العراق) وهو الذي حمله الفلك اثناء الطوفان المشهور المذكور في الكتب السماوية . فبعد ان مرض (انكيدو) جزاء قتله (خمبابا) و (ثور السماء) وبعد ان مات يحزن (جلجامش)ثم يتجشم السفر ليرى جده (اتونوبشتم) وهكذا يغامر بعبور جبال (ماشو) ويمر (بالرجل العقرب) وزوجته ويعبر (بحر الموت) حتى يصل اخيراً . وهناك يستمع الى قصة الطوفان التي ينال بسببها (اتونوبشتم) الخلود . فيحاول (جلجامش) بدوره الحصول عــلى الخلود ويحصل عليه بعد ان يرشده اليه جده نفسه . الا ان بطلنا يفقد هذا السر (وهو نبات بحري) ذلك انـه حينما اخذته سنة من النوم في طريق عودته عنــد ساحل غدير تسللت إفعى فأكلت النبات (ولهذا السبب فهي تجدد شبابها بان تخلع جلدها) . وهنــا يستسلم جلجامش نهائياً للقضاء والقدر ويرضى بما هو مقدر على البشر فيعود الى مدينته ويبدأ بانجاز اصلاحاته. [راجـع مجلة سومر الجزء (١) سنة ١٩٥٠ ملحمة جلجامش : طه باقر وبشير فرنسيس . ص ٤٢ — ٨٠] .

الى العالم السفلي يقذف بنا وجهاً لوجه امام شمر من نوع آخر ، فهو ذلك الجلاد الذي يحكم مملكة الاموات وله حاشيته .. هو آلة الموت وآلهته . وسنرى ان في هذه المملكة الدفينة من العالم الكوني السفلي او ارض (اريشكيكال) التي يأوي اليها طريقاً لا رجعة فيه [في الحكايات درب الصد ما رد] وحيث طعام شعبها التراب والطين ولباسه ريش الطيور . في هذا العالم الماثل والغائب في آن واحد ، يلوح الـ (شمر) بتصدر القاعة بهيئة (ام نتازو) او بهيئة (نرجال) ملك ذلك العالم السالب. وازاءهم جميعاً يكاد ان يذهب (انكيدو) ضحية بل ان تذهب الالهة (عشتار) نفسها . وهذا الشمر السومري او البابلي سرعان ما يستحيل الى آخر اشوري . ذلك ان (امايا) الامير الاشوري المغامر يتوق الى زيارة العالم السفلي وحينئذ سيعاني هناك ضروب العذاب (١) .

فللحضارات الاولى اشارها اذن . بعيونها العور ووجوهها المقنعة . كانت لها اشارها تقسو اشد القسوة وتفتك بالناس الآمنين ، ومع ذلك فقد كانت من الالهة . بيد ان هذا لا ينفي بل يؤكد ان ثمة (اشاراً) آدميين كانوا ما يفتأون يفتكون بعد كل معركة بسكان المدينة المدحورة وبرقاب اسراهم فتكاً ذريعاً سرعان ما يصبح في اذهان مؤلفي الاساطير المجهولين من صور ذلك العالم السفلي - عالم الموت والعذاب .

كان الشمر اذن على ضحكته الذهبية يمتطي صهوة جواده ويجلد الناس بسياط لا يرونها ، وحينئذ ستفتح في ظهور الابرياء جداول من الدماء ، ويختلط الجلد الاسمر الداكن بخطوط حمراء ترتع فيها ديدان بحجم الخناصر . وخلال ذلك ، خلال هذه اللعنة التي يتقمصها انسان لا يعيش بغير ضمائر ضحاياه ينتصب البريء المتمرد ، فهو منذ البداية لا يبدو انه صائر الى الاستسلام ، لأن (انكيدو) على الرغم من نصيحة (جلجامش) اياه بضرورة عدم التطيب او مناوأة سكان العالم السفلي ، يرفض نصائح صديقه دونما عذر ، ويخالف تقاليد شعب (نرجال) فيزعج الاموات وملوكهم . اذ مهما سيجلد الشمر هناك ضحاياه ، فالشهيد ابداً ماثل امامه . وان (انكيدو) ليبدو لي الآن بصدره العريض وقامته المديدة، وقادراً على تناول السماء ونسف مملكة الاموات ، ذلك انه الاداة التي تحدت (خمبابا) وقتلت (ثور السماء) واهانت الالهة (عشتار) نفسها .

★

منذ الحضارات الاولى والشمر يخلد في التاريخ . وهو لا يني يجد له في الظلام اجساد بعض الابرياء ، يأوي اليها او يتسرب من رأس الى آخر كما تتسرب افكار الناس وعقائدهم عبر الاجيال . ولكنه كان يتشكل احياناً بوضوح لتحل لعنته في اجساد بعض التعساء ، وما ان تنتهي اعمارهم حتى يكونوا قد خلدوا في تاريخ الخرافة والاسطورة كما يخلد اليوم انفجار قنبلة (هيروشيما) في الرقوق الصوتية المدونة .

وحينما كان اسم (شمر) [٢] يعترضني ، كنت أقرنه اول الامر بملامح شخص اسمر البشرة ينجح ممثلو (عاشوراء) في التشبه به الى حد بعيد . ثم لا يفتأ يتلاشى شيئاً فشيئاً ويتبدد في حيزه من الفضاء كما تتبدد قطرة الندى تحت ضوء شمس الصباح . على انه حقيقة يقترن بشخص عاش في نهاية القرن الاول الهجري ، وكان على شيء من التجلد والتمرد ليتحمل وزر مقتل الحسين على عاتقيه . وعلى عاتقيه ايضاً سوف تتراكم احقاد ملايين المسلمين ما بين عربي وفارسي وهندي وتركستاني ومغربي وزنجي ، لتشيد له تمثالاً لارادة الباطل الغاشمة . ولقد تحدثنا كتب التاريخ احاديث تثلب زمرة من المحاربين اصطادوا بكل قحة بعض المسلمين من عائلة النبي محمد (كعمر ابن سعد) قائد الحملة و (شمر ذي الجوشن) قائد الميمنة و (عمرو بن سعد) قاتل (القاسم بن الحسين) و (عبد الله بن عقبة) قاتل (ابي بكر بن الحسن) و (عمرو بن الحجاج) قائد حامية مورد الماء ، وسواهم . غير ان لعنة الاسطورة تستقر اخيراً على قتلة الحسين بن علي بالذات امثال (مالك بن بشر) و (زرعة بن شريك) و (سنان بن اوس) وهو الذي طعنه و (حولى بن يزيد) و (شبل بن يزيد) . وهما اللذان حزّا رأسه . اما (شمر) فهو الملوم الاول لانه أغرى (عبيد الله بن زياد) والي الكوفة آنذاك بالاسراع في الامر فكان ان أنفذه الى (سعد بن عمر) ليشرع بالمذبحة ، كما اوفده الى الخليفة (يزيد بن معاوية) مع رأس الحسين . [١]

كان مقتل الحسين اول طعنة لفكرة الفروسية في الاسلام ، غير ان (شمر) كان بمثابة اول مقارع لذلك الانسان الكامل كيما يتجرأ ويتحمل وزر حز رأسه . وفي ضربة واحدة انهارت اول لبنة من البناء . وكما عملت يد النبي (محمد) قبل اقل من قرن مضى على مقتل حفيده من ابنته ، في انجاز حضارة المجتمع الزراعي الرعوي من ساحل الجزيرة العربية الغربي ، عملت يد (شمر) في تحدي أعلى سلطة اخلاقية - روحية للمجتمع الاموي .

والواقع ان مقتل الحسين ليس الحادث الاول من نوعه . فقد سبقه اغتيال (عمر بن الخطاب) و (علي بن ابي طالب) ، غير ان ذلك الموقف البطولي الذي وقفه الحسين ، وهو الوريث الروحي للنبي نفسه وحفيد له كان يجب ألا يهدر لدى شيعة (علي) . (فعمر بن الخطاب) هو الخليفة المسلم القتيل و (علي ابن ابي طالب) هو الانسان الكامل القتيل ، لكن (الحسين)

(١) (اسطورة النزول الى العالم السفلي) من الادب السومري ايضاً . راجع مجلة سومر عدد (٢) سنة ١٩٥٠ ص ١٧٩-١٨٦ .

(٢) اسمه الحقيقي (شرحبيل بن عمرو بن معاوية من آل الوحيد من بني عامر) .

(١) راجع للامام بمحنة العلويين في كربلاء (الاخبار الطوال) : الدينوري ص ٢٢٧ - ٢٣١ . وللشيعة كتب مفصلة وادب خاص بما اصاب العلويين مدون فيما يسمى بكتب (المقاتل) .

هو الفارس المسلم سليل علي والنبي محمد معاً . ومن هنا فليس مقتله بالحادث الطارىء . ولا بد ان يكون قاتله من الطراز الذي سيخلده التاريخ . وهذا ما حدث فعـلاً ، فكان الثمن الوحيد الذي لم يبخس (الشمر) فعلته .

ومهما قيل او ما سيقال عن هذه المأساة التي تبـدأ اول مسرحية في الحضارة الاسلامية فان ابطالها الذين لا يتغيرون يتبوأون على مر الدهر مكاناتهم . وإني لأعجب الآن من ذلك الجندي الأموي ومن عناده الذي دفع به الى تحمل كل لعنات التاريخ الشعبي من اجل طعنة خنجر لجسد اثخنته الجراح وفتحت في اديمه المدى والسيوف .

ولا بد ان كل ملائكة الله – إن كان ثمـة ملائكة – لم يكونوا ليوقفوا اندفاع تلك النفس العارمة وتدفقها . فلسوف تخترم من بينهم قبضة شقق جلدها سعة المدى الحراري لمناخ الفرات الأوسط ، وأثخن منها تراكم ذرات العواصف الرملية في مسامها . فهذا هو (نوجال) يتقمص في العصر الأمـوي جسد (الجندي) ليبدو بشكله المرعب جباراً بقتل زمرة حيل ما بينها وبين الماء ، مثلما حُظر عليها الرجوع الى الحجاز والنجاة من الموت المحتم ، لأن تثبيت دعائم العرش الأموي كان يقتضي ذلك ويبرره .

وهكذا . (فشمر ذو الجوشن) يعيد لنا الآن مأساة العالم السفلي من الأساطير السومرية ، وسنرى انه يعيد لنا ايضاً مأساة المعذبين في الجحيم من الأساطير الدينية الاسلامية .

فحينما تحدثنا الكتب الدينية عن (عروج) النبي (محمد) الى السماء كانت مناظر العذاب السرمدي تنسج لنا من خلال ذلك اقاصيص لا شكل لها عن ابطال يتعذبون في الجحيم لأن (شمراً) مجهولاً كان يسلخ جلودهم او يشويها . ولكم صور لي ذلك الورق الاسمر – الاصفر رؤوساً بلا اجسام كانت معلقة من جدائلها او ألسنتها، أو أجساماً بلا رؤوس كانت معلقة من اثدائها والعقارب تلسعها ! لكم كانت مناظر (الضحايا) تعرض بيسر وهي تحتج بشدة على قاتلها المختفي!؟ فالمعراج هو السفر الذي يعيد لنا مأساة المتمردين في العـالم الارضي تحت وطأة سوط الشمر السماوي (ورأيت رجـالاً ونساءً مصفدين باصفاد من نار وجباههم قد اسودت والحيات مطوقات باعناقهم تلدغهم فتهري لحومهم ثم يعودون خلقاً جديداً فقلت : يا اخي يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) [1] . فليس من الضروري اذن ان يكون هؤلاء المتمردون جميعاً (كالحسين) ليتقمصوا شخص الشهيد المتمرد. بل هم على العكس تمردوا فحسب وقلّ من ظل حتى النهاية يرفض الايمان بغريمه .

ومع ذلك فان ما يحيلهم امامنا الى شهداء ابرياء هو قسوة اليد التي تظل تلطم جباههم وتعاقبهم . فهؤلاء المذنبون يتعذبون بين يدي القارىء – وهو الذي ولج عـالم الكتاب السحري وتعوّد على جوه بما قرأ فيه عن اعداد الملائكة وطبقات السماء – اجل يتعذبون بين يديه وتحت سمعه وبصره (مجازاً) بسياط لا يرونها . ويقـال ان (مالك خازن النار) هو الموكل بهم ، غير ان مالكاً هذا لا يوازي الشمر الحقيقي فهو يلبس قناعاً يخفيه عن اعين الناس وهو لا يرد السلام بتاتاً الا اذا عرف ان المسلم عليه هو النبي محمد [2] . ونحن لا يمكن ان نتصوره بتاتاً في حين ان (ذا الجوشن) كان ولا بد يعيش تحت شمس الظهيرة من تموز ورمال الصحراء تضرب وجهه وحصانه يصهل تحته ، لـكي يضرب اخيراً الضربة القاضية . اما المعذبون في جهنم ، هؤلاء الذين يعرضون بكل اهانة بين يدي القارىء فلم يكونوا ليقعوا على اشمارهم البتة . فهم يحسون الألم ولا يرون البعوضة ويتلقون الصفعة ولا يرون الكف. وهنا يكمن عذابهم الحقيقي.

★

اجل كان (شمر) هو الأداة المتجلدة لمقتل الحسين وذويه. وهو نفسه يعترف بهذا بكل فخر . (غدونا اليهم عند شروق الشمس فاحطنا بهم من كل جانب. فلما اخذت السيوف مأخذها، جعلوا يلوذون الى غير وزر... فهاتيك اجسادهم مجردة وثيابهم مرملة وخدودهم معفرة . تسفى عليهم الرياح ، زوارهم العقبان ووفودهم الرخم) [3] . فـلا بد إذن ان يمتحن العـدل بالباطل . ولا بد للضحية من جلاد . ولقد كان (شمر) هنا هو الجلاد و (الحسين) ضحيته ولكن ثمة ضحايا بلا جلادين وهذا هو افدح أنواعها .

كنت اشهد مصرع بعض الخراف في احـد المذابح فالقصاب يضع الشفرة في محلها من العنق. وبعد عدة اختلاجات ونزيف من الدماء يسكن الجسد الحي ويهدأ الى الابد. ولكن

(١) الاسراء والمعراج – للامام ابن عباس ص ٢٠

(٢) المرجع نفسه ص ١٧

(٣) الاخبار الطوال – الدينوري ص ٢٣٢ . وهذا هو نص كلام (شمر) للخليفة (يزيد) حينما وفد اليه مع رأس الحسين .

مرأى الجثث وهي معلقة في واجهات الدكاكين كان يهينني حتى النخاع . كنت اشهد الضحية فحسب ، اما القصاب فهولا يبدو امامي وقتئذ إلا في اهاب طفل رضيع . لقد ذهب ذات مساء ذلك الجلاد الى ضاحية المدينة ، وما بين روائح الدماء المتعفنة ونباح الكلاب وسكون الامسية الكئيبة استمر يصرع بعض الكائنات الوديعة . وفي صباح اليوم التالي وبعد ان نام نوماً هادئاً جاء الى دكانه يبيع اللحوم بكل براءة . وحينما يجيء دور الانسان الاعزل ، ولا بد له من شراء نصيبه من اللحم ، فسوف يحظى بالضحية وجلادها معاً . ولكن حضور الضحيـة كان ما يزال امامه بأديها ، اما الجلاد فقد تلاشى منـذ مساء اليوم المنصرم . وهكذا ، فمحنة (الشمر) تتجسد في اهـاب الذبائح من الحيوان كما تجسدت من قبل في نظائرها من الانسان ، إلا ان الشمر هذه المرة هو (القصاب) وليس (الجندي) او (الاله) او (الملك) . فالمحنـة إذن هي هي كما تجسدت في (اسطورة المعراج) . إلا ان ما يميز مرأى الجثث في دكان القصاب هو نفسه الذي يميز صور العذاب في الجحيم ، فالابرياء هناك يساقون الى المجزرة بعصي" لا ترى . ولعل ثمة يداً شفافـة تدفع بهم الى العذاب كما يدفع إصبع السبابة جندي الشطرنج على الرقعة . فالجزار في دكانه غائب في حـين تتقطع اوصال الذبيحة بكل بساطة لتملأ اجواف الناس بعد عدة ساعات من حياة آلية متواصلة .

★

(خمبابا) غول غابة الارز . صورة (شمر) في ايام السبايا . (نرجال) وسكان العالم السفلي . (شمر بن ذي الجوشن) بطل مذبحة كربلاء . (مالك خازن النار) والملائكة المعذبون لاهل الجحيم : هـؤلاء جميعهم (اشمار) لـ (شهداء) كانوا ينتهون وهم يتلوون من الالم ، وحولهم ألسنـة من اللهيب الازرق المخضر . ولكن قطعة خشب منحوت بمهـارة لا تكاد تعرف هذه اليد التي تلهو بها على رقعة ذات اربعة وستـين مربعاً . هذه اليد الغاشمة .

★

(٢) القسم الثاني : نقد اللوحة

وإزاء [دار الانتقام] [١] كنت استعرض كل تلك الحقبـة من تاريخ الحياة النفسية للمجتمع الاسلامي في بـلاد ما بين النهرين ، فالمسرح واحد إلا ان الروايات متنوعة . والأبطال انفسهم إلا ان الممثلين متبدلون . تلوح (محكمة تفتيش) فيها متقنة إذ يذبح قتلة (الحسين) وذووه بمهارة وسعة خيـال . فاسطورة (المعراج) إذن مدونة هنا بفصولها (الحمر - السود) على ورق رخيص تتجلي عليه كل الانفعالات الانسانية المعذبة. غير ان الشمر هنا لا يظهر منه سوى جانبه السلبي. فهو لا يلوح في اللوحة كما تقتضي المأساة نذلاً جباراً بقتل الحسين ، (فهـذا ما لم يصور في الصور الشعبية) . ولكنه يلوح في محنته موضوعاً في إناء واسع مليء بالماء الساخن وهو يصرخ ورأسه مشقوق من يافوخه . ومع ذلك فالشمر يهمل عمداً في احدى زوايا المعتقل زيادة في انتقاصه كما يعذب بشدة . ويتولى تعذيبه اربع جنود يحملون العصي وينظرون آلامه ببرود . وهنا ستنعكس الآية فالشمر الآن هو (الضحية) من الناحية العملية وجنود الانتقام هم (الاشمار) . وهـذا بالضبط ما سيعيد الاشياء الى وضعها الطبيعي. ولكن هؤلاء الجنود اذ يقومون بكل ايجابية بازهاق ارواح المتمردين يبدون وهم اكثر براءة في نفوس المتفرجين من اطفال في باحة ميتم منعزل . على حين تبدو الضحايا وهي اشد خبثاً من ادارة شركة بترول . وهكذا فلم تعن تضحية (المتمرد الباطل) في تعقبه . اما جندي الانتقام فليس بوسعه الا ان يتماسك حتى النهاية .

بيد ان اللوحة لا تطفح بعذاب (شمر) وحده . وان كان عذابه البذرة التي ستنمو بين جنبات اللوحة . فهناك اربعة اشمار آخرون في الصف الاول (السفلي) ، يعذبون بكل سعة خيال . واولهم (وهو مجهول : لعله شبل بن يزيد) يلقم بالجمر. والثاني وهو (حولى بن يزيد) [يدعى في اللوحة بخولى] مقيد اليدين يتحمل عذابه بصبر ، اذ يغرز في قحفه وتد من الحديد الساخن بضربات شديدة من مطرقة . في حين يتمخط انفه دماً على ركبتيه (وهـذا يذكرنا بالنساء الصم البكم في الجحيم اللواتي يعذبن في تابوت من نار يخرج من دماغهن ومثل الدهن من مناخيرهن وابدانهن تتقطع من الجذام والبرص [١] . بيد ان (منفى بن مرة) لا يكاد يطيق عذابه فهو ملقى على ظهره وصدره يبضع بالمقص قطعة قطعة . اما الاخير فهو (مجدل بن سليم) وسحنته كسحنة (شمر) الا انـه يسمر هنا الى جذع شجرة . فالدم ينزف من مشطي قدميـه وتغرز في صدره الشموع المضيئة .

---

(١) انظر اللوحة . (١٢ × ١٥ انج) ألوان مطبعيـة . تصوير (المقصود) .

(١) من تفاصيل (الاسراء والمعراج) لابن عباس ص ١٩ .



لست ادري اية رغبة او نزوة سولت لمعذبيه هذا العذاب . ولكن تصوراً شعرياً ولا ريب هو الذي املى على الرسام مثل هذا الوضع الانتقامي الشاذ .

وفي الصف الثاني من المذبحة يلوح (سعد بن عمر) وهو يُذبح ذبح الشاة . وامامه (خولى بن يزيد) نظيره في الشيخوخة يفزع الى ربه من هول المشهد . وما وراءه زوجته المؤمنة تعزى باعدامه . وفي وسط اللوحة يتجلى مقتل (زجر بن عامر) تقطيعاً بالفأس ، حيث توضع اطرافه عضواً عضواً على خشبة معدة لكي تفرم كما تفرم تماماً عظام الذبيحة على سندان الجزار .

وفي اللوحة مشهدان آخران لهما قيمة منظورية هامة . فثمة (سنان بن يزيد) و (حرمله) وهما من ذوي السحنات الشيطانية ، يربط كل منهما الى جذع نخلة ليطعن احدهما بالحراب ويرمي ثانيهما بالنشاب . ذلك ان بضعة جنود ينظرون من الجانب وهم الذين يؤدون مهمتهم بنظام ملحوظ . اما في الصف الثالث فيظهر (الحسين) نفسه في شخص (المختار الثقفي) والى يمينه (ابراهيم) و (مالك) . واولهما هو ابراهيم بن الاشتر قائد ميمنة جيش (المختار) بطل حملة

الانتقام من قتلة الحسين . وليلاحظ هنا ان الرسام الشعبي يرسم لنا وضعية شائعة في الرسوم الدينية . او منظر امير المؤمنين وولديه [اي علي بن ابي طالب والى جواره الحسن والحسين] فلا بد وانه بصورة لا شعورية يشهد آل البيت خلال الوضعية التي يرسمون بها على مذبحة الانتقام . فليس المختار في اللوحة سوى (الحسين بن علي) وليس (ابراهيم) و (مالك) سوى بعض اولاده . وهكذا ، فاللوحة هنا لا تمثل واقعاً طبيعياً ولكنها تمثل واقعاً حيوياً (من الحياة) . فليس ضرورياً ان يتقيد الرسام الحيوي بالطبيعة كما انه لن يجد الناظر في دار الانتقام حادثة تاريخية ولا شعبية معينة . ولكن بامكانه ان يجد هذا الحقد الفياض نحو (الجلاد) ، وهذا الانتصار الوثني (للشهيد) . وهما من احقاد وانتصارات سبق ان الهبت في بلاد الشرق الاوسط ولا تزال نفوساً وعواطف لا يعرف لها قرار . من السحر اذن ان يعبر الرسام عن عواطفه وعواطف اقرانه من الجمهور المتشيع ، مثل هذا التعبير العميق . فههنا فضلاً عن (حادثة) متبلورة في قلب قضية شرعية الحكم العلوي ، مشاعر ولا مشاعر جمهور يحلم بضروب وسائل الانتقام لأن حفنة من

الجلادين أراقوا دماء بضعة ضحايا . ومن صميم هذا المنطق ان يكون الشهيد نفسه اكثر حضوراً من الجلاد . (فالمختار) رمز الحسين بسحنته وجلسته وكبر حجمه يملك الناظر بيسر . في حين يهمل الشمر في احدى زوايا اللوحة كيما يضيع .

ومن متممات المأساة رهط الاسرى. يلوحون وهم يربطون بالسلاسل من اعناقهم، وسحناتهم تعبر بدقة عن الذل والأسى . في حين يختتم المشهد مجلس المتفرجين في الصف الأخير (العلوي). وجلهم من آل البيت في الطابق الثاني من الساحة وهم ما بين متشف وجازع وحاقد .

وثمة قيم حيوية تؤلف اهمية اللوحة من الناحيتين (التعبيرية) و (الحيوية) . فنحن نعلم انه في ظرف جيل قد تحدث من الأحداث ما يسمم نفسية حضارة بأكملها . ولقد كانت مآسي العلويين تمثل هذا التسمم ، هذا الجانب الكئيب من الجيلين الاموي والعباسي. ومن هنا فاللوحة تعبير عن القسوة والوحشية التي كانت تنال مناهلا من نفوس رجال الحكم آنئذ « إزاء فرقة دينية ذات رأي سياسي معارض في نظرية الخلافة [1] ولكن شمول الحادثة الانسانية والحيوية فيها هو الذي ينسحب حتى اسطورة النزول الى العالم السفلي كما يصل حتى حوادث الارهاب في سجون القرن العشرين . فاللوحة ههنا اشبه شيء بذلك العقد السحري الذي يمتلك القدرة على الشفاء من الامراض وتحقيق الآمال او دفن الاحقاد او سلب العقول . في حين لا يتحتم على العرافة ان تؤمن بسحر قلادتها لكي تفعل مفعولها . فالرسام الشعبي لم يكن ليضمّن صورته كل هذه الأعباء ولكنه يعبر بالفطرة عن مأساة ميثولوجية وانسانية معاً . هو يرسم عالم الرعب والوحشية وهو يرسم كيف ان (مهزلة) سرمدية تضع الضحية والجلاد على صعيد واحد . كما انه يرسم صراعاً رهيباً لعله كان يشهده في نفسه قبل ان يشهده في لوحته . ولكنه لا يعلم ولا شك لماذا كان يرسم كل هذا . ولماذا سيشعر بالراحة والاسترخاء حينما ينجز رسم تلك الأشغال ويضع تلك الألوان. ثم إنه لا يدرك سوى انه ينقل معالم اسطورة متناقلة يؤمن بها وينقلها بأمانة عن صفحة خياله الخصب .

وهنا في هذه اللوحة التي لا يعزى تأليفها الى شخصية معينة، لانها سواء في موضوعها ام عواطفها ام افكارها ام مغزاها من تأليف الاجيال المتعاقبة . في هذه الصورة بالذات يطل علينا الفنان الرسام بكل قوآه ناطقاً معبراً عن صميم الحياة . ولكنها ليست تلك الحياة التي تلبس حادثة معينة بل حادثة عامة طبخت ونضجت خلال التاريخ . فهي ليست قميصاً وإنما قطعة رداء (كبردة) النبي (محمد) يقتنيها الحاكم او السلطان . ولكنها مع ذلك ملك ستة قرون متعاقبة. وان في اهابها إذن لعشرات الملوك والسلاطين . (فدار الانتقام) التي ابحثها الآن بعنوان (محنة الشمر) هي في الواقع لا اساس لها من الصحة (كحادثة تصويرية) . اما من الناحية التأريخية فان الحملة التي شنها المختار الثقفي للتنكيل باقطاب معركة كربلاء من جيش (عبيدالله بن زياد) ومنهم (ابن زياد) هذا نفسه ، لم تتم كمحكمة تفتيش يرسمها الرسام الشعبي ، على الرغم من ان المختار نفسه كما اتضح اخيراً، كان يتخذ من ثأر الحسين ذريعة لتقوية مركزه . لكن هذه اللوحة أكثر واقعية من شعوري بجسدي وأقرب إلى من اهدابي ، لأنها تمتد خلال الزمن والمكان كطبيعة هذه الكائنات التي تحوطني . فهي ليست حاضرة امامي فحسب ، ولكنها حاضرة في العالم نفسه . ليست (حادثة) يومية عابرة ولكنها (قضية) اسطورية خالدة . إنها مشكلة (صراع) وليست (شكوى) . ذلك لانها تضج بذعر (الانسانية) خلال الانسان و (تحتج) بلسان الكون على الكائن السلبي .

إلا ان حيوية اللوحة منوطة بالعناصر التشكيلية فيها . فهي لا تعبر عن عواطف معينة مقصودة ، تطفح بالتشفي والانتقام ، ولكنها تعود من طرف خفي بعناصر اللوحة الاخرى لترثي هؤلاء الجلادين بوسائل تعذيبهم . فهي تسلبهم آثامهم بما تطرحه من مشاكل نفسية خليطة تقتضي جمود سحنات الجنود المعذبين وخنوع القاضي لأرادة السلطة المنتقمة كما تقتضي ذعر الاسرى وتألم المعذبين او تضرع بعضهم . فالقاضي في اللوحة مثلاً انسان ذرف على الثمانين يتألم من المذبحة ولكنه يبررها لأنه آلة جارحة بأيد شفافة لا يقوى على عصيانها. وحراس الاسرى من الجنود يكتسون بملامح اسراهم لأنهم يشهدون في انفسهم صراعاً رهيباً بسبب ما سيقدمونه من وجبات طعام سائغة للطباخ

كنت افكر احياناً وانا العب الشطرنج « ترى اية كائنات صماء هذه التي احركها ؟ » فالجندي لا يتراجع ابداً . وأنا الذي ادفع به الى الامام . ما له لا يتمرد عليّ ؟ ألست انا الذي اجبره على التقدم ؟ في حين اني نفسي لا املك له حق التراجع . ومع هذا فأن ما سيبعثه الى الحياة مرة واحدة ، ما سوف يعيد اليه كرامته المهدورة هو وصوله الى آخر خط من

(١) العقيدة والشريعة في الاسلام - جولدتسهير. راجع الفصل الخاص بالفرق الاسلامية ص (١٦٧ - ٢٢٢)

الرقعة . وهكذا ، فالأمور تنقلب دائماً في آخر لحظاتها. وهذا ما كان يبرر (لألبير كامو) ان يسعد (مسيو مرسو) في لحظة اعدامه . او على الافل يجدد له احساسه. إذ ان ابطال (كامو) كانوا يستردون سعادتهم بوصولهم الى نهاية الحياة .

ويجول في (محنة الشمر) كذلك معنى انساني آخر ، فمشكلة العذاب فيها قائمة . ولكن القوم جميعاً يستسلمون لكائن اعلى واحد . وسواء أكان (القاضي) ام (المختار) هو الذي سيحيل (الاشرار) الى (ضحايا) فهو يخضع بدوره لقانون علوي (وذلك القانون المطلق هو الاله السماوي) . ومنها سيتعذب (شمر) او (منفى) او (مجدل) او (سنان) او (حرمله) فهم يستسلمون معذبين نادمين . وهذا ما يتجلى بوضوح في موقف (حولى) فهو يفزع الى ربه متضرعاً نادما . وهنا تعود المأساة بشكل اشد عنفاً. فالانسان في اللوحة يصدع بقانون علوي ، والانسانية لا تكاد تكشف عن (حريتها) بعد . وهذا هو الطابع الحقيقي والعلامة الفارقة لطريقة التفكير الشرقي ونقطة الضعف في كيانه معاً .

★

واللوحة مرسومة باربعة صفوف متكررة (والتكرار هنا قيمة بارزة في التقنية) واشخاصها في بعض الحالات خاضعون لقانون (المنظور التكراري) وخاضعون في اماكن اخرى لمنظور خاص يفترض وضع الاشخاص القريبين في اسفل اللوحة والبعيدين في أعلاها . في حين ان طريقة (المنظور الجوي) واضحة في طريقة رسم جدران المعتقل .

ترى اهناك مغزى لكل هذا ؟ ام هو محض مصادفة من ارتعاشات كف بدائية ودماغ مشحون بالاساطير ..؟ لعل ثمة دراسة معينة لهذه المشكلة بالذات تجلو هذا التساؤل . ومع ذلك فان من الطبيعي ان يكون حضور السجن المعماري في ذهن الرسام هو الذي يملي عليه المنظور الجوي . فالعمارة لا تتشكل في منظور آخر. اما اللجوء الى المنظورين التكراري والتسطيحي (وهو المنظور الذي يعبر عن نفسه في ترتيب الاشخاص من حيث ابتعادهم واقترابهم من اسفل اللوحة) فلا يمليه سوى اهمية الشيء الأقرب بالنسبة للفنان . والرعيل الاول بالطبع هم من جبابرة المحنة .. (الشمر) و (منفى) وسواهم .

ولعل التلوين هو العنصر التعبيري الاول في هذه اللوحة لقد كان (ڤان جوخ) مثلاً يعبر خلال اللون عن عواطفه فليس اللون لديه وسيلة للاشارة بل للتنفس عن المشاعر اما رسام (دار الانتقام) فألوانه بدورها تعبير عن شيء . ولكنه شيء غائب فهو لم يضع اللون البنفسجي هنا والاحمر هناك (وهما من الالوان الرئيسية في اللوحة) لكي يعبر عن عواطفه الآنية كما كان ڤان جوخ يعبر عنها . ولكن يعبر عن عواطف ومشاعر ولا مشاعر ممتازجة متشابكة تتخذ نواة لها وتتمركز حول (مأساة الحسين وذويه) فهي اذن اداة تعبيرية شاملة لا تمثل احزان او آمال انسان فردي بل تمثل احزان وآمال انسان اجتماعي ذي وعي شعبي ، يشعر بالاسى ويعبر عنه كما يشعر ايضاً بالرثاء والانتصار للعدل فيصوغ ذلك كله خلال التلوين . فعواطفه ان صح التعبير عواطف شعبية شاملة . لماذا اذن تلك المسحة المظلمة من الجو ..؟ ولماذا ذلك اللون الاحمر الصارخ بين احزان الالوان البنفسجية والسمراء ؟ والواقع ان جو (السبايات) نفسها يتلون بمثل هذه الالوان التي يصنعها امامنا الرسام على الفطرة . ومع ذلك فالفنان هنا لم يلتزم التعبير اللوني (سواء عن قصد او دون ما قصد) حتى النهاية فلديه يؤدي التلوين وظيفة الخط والظل والضوء تماماً في الاشارة الى الاشياء. فاللون الاحمر مثلاً لا بد وانه يشير الى الدماء مثلما يزخر اللون الاسمر بموطىء النعال . ولعل اي رسام آخر يمتلك عواطف هذا الرسام الشاملة لو حاول ان يرسم لعبر بالالوان تعبير مقارباً في جوه لهذه اللوحة . مقارباً فحسب .

المملكة (اوبشكيكال) والاله (نرجال).(مالك خازن النار). (شمر ذو الجوشن) ، واخيراً لاعب الشطرنج الماهر. و(جزار الحارة) . جميعهم ادوات على رقعة واحدة. فهم يمثلون ابداً جانباً سلبياً من السلطة . شخصاً متمرداً من اجل قضية باطلة في حين لا تزال ضحيته ترسم شكل فراشة كبيرة في الفضاء.

ثمة قوى تبدو لأول وهلة وهي لا تمتلك سوى قواها السحرية للتعبير عن نفسية الطبقة الشعبية وعوالمها الاسطورية . غير ان هذه (القوى) . هذه (الصورة) او (التميمة) او (القصيدة) او (القطعة الزخرفية) هي في الواقع اداة سعيدة لتلوين تراث الجيل الروحي والمادي معاً . هي الحقل الذي لا يغل (الحصيد) بل يجمع ما بين التربة والمناخ واليد العاملة والسوق المحلية وآلة الحرث وكوخ الفلاح وغنائه الليلي وبؤس زوجته واحلامه وخوار بقراته وعبث اطفاله. يجمع بين كل هذه المظاهر المتنوعة في حقيقة (برة) القمح المحصودة .

انها اداة بريئة لوضع الحياة وضعاً جديداً .

شاكر حسن سعيد

من جماعة بغداد للفن الحديث

فتنة بعثرتها

« الى الرسام الفرنسي ، ممثل مدرسة « الفن الشتيت » : بيكاسو »

هذه كون من النور السني
فيؤها ظل وريّ
« عبقر » في روحها اشتاق السكنْ
فحواها وهي من طين وماءْ
وبصيص من ضياءْ
صارع الاعصار واستبقى الرُّواءْ
كملاك في السماء ..
ليست الفتنة فيها انها
خطرت تختال في ثوب الرياءْ
لم يسربل جسمها يوماً رداءْ
لم يزر كشها طلاءْ
كالدُّمى ؛ والحُلى
جُرِّدت حتى الحُلى
آه منها !
لو رآها الشعراءْ ...
لانبرى الالهام منها
وطغى ؛ آه منها لو سرى ...
سحرها العاتي سناءْ
« تحفة » مُلِّكْتها وحدي
ولكني أرى
مصرعي في موجها الطامي
قريباً ؛ لا يرى !..
نظرات علقت طيفَ السُّها
سددتها لشغاف القلب
أم تبغي السُّها ؟..
في فؤادي هل تُرى
تدري اللظى ؟ كاللظى !
« قرقر » أم جيدها مع صدرها

يشتهى « اللمسُ » لوداعبها
من جيدها أو صدرها
ويقيم العمر نشوان هنا
يتمنى لوتمنى :
قلبها الخافق في أضلاعها
هو ذا قلبي يناجي قلبها ...
يا لنهديها امامي ارتعشا
« حلمتان » اسودتا
جمع « رمان » و « وزيتون » عناق
كغريب الاتفاق
في انسجام لا وفاق
حاجباها خُطُطا
مثل رسم النون
بيراعْ
بالمدادْ
يا « هلالين » شعر
وسواد
وبياض في جبين
وقفت أيدي السنين
دون تجعيد صفاه
بسمة في الشفتين
نجمتان !
في انفراج الشفتين
وردتان !
وجنتا الخدين
ورد « أريانة » في لين رواه
« تونس الخضراء » تدري وردها
حمرة الخدين : وردي اختلسته

هذه الحمرة وردي يا رفاق
هذه « الفتنة » مني نهبته
يا صحابي ! يا رفاق
شعرها ليل بديد
عصفت فيه الرياح ...
فيه طيب
من نسمات الأقاح
وبياض كالجليد
زنبقـه !
رشقتها زنبقه !
في بساط من « زبيب »
هي تبغيه غطاء
وسياج
تقف الأعين حسرى
لاترى حسنا سواه
وأيادي الشمأل الميمون تجلو ما خفاه
فإذا العين تراه !...
يا لنفسي ! هيكل تسبي رؤاه!
جمحت فيه الدماء
ورغاب واشتهاء
« نجمة » في خصرها
وانحدار واستواء ...
وابتداء وانتهاء
لا تقل لي : لوحة بعثرتها ،
فنها في جمعها ..
من خيالي صغتها .. —
من دمي رويتها ..

تونس — القيروان. **الطيب الشريف**



المحفظة الرمادية الصغيرة ، والصندل الابيض ، والفستان والزنار ، واشياء اخرى كثيرة ، كأنما تعرقلها في مشيتها ، وهي تريد ان تتخلص منها في اقرب وقت ممكن .. ربما كان ذلك بعد شهر او اكثر ، حين تقبض اول راتب لها في الكويت ..

وكانت وهي تسير باتجاه بيتها في الحي القديم ، تتملى بعينيها النهمتين كل ما في الواجهات من ازياء الفصول الاربعة ، وكل ما عند الحذّائين من صنادل انيقة ، وكل ما في معارض الموبيليا من اثاث وفرش حديثين .. والواقع انها كانت في تلك اللحظة بالذات بالغة النهم ، تتمنى لو ان جنود سليمان دثروا بيتها في الحي القديم ، واقاموا مكانه قصر علاء الدين ، بقبابه الزرق ، وشرفاته الفضية ، وبكل ما فيه من سجاد وطيلسان ، واباريق ذهبية وارائك مصدفة .. وهي اذ تصور في خيالها كل هذه الصور ، فأن قلبها كان يرف بالنشوة والسلام ، لأن بعض احلامها الدافئة التي ترتسم لها في النوم واليقظة ، والتي لازمت اهدابها منذ عهد الصبا الباكر ، سوف يتحقق في امد ليس بالبعيد ...

على ان نهاد ما كانت تغيب كثيراً في تصور قصر علاء الدين .. كان شرودها الى لحظات ، ومن ثم كانت تدفع خصلة الشعر التي تهدلت على عينيها ، وتواصل السير باتجاه بيتها في الحي القديم .

فأذا مر عن يمينها او شمالها الفتيات الانيقات برفقة ازواجهن او اصدقائهن ، ولفحت انفها روائح الورد والليمون من مناديلهن ، اعتذرت لنفسها بانها فتاة مثقفة ، لا يجدر بها ان تهتم كثيراً بهذه الاشياء التافهة التي هي من خصائص الفتيات الفارغات ... ان الثقافة في رأيها هي افضل ما يمكن ان تتزين به الفتـاة ، ولكن الذي يحز في نفسها ان الشباب لا يقدرون هذه الزينة حق قدرها ..

ودفعت من جديد خصلة الشعر الذهبية التي عادت فتدلت على عينيها ، كما لو كانت هذه الخصلة تتعمد انسدالها الشاعري اللطيف على مقلتي نهاد ، حتى تحجب عنها كل مرئيات الشارع الضيق الطويل ، وحتى تستحيل كل حقـائق الارض من خلال نسيجها الذهبي الى خيالات حلوة .

يا لك ايتها المعلمة الصغيرة ، أليس جميلاً ان تنتصري هكذا على الفقر والحاجة .. ودق قلبها .

– غداً سأركب الهواء ، واطير الى الكويت ..

كانت تشعر بفيض غامر من السعادة .

وادارت يدها الى محفظتها الرمادية الصغيرة ، فأخرجت منها ورقتين او ثلاث ورقات جُمعت الى بعضها بدبوس ، وبعد ان تصفحتها برفق وعناية ، وتحققت من الاختام الرسمية عليها ، ارجعتها الى المحفظة وأحكمت إغلاقها .. ولعل بائع الهريسة الذي ابصرها آنذاك تخرج الاوراق وترجعها الى المحفظة ، ذهب به الظن الى انها رسائل غرامية ، فدفع طاقيته السوداء حتى استقرت على حاجبيه ، وأخذ يحك رأسه بشدة .. ولكن ما ان ازدحم الصبية على صينيته حتى ثاب الى رشده ، وكانت نهـاد قد توارت عنه في الشارع الضيق الطويل .. بين مئات الحمير ، والدراجات والآدميين ..

كان عليها ان تسرع في مشيتها لكي تصل الى البيت مبكرة ، فأن امها بانتظارها هناك وكذلك سعيد .. اخوها الاعرج المسكين .

وفيما هي جادة في السير ، كانت تطبع في ذهنها صورة بليدة لشوارع القدس القديمة ، بمآذنها وصلبانها العائمة في الهواء .. لقد تعودت هذا المنظر . وهي مشغولة عنه باشياء اخرى تملأ خيالها ..

– مساء الخير آنسة ..

فالتفتت ، وكانت التحية من اجلها .

– انت ؟ . مساء الخير .

وانتحى بها الى الرصيف ليغيب معها في حديث قصير .

– لعلك وفقت مع الاستاذ ؟

– اشكرك . لقد انتهى كل شيء ، وهذه هي اوراق التعاقد ..

واشارت بيدها الى المحفظة ، وكادت تفتحها لولا انه وفر عليها ذلك بسؤاله المقتضب القصير :

– والسفر ؟

– غداً .. وانت ؟

– في الاسبوع القادم ان شاء الله .

– جميل .. إذن سنلتقي هناك كثيراً .

– طبعاً .

– طيب .. استأذن . علي ان اصل البيت مبكر

– في حفظ الله ، ارجو ان اراك في الكويت .

وسار كل منهما في وجهته . على ان نهاد .. كأنما استولت عليها جملة ابراهيم الاخيرة ، فأخذت تحللها وتقلبها على وجوهها ، وتستحلب من احرفها وكلماتها اعذب الامـاني وأنداها : ارجو ان اراك في الكويت ! أهو في الواقع يرجو ذلك ، ام انها كلمة قيلت في مناسبتها ، ونزلت بامانة في قالبها .. يرجو ان يراني .. ما اجمل كلمة الرجاء هذه . ولعل الكلمة التالية اعذب منهـا وقعاً .. أراك ..

وكأن كل افكارها وخيالاتها التي كانت موزعة قبل قليل ، على الواجهات ومعارض الاحذية والموبيليا ، قد تجمعت مرة واحدة في ابراهيم ... في قامته ، وجبهته العريضة ، وعينيه اللامعتين بالصفاء ، وشعره الجعد القصير ، وأنفه المستقيم .. وحتى شفتيه الغليظتين ..

– ما ألطف ابراهيم .

واخذت تستعرض لطفه خلال سنة كاملة قضياها معاً معلمين في القرية .. لم تكن مدرسة الاناث بعيدة عن مدرسة الذكور ، وكان يتسنى لهما ان يحيي احدهما الآخر بابتسامة رقيقـة ، وان يختلس منه بعض الكلمـات في الظروف المواتية .

وشعرت نهاد ، وهي تقترب من بيتها ان ابراهيم يمكن ان يكون له شأن آخر في حياتها ..

وعندما دفعت الباب ، طالعها وجه امها الشاحب ، وقد جلست وحيدة في ردهة البيت ، في الزاوية نفسها التي تصلي فيها ، وعلى السجادة القديمة المهترئة

نفسها ، وفي يدها المسبحة المنظومة من نوى الزيتون .. كانت تبكي وعلى شفتيها المرتجفتين صلاة خافتة .

– ما ارهف قلوب الفقراء .

واندفعت الفتاة حتى استقرت بين ذراعي امها ، فملأت حضنها ، وجعلت ساعديها حول عنقها ، واختلط الشعر الاشقر بالشعر الابيض ، وتماوج النهدان الشابان على النهدين الذابلين ، وكان يدفق في الصدرين دم حار . ففي اليوم التالي لن يكون بأمكان الخدين الملتحمين الآن ان يلتحما مرة ثانية بمثل هذه القوة والحرارة.. ستبقى الوالدة العجوز وحيدة هكذا ، لا يؤنس وحشتها إلا سعيد .. ابنها الاعرج الذي يقضي كامل نهاره في زاوية البيت ، على فراشه الذي لا يطوى، يطالع ما يعثر عليه من الكتب والمجلات الملونة..

سعيد يؤنس وحشتها ! وهل بامكانه إلا ان يزيد حسرتها وتفجعها، ويوقظ في قلبها الكبير اعنف هزات الالم ؟

وسعيد ، برغم ثقته الكبيرة باخته ، لم يكن راضياً عن سفرها البعيد الى الكويت .. وحين تبادر الى سمعه نشيج امه واخته خارج الغرفة ، تململ فوق فراشه . وحدق بعينيه الذابلتين ، وارتجفت شفتاه ليقول شيئاً ، ولكنه عاد الى وضعه الاول واطبق شفتيه على هزيمة بشعة .. ماذا عساه يقول ؟! هل يعترض في اللحظة الاخيرة .. من هو حتى يعترض ، وأين رجولته التي تنفذ ارادته .. أليس عالة على امه واخته منذ خمس سنوات .. أليست نهاد هي التي تنفق عليه ... وهذه المجلات والكتب .. هذا الرغيف ، هذه القطعة من الجبن .. عكازته تلك ، وقميصه ذاك .. من اين كان يمكن له ان يحصل عليها لولا نهاد ؟

أحس بدوار شديد ، وكاد يتقيأ ، وملأت مسامه رائحة الدخان الرخيص الذي تكاثفت سحاباته في الغرفة .. ثم تمتم وهو ينقلب على جنبه الآخر :

– يجدر بي ان اخرس ، ان اسد فمي .

وابصر مصباح الغاز تلك الامسية ، خاملاً كئيباً ، وأحس في نفسه ضيقاً واختناقاً فلم يقو على شيء إلا ان انقلب على بطنه ودفن رأسه في وسادته ..

ليت نهاد تسأله عما به ، اذن لحدثها عن نفسه، وعنها ، وعن امها العجوز، وعن هذا الفراق الذي يخشى كل ثانية من ثوانيه . ولكن نهاد ما كانت لتسأله عن شيء ، فهي مشغولة عنه بترتيب ثيابها وحاجياتها ، واختيار الكتب القليلة التي ستأخذها معها .. ولعل الوالدة العجوز انتبهت اليه في تلك الاثناء ، فنهضت متثاقلة ، واخذت مكانها على فراشه ، ثم اخرجت سبحتها الطويلة السوداء ، وجعلت تعد حباتها في خشوع وأناة على ذكر الانبياء والصالحين، كأنها بذلك تستجمع كل قوى الخير ، وتستحضر الملائكة من سماواتهم ليرافقوا ابنتها ويحرسوها في غربتها الطويلة .. وبعد ان فرغت من نصف حبات المسبحة ، وعينا سعيد معلقتان بها ، التفتت اليه وقد طفح وجهها بالبشر والاطمئنان .

– ماذا قالت لك المسبحة ؟

فتجهم وجه الام حين استشعرت سخرية ابنها في سؤاله الجاف ، واجابته في شرود :

– خير يا سعيد .. ان شاء الله خير ..

وعندما دخلت عليها نهاد ، كانت قد فرغت من حزم حاجياتها.. ونظرت الى سعيد وعلى فمها الصغير ابتسامة ناعمة لعلها ابتسامة الظفر ، او الكبرياء ، او التحدي؛ ولم يكن في وسعه ان يتصورها ابتسامة الحب الذي يغمر قلبين اخوين . بل ، لم يكن بوده ان يتصور نهاد رحيمة به هكذا ، محبة له هكذا تحله المحل الاول في قلبها .

واخيراً رد عليها بابتسامة حزينة خجلة ، ودعاها للجلوس بقربه فجلست وهي تغالب الدموع بابتسامتها الصغيرة الوادعة .

أيحزنك يا سعيد اني مسافرة الى الكويت ؟

– وكيف لا يحزنني ذلك .. ألست اختي الوحيدة !

– ولكنني عائدة مع الصيف القادم. واعتقد ان حالتنا آنذاك ستكون اسعد منها الآن ...

– طبعاً ، سيكون راتبك ضخماً كما سمعت .

– وسوف ابعث لك شهرياً بنصفه .

– أليس كثيراً علي النصف !

لك ولأمي طبعاً . اياك ان تضحك عليها في القسمة !

واعقبت دعابتها هذه بضحكة عذبة ، لتضفي شيئاً من الحياة على الامسية الكئيبة.. وضحكوا ثلاثتهم. على ان سعيد كان بوده ان يسألها عمن سينفق عليه وعلى امه بعد زواجها مثلا، اذا تيسر لها ذلك في وقت ما ، ولكنه تذكر انها ليلة الوداع فخنق سؤاله في صدره .

وفي صبيحة اليوم التالي كان الثلاثة يجلسون في مقهى المطار ، وكانت اللحظات الاخيرة من اجتماعهم قاسية وعنيفة ، ولم يصدق سعيد شيئاً مما سمعه ورآه ، حين صاح موظف الجوازات :

– نهاد سالم .

وحين قبلته اخته بسرعة وارتباك واخذت طريقها الى سلم الطائرة .

لقد كانت امه اسعد منه حظاً، فقد استطاعت ان تقف على رجليها وتجري وراء ابنتها بضع خطوات ، ولولا ان الموظف سد عليها الطريق بساعديه ، لاستطاعت ان تخطف قبلة ثانية من وجنة نهاد. اما هو فظل في مكانه كالتمثال المشوه ، يغالب اللحظات بشعور خليط من الحب والالم . وحين انفض محرك الطائرة ، كان يبكي بكاء شديداً ، ويحاول النهوض فلا يقوى عليه .

واخيراً وقع عن كرسيه واخذ يزحف ويزحف على رصيف المقهى ، ويلوح بيديه ويصيح بصوته الذي خنقه النشيج :

– نهاد .. ارجعي يا نهاد .

ولكن هدير المحرك كان صاخباً وشديداً ..

رام الله **يوسف الخطيب**

قرأتُ العدد الماضي من "الآداب"

بقلم
الآنسة روز غريب

١ — الأبحاث

« مأساة الانسان في الحضارة الحديثة » : شاكر مصطفى

صاغ الباحث مقاله بأسلوب يحمل روعة الأساليب الخطابية وحماستها : مستعرضاً فيه مظاهر الفكر الاوروبي في وجوهه الكالحة والفاجعة ، مدة هذه الفترة المظلمة التي تخللتها حربان عالميتان، كانت احدى كوارثها اكتشاف القنبلة الذرية وتهديد الجنس البشري بالفناء .

ويذكر اسماء المشاهير من منتجي الأدب الاسود : كافكا سارتر ، فولكنر ، جيد ، كامو ، زفايغ وغيرهم . ويشير بصورة خاصة الى ثورة الفن وتنقله ، في جو محموم بالأساليب بين السريالية والتكعيبية والتوحش والتجريد . ويضيف الى ذلك تشاؤمية الفلاسفة وتخوف العلماء من عالم يسير في طريق الانهيار .

وهو في الخاتمة جريء في وضع النقاط على الحروف، يلخص الاسباب البعيدة للمأساة ، فيعزوها اولاً الى فشل العلم وطريقته التي اعتمدت الظواهر المادية الخاضعة للتجربة واهملت ماسواها ، ثم الى فشل الفلسفة وفشل القيم الدينية والخلقية القديمة التي اصبحت اضيق نطاقاً من ان تماشي تطور الفكر الحديث ، واخيراً الى اهمال الحضارة للانسان — الفرد وتضحيتها بالحرية الفردية في سبيل المجموع او لحساب المساواة .

ويبدو تقدمياً ومتفائلاً حين يصرح بانــه « لا يبكي على المؤسسات المنهارة ولا يتفجع ولا يدعو للرجعة ، لكنه يهفو الى حضارة اخرى مقبلة تجعل همها توفير سعادة اعمق من تلك السعادة الاولى . »

تعليقاً على هذا الموضوع اود ان اشير الى مقال اشد تفاؤلاً قرأته مؤخراً في مجلة فرنسية ،وهذا بعض ما جاء فيه : « ان في تمرد الفن الحديث دليل صحة وشباب . انه فاتحة عصر جديد لانه ينطق بحيوية لا مثيل لها في تاريخ العصور الماضية، ويرينا شدة الفرق بينــه وبين فن عصور الانحطاط الموسوم بالتقليد والجمود . من علامات تفوّقه ترفعه عن الملق وابرازه النساء في اشكال غريبة لاترضي زهوهن. إنه محاولة تنفس في جو خانق.. »

وإلى هذا اضيف ان المأساة التي يعيشها الاوروبي اليوم، هي ثمن الحرية التي كافح لأجلهـا مئات السنين ، ولا بد للحرية من ثمن . ومهما تكن حالته من القلق والاضطراب فلا شكّ في انه بلغ من السمو الفكري والتحرر الذاتي مستوى يفوق كل ما بلغـه الاقدمون . ومقال الاستاذ ، رغم تبسطه في عرض مأساة الانسان الحديث ، لا يخلو من اشارة الى آماله ومطامحه وادراكه للمشاكل التي يعانيها وسعيه لحلها والتغلب عليها .

ان في موقف الأدب والفن ثورة واحتجاجاً يقابلها ثورة العلم واحتجاجه ، متمثلاً في أعــلام نظير جوليو كوري واوبنهايمر، وفي علماء يناهضون فرويد وامثاله من دعاة التشاؤم والحتمية ، كما ان في تشديد الفلسفة الحديثة على حرية الفرد ورفعة الانسان ومسؤوليته الفردية احتجاجاً على المذاهب التي تنكر هذه الحرية او تحقر امكانيات الانسان .

وبعد فقد كان بوسع الكاتب ان يبرز معالم النور والقوة والتفاؤل في العصر الحديث كما ابرز وجوه المأساة .

« الشعر والموت » : نازك الملائكة

تعالج الشاعرة موضوعاً يتصل بهوايتها وبمطالعاتها الواسعة. فتذكر اربعة من الشعراء ماتوا في سن الشباب وظهر في شعرهم ولع بذكر الموت وتشوّق اليه . ثم تحاول ان تبين ببراهـين مقتبسة من شعرهم او من طريقة التفكير العلمي ان الاسراف في الانفعال عند هؤلاء الشعراء أدى بهم الى خاتمـة مبكرة ، وأن شغفهم بموضوع الموت يتضمن إدراكاً باطنياً سابقاً لهـذه الخاتمة ، لأنهم لاحظوا « انعدام التوازن بين المبذول من طاقتهم العاطفية والرصيد الكامل منها في كل حياة انسانية ». وتلاحظ الآنسة في نهاية المقال ان رأيها ربما كان محض جولة في جهة من جهات التعليل الادبي ، تحتاج الى ان يعاد فيها النظر » ، لأن الموضوع بشائك متشعب ، يتصل بالسيكولوجيا من ناحيـــة : ظاهرة الاحساس بالشيء قبل وقوعه ، وبفلسفة الفن من ناحية اخرى ، لانه يعيد الى الذهن آراء الباحثين الذين يفصلون بين عملية التأثر وعملية الخلق ، واولئك الذين يثبتـون ان الفن

مصرف للانفعالات ومتنفّس يقي صاحبه شر الاحتراق والذوبان العاطفي .

ومهما يكن من امر ، إذا كان الانفعال والهوى ضرورة سابقة للانتاج الفنّي ، فليس الاسراف فيهما ضرورة . كما ان تأثير الأهواء في نفوس النوابغ واجسامهم يختلف باختلاف الأمزجة والظروف . ولا يعدم التاريخ اسماء شعراء جمعوا بين عظمة الانتاج وطول العمر ولنذكر منهم هوغو وغوته ودانونزيو شاعر ايطاليا الثائر .

« أدب القَصص عند العرب »

دراسة للدكتور عبد العزيز عبد المجيد يستهلها بمقدمة حول ذيوع القصَص الخرافي والاسمار في حلقات الشعب . ثم يتساءل هل كان القصص في العصور الماضية فناً زاوله الأدباء وألفوه كما ألفوا الرسائل والخطب ؟

ويسوقه البحث الى القول ان جميع القِصص الطويلة والقصيرة التي ظهرت عند العرب تُحسَب من نوع القصص الشعبي الذي لا يُعرَف مؤلفوه وإنما يُعرف جامعوه . إلا فناً قصصياً واحداً نشأ عند العرب من غير تأثير اجنبي وزاوله الادباء كما زاولوا الرسائل والخطب ، هو فن المقامة الذي جمع بين القصص الشعبي الفكه المختلَق والقصص الوعظي الفصيح العبارة .

ويترك الكاتب للقارىء ان يستنتج : اننا مدينون للعامة بأفضل ما لدينا من تراث قصصي ، عنترة والف ليلة وليلة وسائر الحكايات والنوادر التي اهتم بجمعها الرواة والمصنفون . اما الخاصة من زعماء وادباء فلم يعيروا هذا الفن اهتماماً — نستثني الجاحظ في « البخلاء » . وحين حاولوا معالجته في المقامة قيّدوه بالسجع والتصنّع اللغوي حتى اعرض عنه العامة ، وأنكره الخاصة لخياله وهزله ، فلم يعش طويلا .

« فروبل — المعلم الذي أوجد حدائق الاطفال »

يحدثنا الدكتور جبور عبد النور عن معلم غربي صاحب رسالة . ركّز جهوده الملهمة على العناية بالصغار لأنه ادرك ان اصلاح التربية يجب ان يبدأ من الأساس . وفي ذلك درس للمسؤولين عن التربية في بلادنا ، لعلهم يدركون هذه الحقيقة : الاصلاح من الأساس .

وصف الكاتب حياة هذا المربي وشخصيته ومآثره التي كان اهمها ايجاد حدائق الاطفال وإعداد المعلمات للقيام بهذه المهمة الخطيرة ، عدا نشر المؤلفات القيّمة في موضوعه . وحبذا لو توسع في وصف مذهبه التربوي لما في ذلك من فائدة للاهل والمربين .

« كيركجارد » : شعبان بركات

يعرض الكاتب حياة كيركجارد وتطوره النفساني . اما مذهبه الفلسفي فلا ينكشف منه سوى ألفاظ فلسفية تحتاج كل منها الى شرح مسهَب ، كالألم والذاتية والاختيار واليأس والايمان .

ومن الواضح ان القارىء لا يمكنه ان يفهم كيركجارد ما لم يلم بالفلسفة الوجودية بل بجميع تاريخ الفلسفة ومذاهبها .

« أباريق مهشمة » : كاظم جواد

يصدّر الأستاذ نقده بمقدمة يقول فيها ان اعتماد طريقة الشعر الحر والأساليب الشعرية الحديثة لا يكفي لجودة الانتاج . بل لا بد من مسايرة العصر واستلهام الواقع والتعبير عن مضامين جديدة تلائم القالب الجديد . ويستشهد لذلك بشعر ت. س. أليوت ومايا كوفسكي ، وكلاهما من شعراء الفكرة . وقوله صحيح فالتجديد في القالب يستتبع التجديد في المعاني والصور .

اما ان يعيش الشاعر التجربة التي يصفها او المبدأ الذي يدعو اليه فقد يجعل شعره اشد تأثيراً ، لكن الصدق في الفن كالصدق في الواقع ، امر يصعب التحقيق فيه . كل ما نطلبه من الفنان ان يبدع في فنه ويصيب ، إذ ليس لدينا مقاييس نميز بها صدقه من كذبه . وكم من اديب كالمعيدي ، تسمع به خير من ان تراه او تخبره .

على ان الباحث مصيب في قوله ان الاتجاه الواقعي في الفنون صفة خاصة بالطور الانساني الذي نعيش فيه ، فالشاعر وغيره من اهل الادب منجرف بتيار العصر ، تيار الالتزام ، عن وعي منه او لا وعي .

ولقد كنت اود ان يكون في نقد الاستاذ جواد لشعر البياتي ما يعطينا صورة واضحة عن الشاعر وقيمة شعره . لكن الكاتب حصر كلامه في بحث سرقاته الشعرية . والذي نلاحظه ان اقتباس شذرات وألفاظ متفرقة لا يكفي لتسجيل السرقة على الشاعر ، لا سيما اذا كانت العبارات مأخوذة من التراث العالمي كنشيد الاناشيد واقوال المسيح وشعر المتنبي . وكأن الكاتب الذي حمل على اساليب القدماء في النقد ما زال يعتمد طريقتهم عينها في بحث السرقات الشعرية .

«سر الجسم البشري» : رينه حبشي

البحث فلسفي يتضمن تطبيقاً للنظرية التي توحّد بين النفس والجسد او تعتبر « الجسد مظهر النفس والنفس معنى الجسد »

وبذلك ترفع من قيمة الثاني وتنكر ان يكون مجرد آلة او وعاء كما رآه ديكارت .

على ان قيمة الجسد هذه لا تتحقق الا بمقدار ما يقدم الانسان على تحقيقها . اي بمقدار ما يتوصل الى إشعاع الروح من خلال الجسم وتكوين ما يسميه الباحث بالمجال الداخلي .

فكأنه يقول بوجود جسمين ، جسم حيواني وجسم بشري او انساني، يحتمان على الانسان تربية مزدوجة ، جسدية وبشرية ، توصله الى التحرر الداخلي ، والانعتاق من حتميات الذات .

ويضرب مثلاً على التحرر الداخلي فيقول – معارضاً بين رأي سارتر ورأي مارسيل – ان الحب الذي هو امتلاك او اذلال او تشيء للمحبوب دليل عدم تحرر من الذات . في حين ان التحرر الحقيقي يفرض الايمان بحرية الغير وينتج الحب الذي لا يستعبد النفس بل يزيدها غنى .

ان الجسم المتحرر يكتسب على هذه الصورة صفة اللازمنية واللافضائية اي صفة الروحانية التي تصلنا بالخلود . وفي هذا يعارض المحاضر رأي هيدجر القائل ان الموت داخل في تركيب الحياة منذ بدايتها . ويقرر العكس ، ان الخلود داخل في تركيب الحياة .

اذا لم يجد قارىء هذا المقال متعة في صعوبته فانه واجد فيه متعة الاسلوب ودقة التحليل . وهو فرق هذا يعكس له اتجاه الفلسفة الحديثة وتطور موقفها من الجسم بعد ان اظهرت السيكولوجيا والبيولوجيا علاقته الوثيقة بالروح . على ان هذه العلاقة التي ما زال غموضها يحير العلماء والفلاسفة ، لا يوضحها مقال الكاتب رغم اسهابه .

فهل يعني بازدواج الجسم عدم امكانية الفصل بينه وبين الروح ام ان هناك منطقة وسطى تتفاعل فيها الظواهر الجسمية والعقلية وتكمن الغرائز التي تتصل بالجسم من جهة وبالنفس من جهة اخرى ؟ وهو رأي بعض السيكولوجيين .

اما تفسيره لتجربة الحياة على الطريقة الوجودية فواضح مقبول لكن لا شك في ان الموضوع يحتمل تفسيرات اخرى .

واما عرضه لبعض الفروق بين المذاهب الوجودية وايثاره للواحد منها على الآخر فان من شأن واضعي هذه المذاهب ان يناقشوه .

على اني اذكر لسيمون دو بوفوار، وهي من اتباع سارتر، تحديداً للحب التحريري يشبه تحديد مارسيل له مما يجعلنا نعتقد ان قول سارتر « الجحيم هو الغير » لا يقصد به جميع الناس على السواء .

(1) Le Deuxiéme Sexe , ll , 505 (3 e Ed.)

٢ – الأقاصيص

اقاصيص هذا العدد من النوع الذي يهمل الحادثة ويصف صراعاً داخلياً او حالة نفسية .

« حريق ابن رشد » : فاروق خورشيد

تصف القصة نفسية طالب شاب مصاب بقلق نفساني ساقه الى الانطواء على الذات والالتجاء الى عالم الخيال والوهم حتى يقطع كل صلة له بالواقع فيتخيل نفسه إنساناً عظيماً يحتشد الناس لاستماع محاضراته ويتعقبه البوليس لأنه رجل خطر . ويلح عليه الخوف وضيق النفس حتى يلقي بكتبه في النار .

القصة مجرد وصف وتصوير لا يكشف للقارىء من ماضي البطل شيئاً ولا يريه ما الذي أوصله الى هذه النهاية وما هو الدافع المباشر الذي جرّه الى حرق الكتب – سوى رغبة الكاتب في ان يجعل الخاتمة درامية .

« لا .. ليس لشكّور » : سميرة عزام

تخيلت الكاتبة تاجر توابيت قد اصيب ابنه بمرض ثقيل اثار قلقه وقلق زوجته وأيقظ فيه التشاؤم من مهنته التي زاولها باطمئنان مدة خمس وعشرين سنة ، فتصف لنا الأزمة النفسية التي يعانيها الرجل وكيف انه في ساعة تسرّع ، وإرضاءً لأم شكّور ، قطع على نفسه وعداً باعتزال المهنة والانصراف الى

غيرها . وأحس بأنه يجب ان يفعل شيئاً فذهب الى اقرب سمسار يطلب منه ان يدبّر له دكاناً جديدة بعيدة عن محله .

يخيّل للقارىء ان ازمة الرجل انحلت حين خابر السمسار في موضوع الدكان . لكن هذه الخطوة شجّعته على خطوة اشد عنفاً . على فعل يكلّفه تضحية محسوسة تختلف عن التضحية النظرية ، المرهونة بالغد ، التي عرّضته لها مخابرة السمسار . فمرّ بالدكان حيث تتكبىء التوابيت اللعينة ، ومن بينها التابوت الاصفر الصغير ، وأهوى عليه بالفأس حتى تركه حطاماً .

كانت الخاتمة ذات دوي يليق بالبطل الذي افقده الجزع كل تعقّل . وفي الوصف ما ينم عن سخر يثير ابتسام القارىء رغم جو التوابيت القاتم .

« حفنة من تراب » : فارس زرزور

هذه القصة ايضاً من نوع الوصف الداخلي ، استوحاها الكاتب من الواقع المرير ، وحمّلها رسالية مثالية ، لكن الصراع فيها غير واضح لأن العوامل التي احدثت الانقلاب في نفس البطل هي نفسها غير واضحة . ما الذي حوّله فجأة من انسان عملي لا يؤمن بغير المال الى إنسان عاطفي يتعلق بالذكريات (أي ذكريات ؟) وكيف استيقظ في نفسه حب الوطن والدفاع عنه ؟ أهو منظر القبرين اللذين يضمان شخصين يكاد يجهلهما ؟

الذبابة البشرية : سليمان فياض

قصة شاب مصاب بعقدة نفسية تجعله شديد الخجل من النساء عاجزاً عن التقرب اليهن . فهو يحاول ان يجد في صحبة بنت خاله الريفية الصغيرة الساذجة تعويضاً عن فشله وحرمانه . ويسبغ عليها عاطفته لانها اول فتاة تسعى اليه من تلقاء ذاتها . فقد اوسلها اهلها لتقيم مع اسرته لانهم يريدون زواجه بها . ويحدث ما يثير نفوره من سخف الفتاة وعنادها فيصبح موزعاً بين عوامل الاحتقار لهذه الطفلة الغريرة والخوف من ان تضيع من يده ويعود الى وحدته وحرمانه . ويصطرع في نفسه اليأس والأمل ، فحيناً يتسلى بالقول انها ما تزال صغيرة ولا بد ان تصبح يوماً امرأة مكتملة الأنوثة تتحقق فيها احلامه ، وحيناً يحس بانه ذبابة تقنع بالطعام الخسيس لانها لا تستطيع الوصول الى اطايب العيش .

في القصة تحليل . وحركة وحوار . وطبيعية تكسبها مسحة واقعية .

٣ ــ القصائد

« عرس في القرية » : بدر شاكر السياب

هذه القصيدة ــ واختها « انشودة المطر » التي ظهرت في العدد الاسبق ــ تنتميان الى المدرسة الشعرية الحديثة . لكن لهما طابعاً خاصاً نتبينه في متعة القصص الوصفي وفتنة الصور الزاخرة باللون المحلي كأنها قطع منتزعة من قلب البيئة العراقية ، ثم في هذه القافية الممتدة بسكون تشبه انّة طويلة متصلة تترك في سمع القارىء صدى الاناشيد . اما الفكرة فتأتي بصورة عارضة كأنها غير مقصودة . ولو استمر الايحاء في الابيات الختامية من هذه القصيدة لكانت الوحدة اظهر .

« شخص ثالث » : صفاء الحيدري

يصدق على هذه الأبيات قول احدهم « ليس من شأن الفن ان يشرح ويفصّل ، فهو يرتاح الى الغموض لانه وُجد ليدهش الناس ويثيرهم » .

«ليالي القاهرة» : محمد اسماعيل هاني

صور حية يظهر فيها تفنن الشاعر في نسج القوافي والاوزان . وكأنه استوحى الاشكال الهندسية حين جعل كل دور من قصيدته بناء مستنداً الى اربع زوايا من القوافي المتقابلة طولاً . وفصّل في البناء ما جمعه في المدخل او الواجهة .

«يقظة» : هنري صعب الخوري

قصيدة صوفية ترد فيها ألفاظ الفلسفة وصور وحدة الوجود على ما نراه في شعر ابن الفارض وابن عربي .

« نشيد الابدية » : محمد فوزي العنتيل

في هـذه القصيدة موسيقى قوية ونزعة صوفية واضحة رغم غموض بعض الابيات وتنافر بعض الاجزاء كما في قوله :

« وسالت بقلبي دماء الغروب فغنيت للنهـر في المنحنى »

اي علاقة بين الشطرين ؟

★

اما القصائد الباقية فتجمعها النزعة القومية او موجة الالتزام .

« لهذي الجموع » : نجيب سرور

حوار شعري يُظهر مرونة واحكاما في نظم الشعر المجدد مبنى ومعنى ، وفيه عرض رائع لصور البؤس .

« صرخة الحرية» : كمال نشأت

القصيدة قوية المعنى واللفظ والتركيب . في الوزن والنغمة ما يُشعر باندفاع الشاعر وتدفق عاطفته .

« الى شهيد » : ابراهيم شراره

القصيدة حماسية اللهجة ، تعوزها طرافة المعاني وتماسكها .

« الشهيد » : سهام حايك

في هذه القصيدة القصصية صور مؤثرة ، وفي وزنها وقوافيها موسيقى تأتلف مع كآبة الموضوع . لكن قيود القافيـــة المزدوجة في صدر كل بيت تفرض عليها مقداراً من التصنع . وقد يفرض التجديد على الشعر قيوداً جديدة باسم التحرير .

روز غريب

لسنا العبيد !

والذكريات تمر .. في خطو وئيد
اجراسها رنت ، لتبعث في دمي
صوت المطارق والحديد
فاذا بزلزال .. يهز كوامني ..
كعواصف الهول المريد
وبقوة الجبار ..
هشم ذلك السور العتيق
سور الضباب الصلب ..
في اغواره اخفى الشروق
اخفى صدى لحن جديد
ومنابع الذكرى .. تفجّر سيلها ...
والثورة العطشى ، تجلجل في العروق
خطت على كل القلوب بنارها ..
وبنورها :
« نبغي حياة حرة في ارضنا ..
لسنا الرقيق
نبغي السيادة ، وافتكاك بلادنا ..
لسنا العبيد »

★

وتعالت الاصوات من كل الدروب .. :
« يا من بكم صمم ..
لكم هذا النشيد
يا من تريدون امتصاص دمائنا
الحر يأبى في الدنا ..
ان يرتدي ثوب العبيد
لسنا الرقيق ..!!
لسنا العبيد ..!! »

تونس **الشاذلي زوكار**

رئيس رابطة القلم الجديد
وعضو جماعة الادب الحديث بمصر

مُناقشات

نقد انشائي لا منشيء!

دأبت مجلة « الآداب » الزاهرة، على ان تقدم لقرائها مراجعة عامة، لمحتويات اعدادها الفائتة، في باب ثابت تحت عنوان « قرأت العدد الماضي من الآداب »، وهو اتجاه مشكور، يهيء لكتاب العربية ومفكريها تبادل وجهات النظر، واستعراض المضامين الفكرية، التي يعرض لها الادباء والمفكرون. وانه ليمكن لهذا الصعيد ان يكون ملتقى شحنات الفكر من البلاد العربية فيخصب وينمو.. ولا شك ان مثل هذا (الباب) الزلق ينبغي ان يعهد به الى اقلام قادرة على اثارة المعضلات الفكرية، قادرة على تمثل مختلف ضروبها، واستعراضها استعراضاً موضوعياً حياً. إذ ان معظم المسهمين في تحرير «الآداب»، يسوؤهم ان ينصب عليهم من يفترض في نفسه حق التوجيه والارشاد، فيكيل لهم ولقرائهم الاحكام الباترة الحاسمة، ولكنني لا اظن ان هناك اديباً: شاعراً او كاتباً، لا يرضيه ان يُراجع نتاجه، فيؤكد على أهم ما فيه.

فلقد تولى الاستاذ عبد اللطيف شرارة تحرير هـذا الباب في عدد تموز المنصرم، فأشار في مطلع مراجعاته هذه، بأنه من المؤمنين بأن: « عـلى الناقد ان يقوم بعمله من الداخل، داخل ذاته ... »، وبذلك افترض في نفسه افتراضاً ضمنياً، القدرة على ان يكون ناقداً: ناقداً ذاتياً، بعد ان خولته رئاسة التحرير تلك الصلاحيات المطلقة!!

وللقارىء بعد ذلك ان يدرك مدى ثقة هذا الكاتب باسلوبه الانشائي، إذ يقرأ مثل تلك الالفاظ التي لا تتضمن اي محتوى فكري يمكن الدفاع عنه، في معرض حديثه عن « نداء الأرض » للشاعرة فدوى طوقان حيث قال: « أأتحدث عن هـذا التحليل العبقري الرائع لنفسية اللاجىء العربي الثائر؟ أأصف شعوري حيال الصورة التي جلتها شاعرة فلسطين ... » ثم قوله: « ليس لي ان انقلها برمتها من جديد واضع خطوطاً تحت كل مقطع من مقاطعها الاخيرة ... » فها هنا يستحيـل النقد: النقد الذاتي « الذي يواكب الفهم! » الى ادب انشائي رخيص لا يضيف شيئاً الى مذخور رصيدنا الفكري، اذ بوسع اي قارىء ان يجيب على هـذه التساؤلات الضخمة الطنانة، التي يكيلها الاستاذ شرارة دون حساب، بكلمة واحدة فرد: « نعم! ».. نعم نريد منك ان تتحدث عن هذا التحليل العبقري الرائع لنفسية اللاجىء العربي الثائر في قصيدة الشاعرة طوقان.. ونريد منك ان تصف شعورك حيال تلك الصورة التي جلتها هذه الشاعرة المبدعة، وتلك هي مهمة النقد القويم. اما الاكتفاء بهذا العرض الانشائي، فليس من النقد في شيء، وليس فيه اثارة من توجيه او نقد، ذاتياً كان او موضوعياً..

اما في مراجعته للمقال القيم، الذي كتبه الاستاذ عبد الله عبد الدائم عن « رسالة الفكر الاجتماعية »، فنجد فيه اضطراباً في الموقف، وتناقضاً في تناول هذه القضية الاجتماعية الخطيرة، اذ ان الاستاذ شرارة قد اعترف بان « كل كارثة انسانية تكون، اذ تكون، محصلة احطاء واوضاع واتجاهات، فلا يمكن الرجوع بها الى (الجذر الفكري) الاصيل، إلا من قبيل التفهم النظري المحض ... » والذي افهمه من ذلك، ان الادراك النظري حتمي، بل ضروري، في تفهم اية كارثة انسانية.. تلك هي حصيلة هذا القول، وهو حق نؤمن عليه. بيد ان الاستاذ شرارة يعود في موضع آخر فيقترب عن هذا المستوى، اذ يرى « ان كارثة فلسطين مثلا، تعبير عن انهيار القواعد الاخلاقية في الغرب، ويرى ايضاً اننا لا نفيد الآن شيئاً، مـن مقاومة الفكر الصهيوني بعد ان تحول الى واقع، وانما يفيدنا ان نحاصر هذا الفكر، وان نطبق عليه من الجهات الست اطباقاً عملياً ... » وهذا الموقف العملي يتعارض تعارضاً جوهرياً مع ما ذهب اليه في النص الذي اقتبسناه عـن التفهم النظري المحض للكوارث الانسانية. على ان كارثة فلسطين تقتضينا اليوم ان نحاصر الفكر الصهيوني، جهيض الانحلال الاخـلاقي في الغرب، حصاراً عملياً، حصاراً روحياً، حصاراً اخلاقياً، حصاراً بكل ما تملك كياناتنا من قوى وطاقات..

ومن الغريب ان الكاتب المحترم، يرى ان البلاد العربية بمناهجهـا التكنيكية من ماء وكهرباء ومدارس مهنية، وضمانات اجتماعية، « لا تحتاج الى دراسات علمية، وانما تحتاج الى من يطبقها على اوسع مدى ... » بالرغم من اننا نعلم ان الشؤون الفنية ما هي إلا تكنيك العلم: العلم التطبيقي الذي تتجسد فيه المعادلات والتجريدات النظرية تجسيداً تقنياً عملياً!

ويعود الاستاذ شرارة مرة اخرى لخطابه الانشائي المفتعل، في تقييمه لقصيـدة الآنسة الشاعرة نازك الملائكة، حيث يقتبس من قصيدتهـا (الوردة البيضاء):

كنز البرودة والرحيق، ومخبأ اللين العطر
يا من عصرت من الثلوج، من الحليب، من القمر

الى ان تقول:

واحمرتاه على البشر
مروا بكنزك قائلين:
« مسكينة.. ما تملكين؟ »

ثم يعلق عليها الناقد، بان هذا الموقف الشعري الرائع يقصر عنه اكبر فلاسفة الاقتصاد.

مرحى، ثم مرحى، وهذا نموذج من نقد آخر زمان، في بلاد الف ليلة وليلة!!

واما موقفه من قصيدة الاستاذ الشاعر السياب (انشودة المطر)، فهو مثال آخر، على فراغ الالفاظ التي يرصفها الاستاذ شرارة رصفاً دون محتوى او مضمون.. انه اسلوب يذكرنا بأساليب الانشاء البالية التي قبرها الادب العربي منذ زمان بعد صراع فكري دام زهاء خمسين عاماً. فهو يرى ان هناك (شرلاً) في قصيدة السياب، وان هناك (تفصيلا) في قصيدتي فدوى طوقان ونازك الملائكة، لذا فالسياب – في رأيه – (يعجز عن ان يهز قرارة وجداننا)، ولكنه لم يشر قط، اين موضع الشمول والتفصيل في تلك القصائد الثلاث! على اني احب ان أنص هنا، على ان قصيدة (انشودة المطر) ظفر رائع للشعر العربي، تفوق فيها السياب على معظم آثاره الشعرية السابقة، لأنها تجربة ذاتية ترتبط بتجربة موضوعية انسانية شاملة، وذلك هو مصدر الشعر الحي.

وهناك موقف سلبي آخر، وقفه الاستاذ شرارة من بعض محتويات ذلك العدد، احب الاشارة اليه. ومثـال ذلك، عدم تعرضه لقصيدة الاستاذ كاظم جواد (أحد والحرية والربيع)، بالرغم من ان هـذه القصيدة تتضمن موسيقى جديدة ينبغي ألا يفوت الإلماع اليها بحال من الاحوال. فالقصيدة فيها صخب موسيقي غريب على الاذن العربية تجدر مناقشته وتقييمه، كما ان فيها جنوحاً للنزعة الملحمية ينأى بها عن الشعر الليريكي المألوف. والقصيدة بمجموعهـا تعتبر (احضاراً) لحادثة تاريخية وربطهـا بتجربة الشاعر الراهنة.

هذا وفي مراجعات الاستاذ شرارة جوانب اخرى، تستحق اعـادة

النظر والتعقيب ، لولا ان يضيق بنا المدى .

بغداد **محيي الدين اسماعيل**

★

حول باب « قرأت العدد الماضي »

من دأبي ، كلما اتاني عدد من « الآداب » ان يكون اول ما اتصفح باب « قرأت العدد الماضي من الآداب » . هذا الباب الذي اقرأه بنهم ما بعده من نهم ، وبلذة يعرفها كل من يعاني الحرف .

ولكني – في بعض الاحيان لا غالباً – كنت اخرج منه ، وكأني كنت في معرض (اوكازيون) او في حضرة قصاب .

(اوكازيون) يباع فيه الشعر والقصة والدراسة ، بالثمن الرخيص ، والرأي الفطير ، والقول الجزيف ،إما جنوحاً عن مشقة البحث والاستقراء ، وإما قصوراً في الشمول والاستيعاب .

وقصاب ، يقلب مدينته كيف يشاء ، ويحزها في ضلع الكلمة غير هياب . وازناً كل شاعر وناثر حسب معاييره وموازينه ، ومفهومه ومنطقه ، فما طابق هواه ، قرظه وعرّفه ، وما خالفه نقده وشرّحه كأن الحق في يمينه والفصل تحت لسانه . في حين ان النقد الصحيح ، يتسع صدره لكل لون ، وكل معرفة ، تبعاً للعام من المقاييس لا الخاص منها او الذاتي .

هذه خواطر ، رأيت ان اسجلها ، لأدل الى تلك السطحية في المناقشة ، والذاتية الضيقة في الحكم على الاثر . واستدرك فأقول ، في بعض الاحيان لا غالباً ، لعل الذين سوف يطلب اليهم تحرير هذا الباب ، يتنبهون الى خطورة مسؤوليتهم ، ووعورة مهمتهم ، ويستنفدون ما في وسعهم من امكان . وإلا كان مثلهم مع رئيس التحرير ، كمثل ذلك الصياد الذي طرح شبكته في الماء ليستخرج سمكاً ، فاستخرج جفاه ، او لم يستخرج شيئاً .

امامي الآن العدد السابع من مجلة « الآداب » . والناقد هذه المرة ، هو الاديب المعروف الاستاذ عبد اللطيف شرارة . وكل من له صلة بالأدب يعرف ان الاستاذ شرارة اديب نابه ، له جولات في الفلسفة ، وهيمان مع الشعر ، وآراء في الاجتماع والسياسة ، كثيراً ما خرجت منها وعلى لساني ترف عبارة الاستحسان .

بيد انه في هذا الباب ، زل حيث زل بعض زملائه . فأتت تعليقاته على العدد السادس، ذاتية في مواضع، متناقضة في اخرى، فضلاً عن انه ايضاً قفز عن بعض قصائد باعها بالجملة ، زاعماً ان الاستاذ العريض كفاه مؤونة نقدها، مع ان العريض لم يكفه شيئاً بخصوصها ، إلا اذا كان يقصد مشكلة القوالب العربية ، وهذه على ما اعتقد لا تحله من النظر في داخل تلك القصائد التي لا تقل شأناً عن التي نقدها . فقصيدة (في المطهر) مثلا لخليل حاوي ، ليست من القصائد التي يمكن تجاوزها بسهولة . ولكن لعن الله السرعة (*) .

اما انحرافه عن الاثر والاستطراد في تبيان ذاتيته ، فيتجليان في نقده (لألتزام الادب الحدسي) لمطاع صفدي .

واما تناقضه ، فيظهر واضحاً كل الوضوح ، في تعرضه لنقد قصة (رسالة الى امي) للدكتور ادريس . وهنا احب ان اقف قليلاً عند بعض نقاط واردة في تعليقه على هذه القصة ، تحرياً للواقع ، وجلاء للحقيقة .

قال الاستاذ شرارة : (ولكنه –اي الدكتور ادريس– في هذه القصة (يحاول) ان ينتقل الى الآفاق الرحبة ، الى مواطن الالم الانساني الناشىء عن ويلات الحرب ، ومرارة الحرمان ، وضنك المعيشة ، فيوفق الى بيان (انتقاله) هذا ، ولكن قصته تظل موضعها ، اي في دنيا مائعة ، لا تلمس فيها طلاوة) . وسبب هذه الأهلة ، وهذا الرأي هو ان ناقدنا لا يعرف عن الدكتور ادريس إلا (انه مؤلف « كاهن نساء » والنساء عنده مائعات، ضائعات، هالعات الخ ...) اما ما تبقى من آثار ، وأما ما تذوقنا من ثمار ، كلها تبرهن على انقلاب في الموضوع والعرض والتحليل ، فليس لها اي حساب.

غير اننا نعود فنقرأ : (ثم لا اجسر بعد كل حساب على القول انها غير فنية ، وانها غير مفيدة ، وانها غير ممتعة) . اظنك تتساءل ايها القارىء عن صاحب هذا القول . انه الاستاذ شرارة بذاته الذي اوقعنا بحيرة من امره وأوقعك ! وجعلنا نبحث عن شكل تلك القصة التي تظل موضعها من دنيا التميع ، وتكون في الوقت ذاته مفيدة . وعن شكل تلك القصة التي لا تلمس فيها طلاوة ، وتكون مع ذلك فنية وممتعة. فلم نر ما يبرر هذا التناقض إلا السرعة في الحكم على الاثر ، او عدم التعمق في ذلك الاثر !

حضرتني بعد قراءة هذا التعليق ، عبارة كثيراً ما نتفوه بها عن غير قصد ، فنحن اللبنانيين على الاجمال نهتف لدى رؤية جمال ما ، او استلطاف شخص ما : (يخرب بيتك شو حلوه، يقصف عمرك شو مهضوم) . وهكذا فعل استاذنا الكريم ! فهو كي يقول : ان هذه القصة مفيدة وممتعة وفنية ، خرب بيتها اولاً وقصف عمرها، مع فرق في الاسلوب طبعاً . إنما إن يكن هذا الاسلوب مستحسناً عند العامة فهو لا يصلح للنقد . بل هو قد يخرب احياناً بيت الناقد قبل المنقود .

ومما يزيد الطين بلة ، ان ذلك كان (بعد كل حساب) !

قال ناقدنا : (لا ادري ماذا ينقص هذه القصة ؟! أكاد اشعر ان مؤلفها تعمد اثارة الخوالج الانسانية ، وبدا عليه تعمده ، فجعل القارىء في ريب من موقفه الانساني ! فهذه ليست رسالة الى ام يكتبها ولد بعيد عن امه ، ولا هي قصة استعمل فيها ضمير المتكلم عمداً لبيان حالة نفسية لا يقوى على ايضاحها غير ذلك الضمير ... وكان من الافضل في رأيي ، ان يترك سهيل امه ، ليقص علينا سيرة بول البولوني، من غير لجوء الى الاطار الذي وضعها فيه . ذلك هو رأيي ، ولا اقطع بصوابه ..)

كثر الله خيرك لعدم قطعك بالصواب ، لأن الصواب قلما يقطع به فرد . وكثر الله خيرك ايضاً لأنك اقرأتني القصة اكثر من مرة . لعلني اهتدي الى ما اهتديت اليه فعز علي ، ووجدت ان القالب الذي تلبسته على قدها تماماً . وجدت ان سيرة بول البولوني لم تكن مقصودة ، بحد ذاتها كي تقص علينا من غير لجوء الى الإطار الذي وضعت فيه. بل هو ذلك الحلم الذي جر المرسل الى سيرة بول . ذلك الحلم الذي كانت تتراءى وراءه صورة امه ، التي كان (يخيل اليه احياناً انها كانت تفقد بعض ملامحها لتحل محلها ملامح اخرى ، فيها مشابه من وجه جاره البولوني ، جاره بول الذي يجهد الآن كثيراً لاستعادة قسمات وجهه) وما ان افاق ، حتى شعر بالحنين الى امه يعتلج في كيانه ، فخف الى الورقة والقلم ليدبج رسالة ، ويحث امه ، على (ان تسارع الى كتابة رسالة تقول فيها ان صحتها جيدة ، وانها لا تشكو شيئاً) . فنرى هنا ان المرسل ، لشدة تأثره بسيرة بول والمآل الذي انتهت اليه ام بول ، اصبح كلما تخايله ، اختلطت صورته بصورة امه البعيدة ، وحامت حوله الشكوك واعترته الافكار (الشيطانية) على حالها .

وكأني بالمرسل قد اراد ان يظهر امه على المعنى الانساني الذي يحمله في

(*) **تعقيب** : من واجب « الآداب » ان توضح هنا انها عهدت الى الاستاذ شرارة في نقد العدد الاسبق ، في وقت متأخر ، اي انها لم تدع له وقتاً كافياً للنقد .

«الآداب»

جنبه ، وعلى مدى تعلقه بها . فاسترسل في سيرة بول التي تعبر تعبيراً صادقاً عن الخوالج الانسانية ، وعن العاطفة الجامحة المتبادلة بين ام بعيدة عن ابنها ، وابن بعيد عن امه .

(اصبحت اخشى الموت . اصبحت اخشاه لأني ايقنت ان الحياة جديرة بان تعاش من اجل ام) . هذا ما قاله المرسل بلسان بول . اما في الواقع فهو رمز الى احاسيسه . واثارة لشعور امه البعيدة عنه . والتي لن تتمالك عن البكاء ، والتألم تائقة الى ضمه الى صدرها ، حين تقرأ مشاعره المتاليه هذه ، متجسدة في الكلمة .

اذن . ما كنا لنقف على سيرة بول لو لم يكن المرسل والدة ، يحبهو ايضاً من اجلها الحياة والكد والتحصيل في غربته . وما ادراك ما احاسيس فتى تفصل بينه وبين امه ابعاد من خلفها ابعاد ؟

وبطريقة اخرى ، يصح ان يكون ايضاً ، ذلك التداعي النفسي التلقائي الذي ادى الى الاسترسال في هذه السيرة في رسالة الى ام . فالمرسل في بدء كلامه قد عمد الى ان لا يروي تفاصيل الكابوس . وهو انه قد رأى امه - في المنام - ميتة . ولكنه ما ان وصل في كتابة رسالته الى حد : (لا يا امي . ولكن لا تحزني لي ، ام تحسبين اني اصبحت شيخاً يرهقه ركوب قدميه ؟ أعليَّ انا تشفقين ؟ اذن فما عساه يكون موقفك من (بول) ؟! . اقول ما ان وصل الى هذا الحد، حتى بدأت تتداعى الذكريات المدفونة في وليجته عن (بول) نتيجة ارتباط وثيق بين الحلم و (بول) وامه في مخيلته . وراح يروي سيرة (بول) مثقلة برؤى ذلك الكابوس ، لسيطرتها على نفسه في تلك الساعة ، واستئثارها باهتمامه .

هذا ما احببت ان اوضح من نقاط تعرض لها الناقد ، فأجحف بصوابها . دون ان اتطرق الى آفاق اخرى في هذه القصة التي نحن بأشد الحاجة الى امثالها في مثل هذه الايام ، لما تحمل من وصف للالم الانساني يثير الشفقة ، ولما تزرع في النفوس من كراهية وبغض للحروب وويلاتها .

وفي نهاية المطاف ، اني اجسر على القول (بعد كل حساب طبعاً) ان هذه القصة فنية وممتعة ومفيدة ومتماسكة .

ذلك هو رأيي ... وللأستاذ شرارة معذرتي وتقديري .

هنري صعب الخوري

★

تعقيب على نقد

يقول الاستاذ عبد اللطيف شرارة ، تعليقاً على قصتي « نوافذ مغلقة » (عدد حزيران) ، انها « موفقة الى ابعد حدود التوفيق ، وانها من الواقع تدور في اطار شعري ، وتصور حالات نفسية يعرفها هذا العصر ، وتصنع الحوادث امثالها كل يوم » ، وانه عند فراغه من قراءتها شعر « بسرور لا حد له » . وأنا اشكر له هذا القول . ولكنه ينتهي بعد هذا النقد الى الوعظ . فيقول انه يستغرب « هذا الميل عند كتاب القصة العربية نحو العناية بالنساء الضعيفات ، الحائرات ، المتهتكات ، كأن ليس ثمة من فتاة ولا من وجه نسائي يصلح مادة لقصة تعظم المرأة ، وتجعلها محل الاعجاب والاحترام ، وتكون قدوة لغيرها من النساء » .

وماكان هذا التساؤل ليهمني لو لم يأت مباشرة بعد الحديث عن القصة في معرض النقد ، فصرف الانتباه عن البطلة اميرة عائش ,كشخصية، وعن مقدار نجاح المؤلف في خلق هذه الشخصية وإثارة الاستمتاع بها - وتلك هي مهمة النقد الحقيقية - الى ناحية هي ليست من النقد في شيء . كأن يقول ، لماذا خلق شكسبير شخصية (الليدي مكبث) بما هي عليه من وحشية رهيبة، ولماذا كتب فلوبير قصة (مدام بوفاري) وهي الزوجة المتهتكة الفاجرة ، ولماذا قص تولستوي قصة (آنا كارنينا) في الف صفحة، ولماذا شغلنا زولا باستقصاء شؤون (نانا) ، ولماذا افزع درايسر القراء بخلق شخصية (كاري) ... والاستاذ شرارة في الواقع لو سأل هذه الاسئلة لتردد قليلاً في قوله فيما بعد : « استغرب كثيراً ان تقع على مثل هذه الوجوه النسائية الكريمة السامية ، النبيلة ، عند قصاصي اوربا ، ولا تقع على شيء منها عند قصاصي العرب . » فالأدب الاوربي ، من ايسخلس الى همنغواي ، يعج بصور المرأة الشريرة من كليتمنسترا في (اغاممنون) الى عشرات النساء في الرواية المعاصرة . وعلى كل فان ايسخلس الذي يخلق كليتمنسترا يخلق ايضاً انتيغوني، ومبدع الليدي مكبث يبدع ايضاً ايموجن . فالفنان لا يضيره (كما يقول كيتس) ان يرسم الشر اكثر مما يرسم الخير . كلاهما ينبثق عن الطبيعة وتتفجر عنه نفسَ الانسان ، وكلاهما مادة لفنه .

اما ان يطالب الكاتب بخلق المرأة (المحترمة) لتكون (قدوة لغيرها من النساء) ، فكلام اقرب الى السذاجة عند الاديب . لأن الكاتب يعلم ان تفهم الخير يقتضي ايضاً تفهم الشر ، وأن في تصوير الشر - اذا كان موفقاً - تغلغلاً في الاطواء النفسية نبحث له عن مصدر الخلل او العطب الذي تتعرض له حياة الانسان ، وأن من يغفل عن الشيطان يذكره الشيطان يوماً ما بوجوده .

بغداد **جبرا ابراهيم جبرا**

★

الى الاستاذ عبد اللطيف شرارة

ضم العدد السادس من مجلة « الآداب » اربع قصص : رسالة إلى أمي - الدكتور سهيل ادريس، المرحوم عبد الغني مسعود - يوسف الشاروني . الكستناء - عادل ابو شنب . نوافذ مغلقة - جبرا ابراهيم جبرا . وقد تحدثتم في باب « قرأت العدد الماضي من الآداب » عن ثلاث منها ، واغفلتم قصة « الكستناء » !!

وكقاريء ، يعنى اكثر ما يعنى بالقصص ، لفت نظري هذا الاغفال ، ولذا احب ان اسألكم عن سبب اختياركم ثلاث قصص من اربع . والذي دفعني لهذا التطفل او الفضول ، كوني وجدت الكاتب في قصة « الكستناء » يعالج موضوعاً يتصل اتصالا وثيقاً بواقع شعبنا ، اعني : الاستعمار . يعالجه بطريقة جديدة ومبتكرة .

اما الابتكار -في رأيي- فناشيء عن معالجة فكرة جديدة هي «الحياد». فقد ألف معظم القصاصين في معالجتهم لمشاكل كهذه ، ان يعرضوا لنا في قصصهم « الحادثة » ، والحادثة في هذه الحالة « نتيجة » لا سبب ، بينما المحور الاساسي في قصة الكستناء ، « الفكرة » لا الحادثة ، اعني : الحياد .

ان صدور (الفعل) عن الكائن ، او عدم صدوره ، انما يكون نتيجة لايمانه (بالدافع - الفكرة) او عدم ايمانه ، فالمشكلة الاساسية إذن بالنسبة لنا (الشعوب الصغيرة) هي : الحياد او عدمه . والكاتب في قصته ، تجاوز (الظاهرة - الحادثة) الى (المبدأ - الحياد) ومن هنا يأتي تجديده وقيمة قصته ، في وقت واحد .

ويسرني جداً ان تتكرموا بتفسير اغفالكم القصة، فربما يكون لكم رأي آخر ، ولكم مزيد الشكر .

دمشق **محمد حيدر**

هذا النقد ...

اما ان الاستاذ عبداللطيف شرارة ذو مكانة مرموقة ، ومركز سام ، في الأوساط الأدبية ، فهو شيء لا يسعنا إلا الاقرار به بكل ارتياح . وانا اذ اكتب هذه الكلمة ، لا اريد ان اعرض بأدب الاستاذ او بمركزه ، وإنما اريد فقط ان اتحدث عما في نفسي من حيرة ، ومن دهشة ، قد يبلغان شيئاً يشبه الاسف والاستنكار . اريد ان اتحدث عن هذا (الشيء) الذي شعر به الاستاذ شرارة عندما قرأ قصة (رسالة إلى أمي) للدكتور سهيل ادريس .

لقد شعر الاستاذ بأن هناك شيئاً يحد من جمال القصة ، ويهبط بحيويتها إلى مستوى لم يحدد ، فهي مخلوق ... ان لم يكن مشوهاً ، فهو على الاقل ليس كاملاً ... وانا اريد ان اسجل ملاحظتين هومتـا في فكري حين قرأت نقد الاستاذ .

هل هناك مقاييس ، ومناهج ، تامة البنيان ، متراصة الاركان لا ثغرة فيها ولا تجويف ، لدرجة اننا نثق بمتانتها وصلاحيتها الى حد الايمان ؟

لقد قرأت ما وسعتني القراءة ، عن هذه المناهج التي وضعت ، وهذه السبل التي عبدت ، لنبلغ عليها غايتنا ، وننال شأونا... النقد المنزه الصحيح ، ولكن تبلغ الحيرة غايتها ، والدهشة اقصاها ، حين اقرأ هذا النقد ، في هذه الصحيفة حيناً ، وفي هذه المجلة حيناً ، وفي كتاب نقد في بعض الاحايين .

فالذي اعرفه واعتقده ، ان من خط لنفسه طريقاً ، وجب عليه عبوره ، وأن من سن لنفسه قانوناً وجب عليه التمثل به ، وكان حقاً علينا ان نمتطي صهوة هذه المناهج التي خلقناها الى تلك الصورة للنقد الصحيح الخـالي من الزيف ، وما اوانا فعلنا ، فنقدنا في الواقـع يكاد يكون بعيـداً عن هذا القانون النقدي .

و (الشيء) الذي شعر به الاستاذ شرارة ولم يدر ماهيتـه ، يدل في الواقع على ان هيكله النقدي ، غير تام . فنحن قد وضعنا القانون وعلينا ان نصدر الحكم صحيحاً متفقاً مع مضمون القانون ، فأن لم نستطع ، فالقانون ناقص مادة او بعض المواد ، ما في ذلك شك .

اما الملاحظة الثانية فهي ان هذه المقاييس ، وهذه المناهج قد اصبحت في الواقع ، لدى اكثر الكتاب ، حبراً على ورق ...

وأظن ان هذا لا يحتاج الى دليل . فأن هذا البون الشاسع الذي نراه كثيراً ، في نقد كاتبين او اكثر من كاتبين لكتاب واحد ، لأقوى دليل ، وانه لشيء - ايضاً - مؤسف ، بل لعله مضحك ، وهذا ما رأيناه منذ شهرين في نقد الكتـاب لرواية (الحي اللاتيني) ، في الآداب حيناً ، وفي (الثقافة) حينـاً آخر . فالرواية عند احدهم في الذروة من حيث الفن والموضوع والاسلوب ... ولا تكاد عند الآخر تتعدى كونها وصفاً جنسياً لقـاء غرامي ليس إلا . فما هـذا الخليط ، أفيظن عاقل بعد كل هـذا ان النقد يجري على سنة وطريق مرسوم ؟ ان هذا التباين العجيب في هـذه الصور النقدية يدل على ان نقاد اليوم لا يكادون يبالون بخطة مرسومة او منهج موضوع ، بل انهم نبذوا هذه الطريقة وهذا المنهج نبذ نواة ، وأخذ كثير منهم ، يعتمد في نقده ، على الغالب ، على ذوقه الفني ، ويصدر حكمه على هذا الاساس ، سواء كان حكمه هذا صحيحاً او خاطئاً . فالذوق هو المقياس وما عداه فباطل . وهذا هو ما اراه عند كثير من النقاد ، ويا للأسف !

حمص **خالد طليات**

★

علنا ننتهي من هذا !

كنت اود لو ان الصديق الاستاذ كاظم جواد اطلعني على رده الذي رد به تعليقي على ما كتبه حول (الملجأ العشرون) ، ونحن اللذان لا يكاد يمر يوم دون ان نلتقي ، حتى اذا اقنعته بصحـة رأيي ، لم ينشر رده ذاك ، او اقنعني هو بصحة رأيه كان في رده الختام ... فان صفحات « الآداب » اغلى من ان نشغلها بموضوع كهذا .

مما لا ريب فيه ان هناك فرقاً بين موضوع قصيدة او قصة ما وبين فكرتها . ان (ظاهرة تبادل اللاجئين العرب رسائلهم عن طريق المذياع) هي موضوع قصة الاستاذ نزار سليم . اما فكرتها فهي كيف اصبح اللاجئون العرب محض أصداء وأشباح ، وانطوت المأساة الكبرى ... لقد اصبحوا اشباحاً بلا ظلال . واذا كان عبدالوهاب البياتي قد (سرق) فكرة تلك القصة ثم نظمها فأنه قد سرق الفكرة القائلة ان اللاجئين ، ضحايا المأساة الكبرى ، لم يعودوا غير اصداء واشباح ، وليس الفكرة القائلة ان اللاجئين يتبادلون رسائلهم عن طريق المذياع .

اما اذا كان الامر غير ذلك ، فالاجدر بنا ان نصوغ المسألة غير هذه الصياغة ، فنقول ان نزار سليم والبياتي قد تعرضا لتجربة واحدة فقد سمع كلاهما رسائل اللاجئين تذاع - فعبرا عنها ونجحت القصة وفشلت القصيدة .

ولكننا اذا امعنا النظر في القصيدة ، تبينا ان رأيي المتواضع هو الصائب وحسبنا دليلاً هذه المقتطفات من القصيدة : (... وكنا هائمين بلا ظلال . ما زلنا بخير والعيال - والقمل والموتى - يخصون الأقارب بالسلام . لا شيء يذكر ، لم تزل يافا الخ) . فاللاجئون اشباح بلا ظلال ، وان المأساة قد انتهت دون ان تخلف سوى هذه الاشباح والظلال . فليس هناك من جديد ، لا شيء يذكر ، وما زالت يافا يعبث بها اللصوص الصهاينة ويقتلون ابناءها الخ ...

لقد اراد عبدالوهاب ان يحمل عبارته (والقمل والموتى) تلك السخرية المريرة التي تقطر بها قصة نزار . ولكن عبارته كانت اضعف من ان تتحمل ذلك . هذا هو رأيي وللقراء ان يحكموا .

* * *

اما قول الاخ كاظم عن قصيدتي (هل كان حباً) انها ليست من الشعر الحر ، وانهـا اقرب الى الموشح ، اذ ليس فيها اي تحرر من القافية ، ثم الأبيات التي استشهد بها ليثبت رأيه ، فأمر يحتاج الى الوقوف قليلاً عنده .

في الموشحات - او بالأحرى ، في بعضها - تنويع في عدد التفاعيـل ولكنه تنويع مقيد ، وكذلك شأن القافية : اي ان كل مقطع من مقاطع احدى هذه الموشحات ، صورة طبق الاصل للمقاطع الاخرى ، من حيث ترتيب القوافي وتوزيع التفاعيل على الأبيات . وهذا هو ما دعاني الى القول بأن قصيدة (الكوليرا) لا تعدو كونها موشحاً . اما قصيدتي (هل كان حباً) فان كل مقطـع من مقاطعها يختلف عن بقية المقاطع من حيث ترتيب القوافي ، ومن حيث توزيع التفاعيـل على الابيات . وهذا ما افهمه من (التحرر من القافية) ، اذ انني لم اكتب حـتى الآن قصيدة غير مقفاة Blank Verse ، وفي وسع الاخ كاظم ان يرجع الى القصيدة فيقرأها كلها لا مقطعاً واحداً منها ، ليدرك صحة ما اقول .

بغداد **بدر السياب**

★

(مهزلة التمويه) ... ايضاً !

قرأت في العدد السابق من مجلة الآداب نقد الاستاذ كاظم جواد لمجموعة

شعر « اباريق مهشمة » وفي نهاية ذلك النقد كشف لي الناقد عن لغز كان يبعث في نفسي الحيرة وهو مهزلة التمويه او (لعبة الاقواس) ..! فلقد قرأت للاستاذ عبد الوهاب البياتي قصيدة بعنوان (ماوتسي تونغ) في جريدة (صوت الاهالي) عدد ٢٠٢ الصادرة بتاريخ ٢ حزيران سنة ١٩٥٤ ووجدت ان احسن ما في القصيدة هي تلك الابيات الموضوعة داخل اقواس ...! وبعد فترة زمنية ليست بالطويلة وقع بيدي صدفة احد اعداد مجلة (الثقافة الوطنية) اللبنانية. واذا بي اعثر فيها على قصيدة [لماوتسي تونغ] هي تماماً ما وضعه السيد عبد الوهاب (داخل اقواسه) في « قصيدته » المنشورة في جريدة (صوت الاهالي) العراقية بدون ان يشير ايما اشارة الى مصدر تلك القصيدة والى ناظمها الحقيقي ... فعلام يدل هذا اذا علم القراء ان جميع القراء العراقيين لم يطلعوا على قصيدة ماوتسي تونغ، بل ولم يعرفوا ان زعيم الصين الشعبية شاعر ؟ والانكى من ذلك ان مجلة (الثقافة الوطنية) لا تصل الى الاسواق العراقية بتاتاً !!

انا لا اعلم اذا كان السيد عبد الوهاب قد قرأ ما كتبه «ايليا اهرنبورغ» في مقالته « الكاتب والحياة » التي نشرتها جريدة « صوت الاهالي » وإلحاح الكاتب على ضرورة (التجربة) بالنسبة للادباء، فما هي تجربة الشاعر في « قصيدته » - ماوتسي تونغ - ، وهل يحق له كلما عن له ان ينظم شعراً ان يستولي على نتاج الآخرين ويؤطره بالأقواس ويذيله باسمه بعد ان يضيف له ابياتاً شاحبة، ثم يدعي انه يكتب للشعب ؟؟...

وبالمناسبة ان معنيين من القصيدة الاصلية نهبها السيد عبد الوهاب ولم يضعها بين اقواس !... الى آخر اللعبة ... الى آخر مهزلة التمويه !

بغداد **س. الدوري**

★

تعقيبان

— ١ —

الى الاستاذ عز الدين اسماعيل * :

« حين تظهر دعوة الى ادب يخدم طبقة الشعب البورجوازية، يكون من الطبيعي ان يظهر النقد الذي يحاسب الاديب على اساس هذه الدعوة » - يقرر الاستاذ اسماعيل على اساس هذه القضية اننا قد اتخذنا هذا الموقف النقدي بازاء قصة (شلن) للاستاذ احمد كمال زكي، وهو موقف يعتمد على دعوة « تجافي كل نزعة انسانية » في رأيه .

والحق انني لم استطع ان افهم هذا الكلام: لم استطع ان افهم اي دعوة تدعو الى خدمة طبقة الشعب البورجوازية ... ما هي هذه الدعوة ؟ متى ظهرت ؟ وأين ؟ وكيف تجافي كل نزعة انسانية، وما علاقة ما كتبناه عن قصة شلن بها ؟ كل هذه الاسئلة لا يجيب لنا عنها الاستاذ اسماعيل، ويكتفي بالقاء كلامه، ثم يقول عنا اننا (نخلط ونموه) على اساس هذا الكلام الغامض الذي لا يصور حقيقة مستمدة من واقعنا او واقع غيرنا - فمثلا، لا يوجد في واقعنا الادبي دعوة تدعو الى خدمة طبقة الشعب البورجوازية ولا علاقة لما كتبناه عن قصة (شلن) بدعوة كهذه التي لم تنشأ إلا في مجتمعات معينة، وفي حالات معينة، لا يمر بأحداها مجتمع عربي، واذا وجدت هذه الحالة التي تحاول - بدافع منها - بعض القوى ان تعين الطبقة البورجوازية على ان يتأصل مكانها المادي والمعنوي في مجتمع عربي، فأن هذه القوى لم تفهم خطر الادب وقيمته حتى تحاول ان تستغله كأمكانية مساعدة على الوصول الى هدفها، والاتجاهات الناشئة في ادبنا العربي والتي تحاول ان تؤصل في واقعنا فهماً معيناً للانسان ليس من بينها اتجاه واحد يدعو الى خدمة الطبقة البورجوازية واذا كان هذا الاتجاه قد وجد فقد كان على الاستاذ اسماعيل ان يوضحه حتى نتمكن من فهم كلامه، الذي يمثل - بصورته الراهنة - هذه الجدلية الخاطئة التي نشأت منذ حين في التفكير العربي، والتي تعتمد على تفسير الآراء المختلفة، في مجال المناقشة، لا بمواجهتها، ولكن بردها الى نزعة او اتجاه، قد يأخذان في الفهم العامي، صورة اتهام. على ان الخطأ الذي وقع فيه الاستاذ اسماعيل ليس فقط في محاولته لرد رأينا في قصة شلن الى دعوة معينة ولكنه كذلك في فهم ما قصدنا اليه من جانب، وفهم هذه الدعوة نفسها من جانب آخر، فلو فرض اننا كنا ندافع عن طبقة ما، حين عرضنا لقصة (شلن) فان هذه الطبقة ليست هي الطبقة البورجوازية، ولكنها طبقة (البورجوازية الصغيرة) والاختلاف بين الطبقتين واسع، بحيث لا يمكن رد الخلط بينها إلا الى صفة كانت تبرر لنا ألا نرد على امثال الاستاذ اسماعيل: يخلطون ويتهمون الناس بالخلط، ويسرعون في القراءة فيخطئون الفهم، ثم يبنون على خطئهم احكاماً عريضة لا مؤيد لها من واقع او ثقافة او منطق جدلي سليم .

هذا جانب، اما الجانب الآخر فهو ان الدعوة الى ادب بورجوازي - ان كانت قد وجدت في ادبنا العربي - فقد صدرت عن افراد لا علاقة لحاضرنا بهم، وهي دعوة نرفضها منذ كتبنا كلمتنا الاولى على صفحات «الآداب» حين قلنا يوماً ان النزعة الديموقراطية في الادب، تبرر لنا ان نرفض ماضياً طويلاً... ونرفضه، اولاً، كفن. وكان من اهم ما يميز هذا الماضي المرفوض، انه ينزع الى اشباع حاجات البورجوازية العربية المترفة : كان مقصده تسليتها، وارضاء نرجسيتها الحادة، والتعبير عن نزوعها السلبي الى تحقيق اللذة، التي لم تكن تتحقق إلا في اطار من الكسل والاغلال والاستعلاء على انسانية الآخرين الذين كانوا يصطدمون حتماً بواقع لم يكن مفروشاً بالورد، كما كان بالنسبة للطبقات البورجوازية بمختلف صورها في التاريخ العربي. وليس في نقدنا للعدد الرابع ادنى انحراف عن نقطة البدء في مقالنا الاول بالآداب، فأين اذن هذه العلاقة التي تربط بين نقدنا للقصة والدعوة الى ادب بورجوازي؟

ونسير خطوة اخرى في الكشف عن الاضطراب الذي اتسمت به كلمة الاستاذ اسماعيل فنقول : ان الادب الوجودي لا يدعو الى خدمة الطبقة البورجوازيه، ونقول ايضاً: ان الادب الشيوعي لا يدعو الى خدمة الطبقة البورجوازية ... فأي ادب اذن ذلك الذي ارتفعنا بالدعوة اليه اصوات هنا او هناك بقصد خدمة الطبقة البورجوازية ؟.. على الاستاذ اسماعيل ان يكون اشجع في الاتهام .

بقي ان نعلق على رأيه في قصة (شلن)، وهو الرأي الذي لم يغير موقفنا من هذه القصة :

١ - لم نكن نعني بكلمة اقتراح ما فهمه الاستاذ اسماعيل، من ان نتيجة تأخذ صورة تقريرية لمناقشة مشكلة ما، وإنما كانت هذه الكلمة تسمية من جانبنا، لحالة من النزوع الى التغيير يشعر بها الفنان ازاء الوضع الذي خلق في نفسه انفعالات متعددة نجمعها في كلمة (أزمة) ... حين يعيش الفنان في هذه الأزمة التي تدفعه الى خلق عمله الفني، فهذه الازمة ناتجة عن رفض لوضع لا انساني، ونزوع الى اقرار وضع آخر يرد الصفة الانسانية الى الوضع المرفوض الذي كان يعيش فيه هو او انسان آخر، فالنزوع الى التغيير، بما يخلقه من قلق في داخل الفنان ويعطيه من حرارة وارتعاش حياة للعمل

(*) يراجع العدد السادس من (الآداب) في باب (مناقشات) .

الفني ، هو ما اسميناه بالاقتراح يقدمه الفنان للآخرين ... للمجتمع .

٢ – ان فشل قصة (شلن) قبل كل شيء فشل فني ، ومما لا يجادل فيه ان شخصية في قصة لا تستمد نجاحها الفني الا من مدى توفيق الفنـان في ابراز مشكلاتها واشعار القارىء بهذه المشكلة ، سواء من سلوك هذه الشخصية ، او من تحليل الفنان لها بطريقة ما ، هذا الشعور هو المقياس الذي يتحدد على اساسه نجاح الفنان في عرض الشخصية ، فالعلاقة بين حكمنـا على شخصية في قصة ، ورصدنا لأحساسنا بما تعانيه من مشاكل ، علاقة طبيعية ، فأذا قلنا ان الفنان لم يوفق في اشعارنا بمشكلة هذه الشخصية واثارة عطفنا عليها ومشاركتنا لها ، فهذا معناه انه فشل فنياً ، ومعناه ايضاً ان حكمنـا لم يخرج عن حدود النظر الى القصة على انها عمل ادبي .

٣ – لم اقل ان شخصيات القصة تافهة ، وانما قلت انها غير طبيعية ، ولا تتميز بنزوع انساني ما يثير انفعال القارىء وعطفه ، او حتى تستثير في ذهنه صوراً من واقع تعيش فيه . وقد حددنا طبقة بطل القصـة بالبورجوازية الصغيرة وذلك لأن المشكلة التي يعانيها ليست مشكلة فرد ، ولكنها مشكلة طبقة مكدودة مكافحة تعيش حياة مرهقة ، وكل فرد في هذه الطبقة انسان يصطدم بواقعه المر ، فينفعل بالضيق والسخط والذلة ، وغير ذلك ، فهل كان في القصة موقف واحد ، لمسة واحـدة ، تشعر القارىء بان بطل القصة قد بلغ به الضيق والاستغراق في المشكلة حداً عنيفاً ؟ هل فيهـا موقف واحد ، لمسة واحدة ، تشعر القارىء بان هذا البطل انسان ؟... لقد كان الاستاذ زكي يمر على مجال اللمسات العميقة ، مرا عبثياً بارداً .

اما الشخصيات الأخرى فمن مجافاة الواقع ان نقول : ان زوجة في هذه الطبقة في مصر ، محرومة بهذا الشكل من كل نزعة إنسانية هي أخص ما يميز الزوجة المصرية في هذه الطبقة بالذات وخصوصاً في علاقتهـا بالزوج وشدة تفانيها في العطف عليه ومعاونته على ما يلقاه من ارهاق . واذا كانت هـذه الزوجة محرومة من شيء فمن الوعي الذي يمكنها من التمييز والاختيار فيما يقصد ان يكون عوناً لزوجها .

لقد كان سلوك البطل في اول القصة سلوك من يكاد يكون موقناً بانـه سيجد حلاً لمشكلته في نهـاية القصة ؛ سلوك المطمئن المرح الهادىء الذي تنساب ذكرياته عن السجائر والزملاء والطعام على طريقة مفتعلة وصفناهـا بالتداعي غير الحر .

من هنا كانت الشخصيات تتثاءب فلا تشعر في سلوكها وتطورهـا خلال القصة بالتلقائية ، والصدق : عدم التزييف عـلى الواقع الذي نعيش فيه مع صاحب القصة .

٤ – لست احب ان اطيل في مناقشة الاستاذ اسماعيل في موقفه من عبارة صاحب (شلن) « أكان من الممكن ان يكون في الشلن اكثر من خمسة قروش ؟ ... الخ » وحسبي ان اقول ان هذه العبارة لا تعدو ان تكون لوناً من الافتعال المقصود ، ولو كان صاحب القصة يحاول التعبير عن المعنى الذي اراد الاستاذ اسماعيل ان يحمله للعبارة ، لما كان هناك داع لأن يقولها بهذه الصورة ... لقد كان من الطبيعي ان يقول في بساطة « ألم يكن من الممكن ان يكون معي اكثر من شلن ... » اذ من الواضح ان الحقيقة التي يصطدم بها البطل ليست في كون الشلن خمسة قروش ، ولكن في انه لا يملك سوى شلن – ومحاولة الاستاذ اسماعيل لتفسير العبارة لا تقل تعسفاً عن العبارة ذاتها .

٥ – تقول ان قصة شلن (صورة من صور الحياة) وهـذا يعني ان صاحبها لم يقصد بها – في رأيك – الا مجرد التصوير ... اسمح لي يا اخي أن اجازف فأدعك تواجه هذه الكلمات من مقال لصاحب القصـة :

« ... المتفنن من طبيعته أن يكون ايجابي الموقف ... يتطلع الى شيء ، ويرمي الى غاية ، ولا يقصد الى البناء الفني فحسب او جمـال الصور الفنية وحدها ، بل ينبغي عليه ان يؤمن بأنه يحس مشكلات المجتمع كأصحـابه ، ولكنه يتميز عن غيره بقدرته على التعبير ... دون ان يكتفي بالتصوير او بمجرد الوصف ، وانما يعمل على ان يكون في تعبيره من الحيـاة والقوة والترتيب ما يولد الاثر الذي يطمح اليه » .

– ٢ –

الى الاستاذ فاروق خورشيد (١)

ان عقدة اوديب عند فرويد تعتبر من الوجهة العلمية فرضاً ، واحسب ان فهمك لهذه العقدة فهم ناقص ، اذ انها ليست « صراعاً بين الحب والبغضـاء تجاه الام » فهذه الحالة مظهر عكسي من مظاهر العقدة ، أما الصراع الاول الظاهر فيها ، فبين الحب للام والكراهية للأب وبذلك تكون قد اطلقت اسم الكل على جزء ... على ظاهرة واحدة من عدة ظواهر مختلفـة ، وليست تلك الظاهرة بما فيها من صفة الجزئية ، هي اهم الظواهر التي تصدر عـن العقدة الاوديبية ، والاستاذ زكي لم يشرح العلاقة بين سلوك البطل في (الحي اللاتيني) وبين هذا التفسير السيكلوجي للحياة الانسانية ؛ كان عليه ان يشرح عقدة اوديب ، وان يشرح معها اختياره لهـا من بين التفسيرات السيكلوجية المختلفة ، حتى يخرج من حصر ذاته في مفهوم يأخذ في مقـاله صورة مدرسية ، مدرسية لأنها لا تقيم وزناً لحركة الحياة الصاعدة التي لم تقف عند فرويد باعتباره النهاية ، فخرج ادلر ، وخرجت المدرسة الفينومينولوجية التي حددت موقفهـا من علم النفس كله ، ولكل محاولاته القوية في مناقشة فرويد ، – ان الاستاذ زكي لم يتعرض لشرح العلاقة بين النظرية الفرويدية وسلوك البطل حتى نتمكن من نقاشه ، بل اكتفى بتأكيد صدور البطل في سلوكه عن هذه العقدة ، ولعله كان يفهمها الفهم الناقص الذي تفهمه انت لها ، ونحن من جانبنا نرفض هذا التفسير للحياة ، ولكن المجال ، كما هو بديهي ، لم يكن مجال مناقشة فرويد بل مناقشة الاستاذ زكي .

اما البورجوازية فمفهوم يسمى حقيقة موجودة لها مكانهـا في التاريخ والواقع . ولا خلاف على ذلك ، فليست فرضاً من الفروض ، ولكنها مفهوم يندرج تحته عدة ظواهر ، لا يختلف احد على وجودها بل وتطورهـا في طبقة اجتماعية معينة ، الى جانب انك تخطىء النظر الى مفهوم البورجوازية حين تعتبره مفهوماً اقتصادياً ، اذ انه في الحقيقة يندرج تحت مفاهيم الدراسات الاجتماعيـة . اما تفسير الاستاذ زكي (لجانين) في (الحي اللاتيني) فهو خطأ يتنافى مع الفهم المتأني لهذه الشخصية ، وهو الى جانب ذلك يصدق على غيرها بل على نقيضها : ناهدة . ان ابرز ما يميز (جانين) ككائن في عـالم (الحي اللاتيني) هي انها شيء امام اي شيء ، تلك حقيقة تدل عليها احداث القصة ، فكيف تريدنا على ان نسلم بهذا التفسير ، لمجرد ان الاستاذ زكي في رأيك قد نظر الى القصة باعتبارها كلّاً دينامياً يوجه الفهم العام له فهم الشخصيات والاحداث . والحقيقة انني ، الى جانب ذلك ، لم استطع ان اصل الى الفهم العام الذي وجه الاستاذ زكي الى فهم (جانين) بانها اللاشيء امام اي شيء .

أما ان نقول عن مثل تفسيرات الاستاذ زكي «اننا نرفضها» فهو مذهب ندعو اليه مطمئنين ما دمنا بأزاء احكام سريعة لا تثبت امام التحليل والمناقشة . ولقد سجلت عليه بعض الاحكام المرتجلة الاخرى ، لم تبررها انت ، وهي احكام

---

(١) يراجع العدد السادس في باب صندوق البريد .

لا تصدر الا عن موازين في النقد لا ضرورة لها، ونحن في مرحلة من مراحل تطورنا تحتاج الى الوعي الموضوعي بالمشكلات والظواهر ، والتمثل الدقيق لاتجاهات التفكير والفن في واقعنا وواقع غيرنا .

القاهرة **رجاء النقاش**

★

حول نقد الاستاذ الناعوري

تابعت ما اثير حول كتاب (الحي اللاتيني) من نقد فكنت اعدو في حلقة مفرغة لا اظن ان انقطاعها وفتح ثغرة فيها امر هين .

لقد قرأت (الحي اللاتيني) بعد قراءتي نقد الاستاذ الشاروني له، ولا ادري أهو النقد الذي اثار فيّ كوامن اندفاعي للرواية ، ام هي الاساطير التي نسمعها نحن - فتيات الشرق - من اخواننا الطلاب العرب الذين عاشوا حياة عاشها بطل رواية (الحي اللاتيني) . كل ما هنالك انني قرأت الكتاب، ولا اخفي ان هذا اول اثر اقرأه لمؤلف هذه الرواية . ولكنني اهتممت كثيراً بما كتب عنه .

واذا كان النقد كما نعلم يعني ذكر ما للأثر الفني وما عليه في موضوعية نصوح ، فاعتقد ان نقد الاستاذ عيسى الناعوري المنشور في عدد سابق من « الآداب » لا يعني الا التجريح ان لم يكن التشويه .

ان السبب في دفاعي هنا هو مجرد قراءتي للحي اللاتيني وتأثري بها واستجابة انفعالاتي الشعورية منها وغير الشعورية لجوها العام . واحسب ان هذا دليل يسبر غور نجاح هذه الرواية ، ذلك ان الاثر الفني مهما كان نوعه يقاس مدى روعته بمدى استجابة القارىء او السامع له . ولو لم يكن هذا الكتاب قد بلغ حداً من التأثير قوياً في نفس الاستاذ ناعوري ، لما انبرى له ناقداً ومجرحاً .

اعترف انني لم ابدأ باستيعاب (الاعتبارات المتعددة) على حد تعبير الناقد الاستاذ ناعوري التي جعلها الاسس التي يقوم عليها نقد العمل الفني في مستهل استعراضي للنقد وحفظي لها كما هي عادتي كي اعرف اسسه التي سيقيم عليها نقده حتى رأيت اعتبارات قلقة تقوم احياناً تحت رقم معين ثم ما تلبثان تبرز نفسها تحت رقم آخر ؛ فدراسة الحوادث للعمل الفني مثلاً قد ادرجها الناقد في مستهل هذه الاعتبارات مع دراسة السياق والحوار ثم ما لبث ان افرد لها قسماً خاصاً يساير الانفعالات .

وهو إذ وضع اعتبارات ستة، زعم ان قسماً منها يرسم الاطار الفني بينما جعل القسم الآخر اللوحة الفنية التي يحفظها ذاك الاطار . ونظرة الى هذين القسمين تجعلك تدرك ان احدهما صورة للآخر فكأننا اذ نلتفت الى كليهما نشعر وكأن احدهما لم يبرح مكانه، الا قضية «تأثير العبارة وجمالها وسلاستها، وبراعة الحوار» فقد ظل الاستاذ ناعوري مصراً على انه يساهم في صنع الاطار الفني وحده .

دمشق **زهراء عبد الواحد**

★

كلمة اخيرة ..

بينت في كلمتي المنشورة في العدد السادس من « الآداب » وما زلت عند رأيي بان عبارة (فهي ركام من حطام ودماء) من منظومة الاستاذ محمد مجذوب « آه لو تنفع آه » ، لا تستقيم فيها الموسيقى الشعرية ... فرد عليّ الشاعر بأن هذه العبارة (متصلة بما تقدمها) .. فأكبرت منه هذه الالتفاتة .. وعدت الى نفسي وقدمت للقارىء ما تقدم عبارته من نصوص ليقف عليها بنفسه، دليلاً مني على استمرار صحة وجهة نظري ، على اختلال موسيقاها ، وهنا اعيدها للقارىء للتوكيد من جديد :

ما الذي اجتاح حماها ، فمحاها (فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن)
عصف الغدر بها تحت الدجى (فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات)
فهي ركام من حطام ودمـاء (؟؟؟!!!......)

فرد علي الاستاذ مجذوب بقوله : لقد غمض عليه - ويقصدني - صواب التفاعيل في احد اقسام المنظومة ، وراح يدلل على رأيه في تخطئتها فاخطأه التسديد !! ، وها انذا اعرض لعينيه - لعيني انا ايضاً !! - وجهة نظري في الموضوع بالطريقة المدرسية التي آثرها !! :

« عصفلغد - فعلاتن - ربهاته - فعلاتن - يركامن - فعلاتن - من حطامن - فاعلاتن - ودمائي - فعلاتن »

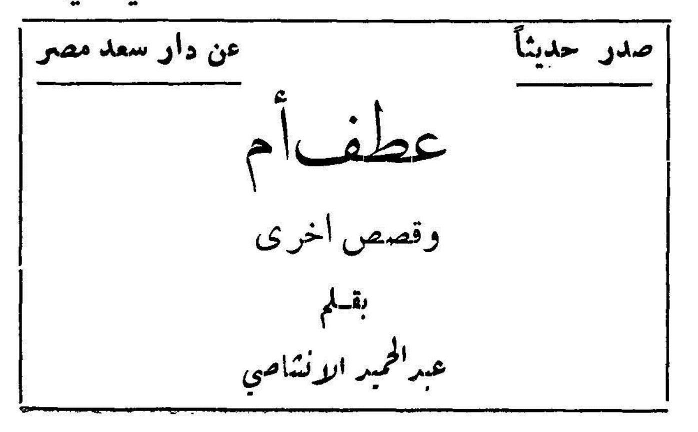
هذا هو كل تعليق الاستاذ مجذوب ، او بالأحرى تصويبه !! في الموضوع وقد اعتقد ، بان الامر محسوم بالنسبة اليه وحده ، ولكن جانباً مهماً واعني به القراء ظل ينتظر على يديه شيئاً جديداً ، هذا بالأضافة الى اغفاله الحقيقة ذاتها ! وهنا تكمن المأساة !

اين ولت ولت عبارة (تحت الدجى) يا استاذ ؟ ماذا حل بها ؟ ولم مسخت الآن من حيث الزمان والمكان ؟! ألم تقل بالنص : (عصف الغدر بها تحت الدجى) ؟!... انا آسف ، ان ارى استاذنا يجتث عامداً كلمتين من نتاجه على مرأى من انظار القراء وعين الحقيقة التي لن تنام ابداً ، ليتلافى ما وقع فيه من نشاز في الرنم الشعري الدفاق ، ومع كل هذا يقرر بالرغم من تشويه النصوص وانكفائها على وجهها ، بان في المقطع - في حياته الجديدة طبعاً ! - زحافاً ، عبر عنه بانه مألوف ومستحسن !!! بعد ان يئس من دفاعه السابق عنه ، حينما جرده من الزحاف وبالتالي من الالفة والاستحسان !

اما انه زحاف مألوف في الخبن ، فأمر قد اقره عليه الى حد ما، ولكني لا اعرف وجهاً ابيض لزحاف شعري يستحق استحساناً في دنيا الادب العربي المعاصر !

وعلى اية حال ، فأنها بشرى سارة، تهدى الى الذين يتخذون من الزحاف عكازاً يتوكأون عليه في هذه الايام التي يشن فيها الجراد الشمري العابث غزوه المنظم لمسخ صور الجمال الفني في الشعر العربي ، متخذين من مطاطية الدعوة الى التحرر من الشكلية القديمة بضاعة بهلوانية، قد تكون قابلة للاستهلاك المحلي في بعض الاحايين ولكنها ستودي بالفن الشعري الى بحران الانحلالية التسيبية ، وربما ظهرت بعض بوادرها في الوقت الحاضر !!

بغداد **علي الحلي**



مفهومات في الانسان والفن

— التتمة من الصفحة ١٦ —

مقالك، لعرفت ان الانسان المجرد متحقق في «راسكلنيكوف» و «سونيا» في الجريمة والعقاب، لدستويفسكي، و «بب» في «آمال كبار Great Expectations» لدكنز، و «محسن» في «عودة الروح» للحكيم، و «ماتيو» في «طرق الحرية» لسارتر.

اما قصة اهرنبرج، فما من نموذج واحد فيها، يقتل، او يعيش إلا لأنه «قاوم الالمان»، او «خان روسيا» او «اخلص لها» او «رفض الهتاف لهتلر»، ما من إنسان واحد فيها يستحق الحياة، لمجرد انه انسان، وما من انسان «يقتل بلا سبب»؛ وهذا «الحادث»، الذي يخلق موضوعاً لمهنة الحروب، يتكرر كثيراً.

— ٣ —

كان ضمن الأبحاث التي قرأناها في العدد الرابع من «الآداب» البحث الذي كتبه الأستاذ عبدالحق فاضل عن «اهل الكهف»، وقد حاولنا ان نستخلص من هذا البحث الطويل مفهوماً محدداً واضحاً عن المسرحية، او أزمة معينة دفعت صاحب البحث الى كتابته، أو تمثلا لتجربة اهل الكهف بوجه صاحب البحث الى الربط بين هذه المسرحية وواقع المصريين، او بينها وبين صاحب المسرحية فعجزنا تماماً، ووصفنا البحث بالتخلخل والاضطراب والبعد عن جوهر المسرحية كعمل فني، وعرضنا لرأي من آراء صاحب البحث وناقشناه مناقشة تفصيلية، فقلنا إن انسحاب اهل الكهف من الحياة لا يحكم عليه بمقياس التزام الأصل الأسطوري، لأن الأسطورة اصبحت ملك الفنان منذ ان احتواها في نفسه ليخلق منها عمله، وله ان يوجهها كما شاء، تبعاً لأهدافه من خلق الشخصيات وتحريكها داخل البناء المسرحي. وقلنا ايضاً، إن دراسة مسرحية كهذه، ينبغي ان تتعرض اول الأمر لمشاكل منها تفسير اختيار الفنان للأسطورة.

وإن من يعاني تجربة الحياة في مصر يستطيع ان يتبين بوضوح ان الأزمة الحقيقية التي يعانيها الانسان، هي اصطدامه الدائم بالواقع الذي يعيش فيه، وعجزه في الغالب، بعد تمرد وقتي، ولظروف بعضها يرجع اليه من «الداخل» والبعض يرجع الى «خارجه»، عن إخضاع هذا الواقع له مما يؤدي الى مظاهر[1] متعددة تتفق في دلالتها: تتعدد في الشكل، وتتفق اخيراً في ان مضمونها واحد من حيث دلالته على انتصار الجانب الهروبي في الشخصية المصرية. وقد تأخذ هذه النزعة صورة منحرفة في مجال السلوك، فتكون بذلك إيجابية التدمير. وقد تأخذ صورة اتكالية عابثة حيث تصبح اهمية الأشياء بالنسبة للفرد آنذاك هي ما يتصل بذاته، وبالمناطق السطحية في هذه الذات.. فـ «انا»، وغالباً «انا الظروف»، والوظيفة، والخارج»... هذا هو المقياس وعلى اساسه، يتخذ موقفه من الأشياء، وكم قال «هذا الأمر لا يعنيني... انا ما لي» إزاء أشد ما يتصل بوجوده وإنسانيته. هذه هي حقيقة الانسان في مصر، تحسها الاجيال الصاعدة، وتحس ان لها تاريخاً بدأ من قديم منذ عالم الأهرام... القبور، والمعابد... وتحنيط الجثث. إنها عبقرية الخوف من العدم، والانسحاق امامه، والتفكير المستغرق فيه — وقد حاولت هذه الاجيال تفسير الاعمال الفنية الناجحة، على اساس ارتباطها بهم، وبنزوعهم الى تحويل هذا الخط الهروبي الممتد، وبمأساتهم مع الواقع، ومع الزمن، وهم في ذلك أصدق من الآخرين وأقرب الى لمس الحقيقة، التي ترتعش بحرارة في تلك الآثار، وهم ايضا على حق، حين يندفعون في قوة الى الدفاع عن تلك الآثار التي لمست من اعماقهم الجرح، وشعروا من خلالها بجوهر مأساتهم... ألسنا على حق حين نثور على نظرة ترى في اهل الكهف اربعة فصول، وحواراً، وعدداً من الشخصيات والأمكنة؟! وبعد ذلك نحاول ان نجد في هذه النظرة عمقاً، وخبرة بالمسرح، فإذا بها نظرة سطحية لا تعتمد إلا على قراءة سريعة لا قيمة لها.

يقول الاستاذ فاضل، إنه قرأ بضعاً وعشرين مسرحية لشكسبير وشو، ولو كان الاستاذ قد قرأ بضع مسرحيات لهما، قراءة ناقد يهيء نفسه لهدم عمل فني له قيمته، لما رأيناه يتحدث عن المسرحية على اساس مبدأ المعقولية الذي دعا أرسطو الى ضرورة التزامه في العمل المسرحي، فكان شكسبير أول ثائر على هذا المبدأ، حيث أدخل في مسرحياته قوى لا إنسانية كالاشباح Ghosts، كما نرى عنده شخصية «العراف» الذي يتنبأ فيصدق تنبؤه في خلال الاحداث المختلفة للمسرحية

(١) من هذه المظاهر تغلب الغايات الفردية القريبة دائماً في توجيه السلوك وانتشار المخدرات في بعض الطبقات، وخلق مجالات متعددة لبعثرة الفراغ، وغيره احياناً، في عمليات سلبية، فارغة من المعنى... الخ

ولو كانت تاريخية . وكان الكثير مما اخذه الاستاذ فاضل على مسرحية الحكيم قائماً على أساس مفهوم يرى ضرورة توفر هذا المبدأ في المسرحية ، وهو مبدأ يناقَش مناقشة طويلة لو ان صاحبه عرض لنا مفهومه عن المسرحية بوضوح في اول البحث. اما ما أسماه بالتكاف وأجهد نفسه في إحصائه وتسجيله ، فيرجع أغلبه الى ما يمكن ان نسميه « بالضرورات المسرحية »، التي لا يخلو منها عمل مسرحي ما ، باعتبار ان الكاتب المسرحي، يقوم بعملية « حصر» لشخصياته واستخلاصهم من الحياة الواسعة المضطربة ثم إبرازهم بعد ذلك في عمله وتوجيه الانتباه اليهم دون غيرهم .

ونعرض هنا نموذجاً من شو ، الذي قرأه الاستاذ فاضل ، ففي الفصل الاول من مسرحيته « بجماليون » مجموعة من المواقف والاحداث المقصودة ، التي لا هدف منها إلا مجرد عرض شخصيات المسرحية وإبرازها أمام المشاهد أو القارىء ، بينما لا تبدأ المسرحية كأحداث actions ، متصلة بالموضوع الرئيسي إلا منذ الفصل الثاني . ونستطيع على طريقة الاستاذ فاضل ان نخرج من التعسف او التكلف – على حد تعبيره – أحداثاً تفوق فيما تحمله من قصد وافتعال ، ما اخذه على توفيق الحكيم – فمثلا ، في هذا الفصل ، يلتقي هيجنز البطل ، مع إليزا ، البطلة ، مصادفة – وفي موقف من هذا الفصل اخذ هيجنز يتحدث مع إليزا ، ويقول لها إن بامكانه ان يرفع من مستواها كبائعة زهور متجولة ، الى مستوى ملكة بتغيير طريقتها الصوتية في الحديث « Phonetic » - وكان بجوارهما عابر طريق ينتظر انتهاء المطر (الذي كان بمثابة السبب الذي جمع بين شخصيات المسرحية الرئيسية في هذا الفصل) ليمضي ، فسأله هيجنز : هل تستطيع ان تصدق ذلك ؟

الرجل : بالطبع استطيع ، انني انا نفسي دارس لهجات هندية ، و . . .

هيجنز (بشغف) : صحيح ؟ هل تعرف الكولونيل بكرنج ، مؤلف « السنسكريتية المنطوقة » ؟

الرجل : إنني الكولونيل بكرنج . من انت ؟.

هيجنز : هنري هيجنز ، مؤلف « ألف باء هيجنز العالمية ».

بكرنج « في حماسة » : لقد جئت من الهند لاقابلك .

هيجنز : وانا ، لقد كنت على وشك الذهاب الى الهند لاقابلك .

أليس هذا تكلفاً بمنطق الاستاذ فاضل ؟. إنك لو أحببت ان تحصي على هذه الطريقة مواقف في الاعمال المسرحية المختلفة ، لما خلا عمل واحد منها ، وهذا كله لا يختلف عما اخذه الاستاذ فاضل على توفيق الحكيم في اهل الكهف – ولكنها الضرورات التي يستطيع ان يفهمها الناقد حين يدخل في اعتباره انه بإزاء شكل مغاير كل المغايرة للأشكال الأخرى .

ومن اهم ماتتطلبه المسرحية كشكل فني يتميز عن غيره ، القدرة المكتسبة على البناء الفني من الناحية التكنيكية ، إذ لا تكفي الموهبة او المقدرة على الحوار او غير ذلك من الطاقات غير المكتسبة ، التي تكفي في القصيدة بل وفي القصة احياناً – اما الناقد المسرحي فجانب الدراسة ينبغي ان يتوفر فيه بنسبة عالية، عليه ان يفهم تاريخ المسرح فهماً واعياً مرتبطاً بتطوراته الفنية حتى يدخل بعد ذلك إلى هذا المجال النقدي ، فلا يتعثر بتلك الاخطاء التي وقع فيها الاستاذ فاضل . ومجرد قراءة بعض المسرحيات لا يكفي ، فكثير من هذه الاعمال تختفي قيمته الحقيقية وراء الشخصيات والمواقف، والحوار ، مما يفوت غالباً القارىء الذي لم يستفد من تجارب الآخرين وخبراتهم في تمثل الفن المسرحي وفهمه .

وقد كان من أبرز الاخطاء المنهجية التي وقع فيها الاستاذ فاضل انه كان يعتمد في فهم « اهل الكهف » وتقويمها ، على ما قاله توفيق الحكيم نفسه : إما عنها ، او عن الفن المسرحي بوجه عام . إن ما يقوله الفنان عن نفسه او عن فنه يجب ان يكون قابلا للمناقشة كغيره تماماً .

ومن هذه الاخطاء ايضاً ، غلبة طريقته الساخرة في عرض المشاكل ومناقشتها،وفي هذه الطريقة افتراض ضمني بأن صواب احكامه مطلق ومؤكد ، مع اننا في دور حاجتنا فيه إلى الدراسة الموضوعية المتزنة للمشاكل والظواهر ، اشد من حاجتنا إلى اي شيء آخر . فالجهد الذي بذله الاستاذ فاضل ، كان في طريقة اصطناعية للنكتة ، وتلقفه لها كلما حانت لذلك ادنى مناسبة – فمثل هذا الجهد الذي يبعثر وقت القارىء ، لا استطيع ان انبه اليه في نقدي للبحث ،لأنه جهد فارغ من المعنى والقيمة. ولو كان في بحث الاستاذ فاضل مجرد مخالفة لفهمنا لمسرحية اهل الكهف ، لما كان في ذلك شيء ، ما دام الكاتب يحاول باخلاص ان يصل إلى حقيقة . اما ما أحسسناه من البحث إلى جانب اخطائه الموضوعية البارزة ، فكان عكس ذلك تماماً .

النشاط الثقافي في الغرب

ايطاليا

« الموسيقى في القرن العشرين »

كان موضوع المؤتمر العالمي للموسيقى المعاصرة الذي عقد في الشهر الماضي بروما «الموسيقى في القرن العشرين». وقد تناول المؤتمرون قضايا الموسيقى المعاصرة والموسيقيين واعمالهم، وتبع ذلك تقديم ١٣ حفلة موسيقية تتألف برامجها من قطع موسيقية لمؤلفين معاصرين. وقد اشترك في المؤتمر والحفلات عدد من كبار الموسيقيين العالميين نذكر منهم ايغور سترافنسكي وميلهوز وكوبلاند ومالبيارو ورولان مانويل وسوغيه.

وفي اطار المؤتمر نفسه اشترك اثنا عشر مؤلفاً من ثمانية بلدان مختلفة في مسابقة عرضت فيها قطع موسيقية الفت من قبل. وقد نال الجائزة الاولى (وقيمتها زهاء الف وخمسمئة جنيه استرليني) موسيقي ايطالي في حوالي الاربعين من عمره ويدعى (ماريو بيراغالو) Mario Peragallo

النشاط الادبي

يبدو ان النشاط الادبي هذا العام اقل حيوية من الاعوام السابقة، لا بسبب قلة المنشورات وانما بسبب نوعية هذه المنشورات.

ومن بين الكتب التي تستحق الاشارة مجموعة البرتو مورافيا Moravia التي عنوانها « قصص من روما » وهي تضم خير مزايا مؤلف « اغوستينو » Agostino ونذكر كذلك كتاب ايتالو سفافو Italo Svevo بعنوان « دراسات » وهو يكشف عن شخصية المؤلف وقيمة تفكيره. وهناك قصة لكارلو مانتيلا Carlo Mantella بعنوان « اقرباء الجنوب » تسجل تجارب المؤلف الذي قدم الى جنوب شبه الجزيرة زمن الحرب. وقصة لغيدو لوبز Guido Lopez عنوانها « التجربة من جديد » تتناول قضية العمل المجاني؛ ومن الروايات المسلية حكاية لماريو توبينو Mario Tobino عنوانها « ايطاليان في باريس ».

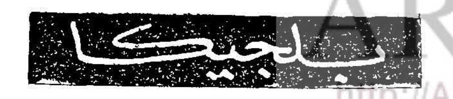
وينبغي ان ننتظر الخريف القادم لنشهد هجوماً ادبياً حقيقياً يعد منذ الآن بانه سيكون خصباً بظهور عدد من الآثار لكبار الكتاب الايطاليين كالفارو Alvaro وبرانكاتي Brancati وبوزاتي Buzzati ومورافيا وبراتوليني Pratolini وسيلوني Silone وفيتوريني Vittorini .

انباء المسرح والسينما

اما المسرح فيشكو انعدام المسرحيات الجديدة. ففي مسرح الفن Teatro delle Arti لا تزال مسرحية La Mandragore لمكيافيل تمثل بنجاح منذ اشهر. وفي الاليزيو Eliséo تنال مسرحيات « سيرانو دي برجيراك » و « الكذاب » لغولدوني و « بغماليون » لبرنارد شو نجاحاً ملحوظاً. وقد اجتذب مسرح Valle بتمثيلية « تيريز راكين » لأميل زولا عدداً كبيراً من الحضور اتوا يصفقون لموهبة الممثلة الشهيرة ايما غراماتيكا Emma Gramatica في دور الام. وقد اعلن عن مسرحية « اليهودية » لميسيكا Miscica التي ستمثل قريباً وقد نالت جائزة بيراندللو في العام الفائت.

ومن انباء السينما ان المخرج المعروف لويجي زامبا قد انتهى من تصوير فيلم « الرومية الجميلة » المأخوذ من رواية مورافيا، وسيقوم بالأدوار الرئيسية جينا لولوبريجيدا ودانيال جيلان ورايمون بيليغرين. ويرجو دوسيكا ان يفرغ من فيلمه « ذهب نابولي » في هذا الشهر، وسيقدم باغليارو فيلمه الاخير « الباب الذهبي » بعد اسابيع. اما لوشيانو ايمر فقد انتهى من فيلم « الصف الاول » الذي اختار ابطاله جميعاً من الطلاب.

بلجيكا



نظرة في الرواية

يقولون ويرددون ان بلجيكا هي قبل كل شيء ارض شعراء ورسامين، وان الروائيين فيها قليلون جداً ومعظمهم محليون. وهذا في الواقع ميزان

ويرى الاستاذ حسين اننا لم نفهم البحث — كيف؟ نحن لا ندري ذلك — اما ما لديه من ادلة لمناقشتنا فهو :

١ — ان توفيق الحكيم اعلن كثيراً ان المسرحية تصور صراع الانسان مع الزمن — فهي بهذا لا علاقة لها بالمصريين.

٢ — ان المصريين شعب، كأي شعب، غير هارب من الحياة : إنهم اول من ثاروا على العدم فحنطوا الجثث.

اما الدليل الاول فهو واهٍ لسببين : أولهما ما نرفضه منذ البدء، من الاعتماد على فهم الفنان لعمله كمقياس لفهمنا او فهم الآخرين. إنها حقيقة بارزة : قد يخطىء الفنان في فهم عمله بل وفي تقديره. اما السبب الثاني فهو ان مشكلة الصراع مع الزمن لا تتنافى مطلقاً مع تصوير المصريين، باعتبار ان هذا الصراع هو تجربتهم، وهزيمتهم في النهاية هي مأساتهم. وأغلب الظن ان « الصراع مع الزمن » ليس له مدلول ما، في ذهن الاستاذ حسين، وإلا فليشرح لنا كيف يتناقض صراع الانسان والزمن، مع تصوير المصريين.

اما ان المصريين غير هاربين من الحياة فنعتقد اننا قلنا ما فيه الكفاية حتى عن ظاهرة تحنيط الجثث، تلك.

بقي سؤال : ترى أأنا الذي لم أفهم بحث الاستاذ فاضل، أم ان هناك إنساناً لم يفهم البحث ولم يفهم تعليقنا عليه، ولم يفهم اولاً واخيراً مسرحية «اهل الكهف» ذاتها؟

القاهرة — رجاء النقاش

غير دقيق للأدب البلجيكي . فان الروايات التي تصدر في هذه الايام ،معظمها روايات عامة غير محلية .

ومن اكبر روائي بلجيكا المعاصرين ايغيسبارس Ayguesparse وهو في الوقت نفسه شاعر وناقد ومدير مجلة . واشهر رواياته (ساعة الحقيقة) L'heure de la Vérité ، و (ظلنا يسبقنا) Notre Ombre nous précède التي نالت جائزة روسل في العام الماضي و(جيل من اجل لا شيء) Une génération pour rien ، وقد صدرت حديثاً . وايغيسبارس هو في الوقت نفسه روائي الريف والاسرة ، وهو مغرم بالألوان العنيفة ، ولكنه مأخوذ بحاجة متصلة للنظام والقياس . وهو يبني معظم شخصياته على هذه الثنائية . فبطله (لوفيرجوا) ، وهو احد اشخاص رواية (جيل من اجل لا شيء) هو نموذج هذه الثنائية . فأنه يحلم بان يكون على رأس افراد جيله ليصنع منهم صناعاً وتكنيكيين ؛ ولكن الرغبة في الانتصار والحاجة الى الانكار هما من قوة الامتزاج بحيث ان هاتين القوتين تعجزان عن الكسب. وهذه الرواية قصة واقعية من طراز قصص فلوبير ، ومؤلفها يبرع في رسم صور الشخصيات وتصوير الحوادث المتحركة المؤثرة وتمييز اشخاصه الثانويين.

اما المجلة التي يديرها ايغيسبارس فهي Marginales التي تحتفل قريباً بعيدها العاشر ، وهذه المجلة تعطي القاريء لوحة اقرب ما تكون الى الدقة والصدق عن الحياة الادبية البلجيكية وعن اتصال هذه الحياة بالمظاهر الادبية في سائر انحاء العالم .

ومن الروائيين الممتازين هنري كورنيلوس Henri Cornélus الذي اصدر اخيراً رواية بعنوان (كوفة) Kufa اثارت اهتماماً ملحوظاً ، وهي قصة شاب مثقف شديد الحساسية، يحب الزنوج ولكنه لا يحسن الانسجام في الكونغو . والمؤلف بارع في رسم الخطوط البارزة ، وهو عنيف واوصافه حسية عميقة تعبر احسن تعبير عن كآبة البطل .

ولعل لويس ديبرو Louis Dubrau هي اعمق الروائيات البلجيكيات وابرعهن في التحليل النفسي . وقد نشر لها اخيراً رواية (المنحدر الآخر) L'Autre Versant التي تتميز بالبساطة والطبيعة . ومثل هذا يقال عن رواية « Les Dimanches où le monde est jeune » لجورج لنز Georges Linze .

جوائز

منحت جائزة (جورج فاكسلير) الاكاديمية هذا العام لكلود سباك Claude Spaak على مسرحية (وردة الرياح) La Rose des Vents التي تعد نصراً مسرحياً كبيراً والتي تمثل منذ اشهر على المسرح الوطني .

ونال رينه جول كورنيه René - Jule Cornet جائزة (شاتريان) على قصة (معركة السكة) La Bataille du Rail التي يروي فيها حكاية مد اول سكة حديدية في الكونغو البلجيكي .

اما جائزة الرسم فقد نالها روجيه دودان R. Dudant الذي ينقل الواقع نقلاً فنياً مدهشاً ، وقد اقيم له معرض في (مسرح الجيب) ببروكسل .

فرنسا

ازمة في المسرح

كتب الناقد الفرنسي المعروف تييري مولنيه Thierry Maulnier في (مجلة باريس) La Revue de Paris (عدد حزيران) مقالاً هاماً تحدث فيه عن المسرح الفرنسي ، فذكر ان مسرحيات هذا العام لم تنل النجاح المنتظر الذي نالت مثله مسرحيات الاعوام السابقة ، بالرغم من ان قيمتها لا تقل عن قيمة هذه . وقال ان المسرح الفرنسي يمر الآن بأزمة ، وإن كان كفن غير مهدد بالزوال . فلا السينما ولا الراديو ولا التلفزيون قادرة على ان تحل محله . وهو كصناعة يجابه ازمة مالية من اسبابها منافسة السيارات له : « فان عدد السيارات التي تقطع فرنسا قد تضاعف خلال السنوات الخمس الاخيرة ، وان باريس تجد نفسها فارغة في نهاية الاسبوع ابتداء من منتصف نيسان ، وهذا ما يظهر جلياً في عائدات شبابيك المسارح يومي السبت والاحد خصوصاً ، وهما في الاساس من اهم ايام الاسبوع .

ثم ان السيارة تفر تمثيل المسرحيات خلال الاسبوع لأنها تتطلب نفقات باهظة من تصايح وكاراج وبنزين ، فضلاً عن انها ينبوع مسرات ، وما تقتضيه من نفقات ينقص من امكنة اخرى ، من المسرح والسينما مثلاً . »

ويقول الناقد بعد ذلك ان في باريس عدداً من المسارح يزيد عن حاجة الجمهور ، او عما تستطيع باريس ان تغذيه من المسارح .

كامو و « الصيف »

صدر حديثاً لألبير كامو Camus مجموعة دراسات هامة بعنوان (الصيف) L'Eté يبدأها المؤلف بالحديث عن وهران (عاصمة الضجر التي تحاصرها البراءة والجمال) ويجد القاريء في الكتاب صفحات تأملية رائعة عن فن سؤال الحجر ان يخلف التأثر الذي يطلب عادة من الوجوه . والحق ان المناظر الحجرية اوحت ولا تزال توحي لكبار الكتاب شعوراً بالجفاف يكتنفه احساس من التقوى . وها هو كامو ، بعد موراس وباريس وجيد يتحدث بهذه اللهجة التي تفترض انسجاماً لذيذاً من عالم الاحياء والضجة . وجميع الدراسات التي يضمها هذا الكتاب ذات اهمية كبيرة . فبعد دراسة عن الفكر اليوناني الذي « انكمش دائماً عند فكرة الحدود » في حين ان الفكر التاريخي لعصرنا ينشد دائماً طغياناً « غير محدود » ، يتحدث كامو عن قدره هو بالذات : فان الحرب قد اغرقته في الرعب وقذفته في خيال العبث ، ولكن ذلك لم يكن له موضوع ايمان لا يتزعزع ، وإنما كان فكرة من فكر كثيرة ممكنة. ان كامو يرفض ان يظل ابداً مشدوداً الى(سيزيف) : فان هذه الضحية ، ضحية الالهة ، لا تستطيع ان تملك ارادة الحياة اذا لم ترفض شيئاً من الحياة التي هي حياة كامو وحياة كل انسان سواه . ولقد عبر المؤلف عن ذلك كله برصانة ونبل .

« سلاماً ، ايها الحزن »

منحت «جائزة النقاد» هذا العام لفرانسواز ساغان Françoise Sagan على روايتها « سلاماً ايها الحزن » Bonjour Tristesse . وقد اثارت هذه الرواية اهتماماً بالغاً في الاوساط الادبية ، لا سيا وان مؤلفتها فتاة لا

النشاط الثقافي في الشرق

ايران

لمراسل « الآداب » الخاص

اطلاق سراح اساتذة الجامعة

اطلق في اواخر الشهر الماضي سراح اساتذة جامعة طهران الذين كانوا يتعاونون مع الدكتور محمد مصدق الرئيس الايراني السابق بعد ان مكثوا في السجن – رهن التحقيق والمحاكمة – اكثر من تسعة اشهر عجاف. وبين هؤلاء الدكتور مهندس رضوي استاذ الكهرباء في كلية العلوم والدكتور شايكان والدكتور صديقي من اساتذة كليتي الآداب والحقوق.

ولقد كان لخبر اطلاق سراح الاساتذة–الذي كان بفضل جهود ومساعي رئيس الجامعة الدكتور علي اكبر سياسي لدى جلالة الشاه – رنة استحسان في المحافل الادبية والسياسية على حد سواء، وأفاضت المجلات والجرائد مشيدة بفضلهم واخلاصهم في سبيل اداء رسالتهم العلمية والسياسية للبلاد.

كتب عربية مترجمة

من الكتب العربية التي ترجمت الى اللغة الفارسية في الشهر الماضي كتاب (عبقرية محمد) للاستاذ العقاد، وقد قام بالترجمة الدكتور اسد الله مبشري وكتاب (حياة علي بن موسى الرضا) تأليف عبد القادر احمد اليوسف والمترجم غلامرضا رياضي، وكتاب الدكتور طه حسين عن علي بن ابي طالب وترجمة احمد اكرام، وقصة (لقيطة) للاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله بقلم جعفر رائد. ولقد اطرت مجلة (كاويان) القصة وامتدحتها. وكتاب (روبسبير) للاستاذ قدري قلعجي وقد قام بالنقل الاستاذ محمد خاور. وقد كتبت مجلة (سبيدوسياه) مشيدة بالكتاب والكاتب وداعية الى ترجمة بقية كتبه التي لا تخلو من فوائد وخدمة للشعب على حد تعبيرها.

كتب مترجمة اخرى

ولقد ترجمت كتب اخرى الى الفارسية من اللغة الانكليزية والفرنسية منها: المساكين لفيكتور هيغو ترجمة حسينقلي مستعان، وتاريخ ايران ايام الساسانيين وهو تأليف آرتور كريستن سن وترجمة ياسمي، و (بياتريس) لآنور شنيتسلر وترجمة الدكتورة سيمين دانشور، وقتلى منتصف الليل للقاصة العالمية آجاتا كريستي ترجمة ج. منصوري، ومسرحية نهاية عمر لآرثر ميلر وشمس الجنوب لارسكين كالدويل، والثري لايوان بونين وابن الشمس لجاك لندن والطفيليون لغر كوني جيكي، وجان دارك لبرنارد شو وسواها.

الكتب الموضوعة

اما الكتب الموضوعة فكان نصيب الشهر الماضي منها كثيراً ايضاً، فلقد نشرت (خواطر العلامة سيمي) رئيس الاكاديمية الايرانية الذي توفي منذ شهرين، وصدرت رواية جديدة للقاص الايراني المعروف الاستاذ محمد حجازي بعنوان (الشك)، كما صدرت مجموعة شعرية رقيقة للشاعر المتجدد نادر بور باسم: (العيون والايدي)، وصدر المجلد السابع من كتاب تاريخ العلاقات السياسية بين ايران والأنكليز بقلم محمود محمود، وتاريخ يقظة ايران – الطبعة الثانية – تأليف ناظم الاسلام وتاريخ الأدب الايراني – الجزء الاول – من الفترة الاسلامية الى العهد السلجوقي تأليف الدكتور ذبيح الله صفا، و (ابن سينا) لسعيد نفيسي ومجموعة مختارة من شعر الشاعر المعاصر شهريار، ومجموعة اخرى لعلي اكبر سعيدي، كما صدرت في طبعة انيقة قصيدة الشاعر الكبير صادق سوق عن ابن سينا، وقصيدة اخرى للشاعر كاظم رجوي احد اعضاء الاكاديمية الايرانية في نفس الموضوع.

زكي الصراف

تتجاوز الثامنة عشرة من عمرها، وانها بهذه الرواية الاولى قد شقت لنفسها طريق المجد.

والجدير بالذكر ان هذه الفتاة قد سقطت في امتحانها في حزيران من السنة الماضية، فكان منها ان جلست الى طاولتها، وابعدت الكتب المدرسية وراحت تمثل دور الكاتبة. وقد اكتفت بثلاثة اسابيع قضتها على الشاطيء واستلهمت قلقاً في نفسها هو رغبة في الحب وحيوية كئيبة، وبدأت عبارتها الاولى: « في ذلك الصيف، كان لي من العمر سبعة عشر عاماً » وتدفقت بين يديها بعد ذلك اعماق الماضي وانوار الحاضر، وذكريات حياة عاشتها، وحياة تود ان تعيشها، (وأنوات) تريد ان تحررها من نفسها... فسلاماً ايها الحزن، وسلاماً ايتها المسرات والاحلام، وسلاماً ايها الادب!

وقد اجمع النقاد على ان فرانسواز ساغان تملك موهبة قصصية وسهولة مدهشة في السرد؛ وروايتها عبارة عن (كوكتيل) بارع: صداقة تكاد تكون حباً بين اب وابنته؛ والأب حائر بين امرأتين، تستخدم الابنة احداهما لتقهر الثانية، ثم تستخدم عشيق الاولى لتتسلط عليها؛ كل ذلك في جو من الرغائب والاهواء والالوان والظلال التي تكسب الرواية غنى كبيراً تحدث عنه كثيرون من النقاد، وعلى رأسهم روبرت كامب واميل هنريو وغبريال مرسال، وقد هاجم هذا الاخير النزعة الاباحية في القصة، وإن كان قد اعجب بموهبة المؤلفة.

ومهما يكن، فقد نجحت هذه الرواية، واعتقد الناس انها تنبيء بميلاد كاتبة روائية من الطراز الاول.

جوائز اخرى

- منحت لجنة (فينا) جائزة (فاكارسكو) لأنطونيا فالانتين A. Valantine على كتابها (دراما البير انشتاين) Le Drame d'Albert Einstein.
- ومنح وزار فرنسا في الشهر الماضي الروائي الروسي ايليا اهرنبورغ وسلم بيار كوت جائزة ستالين للسلام.
- ومنحت الاكاديمية الفرنسية جائزة الادب لجان غيتون Jean Guitton على كتابه (احاديث مع مسيو بوجيه) Dialogues avec Monsieur Pouget كما منحت جائزة الرواية لبيار موانو Pierre Moinot على روايته (الصيد الملكي) La Chasse Royale.
- ومنحت جائزة (ريفارول) هذا العام لشاعر يوناني يدعى جورج سبيريداكي Spiridaki على ديوانه (الموت الواعي) ودراسته عن (اليونان والشعر الحديث).
- ومنحت جائزة (الفكاهيين) لراندال لوموان Lemoine على كتابه (هؤلاء الصغار الاعزاء) Ces chers petits

« مشكلة النخبة في الشرق »

— التتمة من الصفحة ٦ —

النخبة ان يقف شجاعاً في جانب الحقيقة . وما نحسب الحقيقة في جانب هذا التأليه للبنان ، ورده الى اصول غريبة عنه ، وفصله عن الحضارة العربية التي سادت فيه منذ القديم . . وهل الموجات التي غزت لبنان قديماً ، وعلى رأسها موجات الفينيقيين ، إلا موجات عربية فاضت من جزيرة العرب منذ أقدم الازمنة ؟

على اننا مع الكاتب تماماً عندما يتحدث عن بعض المعضلات التي ستتحدى نخبة الغد . فهو يبين ، في عمق ونبالة ، ان من المعضلات التي تواجهها هذه النخبة إعادة الثقة بالعقل البشري ، وان منها استعادة الكرامة البشرية ، وان منها مشكلة الصراع بين مصالح الحاكم الخاصة وبين مصالح الامة التي اؤتمن عليها . . وهو إذ يطرح مشكلة القومية (او مواطنية الامة ، كما يقول) والانسانية (او مواطنية العالم) ، يحسن حين يبين ان القومية لا تشتمل على معنى الاثرة واعتبار البغضاء اساس البقـــاء ، وأن العالمية لا تشتمل بدورها عـــلى التهرب من التزامات الانسان نحو الآخرين ، ولا تعني الذوبان « في كلامية تدمر الثقة بما يرتسم على الأفق من وحدة العالم » . وهو بهذا يشير الى المفهوم الصحيح للقومية : فالقومية لا تعني العصبية والغلبة ، وبهذا تنسجم مع الفكرة الانسانية العميقة ، ما دامت إنسانية الانسان لا تزهر ولا تتفتح إلا في تربته القومية . غير انه يريد ان يفهم من مواطنية الأمة معنىً ضيقاً ، ويخاف في نهاية حديثه عنها ان يجعلها والقومية العربيـــة سواء ، مناقضاً مرة اخرى روحه العلمية التي يحرص عليها . إنه يعتبر ان نصف مشكلات الشرق « ناجم عن كونه اهتم ، منذ فجر النهضة السياسيـــة ، للضم أكثر منه للتكثيف ، لتوحيد الأقاليم أكثر منه للتمدين » . وهكذا يستعيض عن القومية الحقيقية بالمواطنية ، مواطنيـــة اللبناني للبنان مثلاً . . وينسى ان كل مشكلات العرب ، لا نصفها ، ناجم عن محاولة كل قطر من اقطار العرب ان يحـل مشكلاته على انفراد ، متناسياً ان لا سبيـل الى الخلاص من الاستعمار ومن الأوضاع الاجتماعية الفاسدة إلا عن طريق العمل العربي الموحّد ، وأن القضاء على أي واحدة من هذه المشكلات في قطر واحد امر مستحيل إذا لم يرافقه القضاء عليها في سائر الوطن العربي . فمشكلة البلاد العربية واحدة ، والعمل عـلى الخلاص منها لا يكون إلا وفق اسلوب موحّـــد . وإذا لم تتكتل الفئة النضالية الواعية في مختلف ارجاء البلد العربي ، ولم تنتشر في كل جزء من اجزائه ، يستحيـــل على الانقلاب الاجتماعي ان يبلغ شاطىء الأمان وأن يتحقق في أي قطر عربي .

ويحسن الكاتب كثيراً حين يتحدث عن معضلة تعهد المعرفة الشعبية ، وحين يبين ان « إيجاد التفاهم بين العامة والخاصة لا يتم بحال من الأحوال بإنزال هذه الى مستوى تلك ، بل برفع تلك الى مستوى هذه » ، وحين يحمل على « الدلعة الديمقراطية » التي عوّدت العامة ان تساير هم الخاصة . كما يجيد حين يعرض لمشكلة القدرة على الطموح . وحـــين يبين ان « افتك ما يضعف الشرق اليوم ادعاء جبناء المأمل بأنهم هم الواقعيون ، وتعريضهم بذوي الطموح الضخم » ، وحين يقول قولته : « لن يوفر للشرق حتى اقل متطلباته إلا من سينتدبه إلى المتطلبات الكبيرة » .

وبعد ، لنا ان نتساءل اخيراً : لمَ يعتبر المشكلة « مشكلة النخبة في **الشرق** » ؟ وماذا يعني الشرق عنده ؟ وهل ما يقوله ينطبق فعلاً على جميع بلدان الشرق ، ولا ينطبق إلا على بلدان الشرق ؟ وفيمَ الاحجام عن ذكر كلمة « عرب » ؟ أفلا تحمل هذه الكلمة معنى واقعياً حياً ؟ وهل إلى إنكارها او التنكر لها من سبيل ؟ حقاً **إن الصراع الذي يواجه النخبة هو الصراع بين العقل والعاطفة . فهل لهذه النخبـــة ان تتحدى ذواتها وتتحدى رواسبها ، وتنظر إلى الأمور نظرة رائدها العقل والواقع ؟ وهل لها ان تولد ولادة جديدة ؟** إن اعدى اعداء تكوّن النخبة ان تنساق هذه مع غرائزها ، دون ان تحاول ان تجلو هذه الغرائز بنور العقل ومجاهدة النفس .

دمشق **عبد الله عبد الدائم**

النشاط الثقافي في العالم العربي



الادب العربي في البكالوريا اللبنانية

تزداد ، في كل عام ، قوة الضجة التي ترتفع اثر امتحانات البكالوريا اللبنانية، ناعية تدهور المستوى الثقافي ، بعد ان اخذ عدد الناجحين بالتضاؤل عاماً بعد عام ، حتى امسى عددهم ، في الامتحان الاخير، لا يتجاوز مئتين وسبعين طالباً ، من الفين تقدموا للامتحان ، اي بمعدل ثلاثة عشر ونصف بالمئة ، وهي نسبة تثير التساؤل والعجب وتدعو الى المعالجة السريعة .

ومن البديهيات المتوقعة ، إثر كل ضجة ، ان تنسب اوساط الطلاب ومن يدور في فلكهم من ارباب المدارس الخاصة ، فداحة (السقوط) في الامتحانات الى صعوبة الإسئلة تارة ، والى قسوة المصححين تارة اخرى .

غير اننا نستطيع ، بعد ان اتيح لنا الاطلاع على عدد من مسابقات الادب العربي في الفرعين العلمي والادبي ، ان نذهب في تعليل (السقوط) مذاهب اخرى اقرب الى الواقع .

لم تكن الاسئلة معقدة او صعبة ، فالشعر الغنائي عند العرب ، والصدق والكذب في الشعر ، ومميزات الادب الاندلسي ، واجتماع القوة والكآبة في شعر المتنبي ، ومسرحيات شوقي ، كلها موضوعات واضحة ، يطلبها المنهج ، ويقف عندها المدرس وقفات طويلة اثناء التدريس . والواقع اننا لم نسمع واحداً من المدرسين قد اعترض على الاسئلة من حيث صعوبتها وموضوعها . ومع ذلك ، تقرأ اوراق المرشحين للبكالوريا ، فتقع فيها على ما يضحك ويبكي ...

يروعك ، اول ما يروعك ، عجز واضح عن التعبير ، فما يريد ان يقوله الطالب لا تنهض به الالفاظ المتناثرة ، والتراكيب المفككة ، والجمل التي ينقصها كثير من ادوات الوصل لتتماسك وتستقيم .. واذا انت مضطر الى ان تتحزر المعنى تحزراً او ان تقدره تقديراً ...

ولكي يحتال الطالب على هذه العاهة ، فيسترها ما استطاع ، يلجأ الى ذاكرته يستمد منها ما حفظه من مقاطع كاملة لبعض مؤلفي الكتب المدرسية . وحسبنا ان نعلم ان نحواً من نصف عدد المرشحين للبكالوريا الذين كتبوا في موضوع المتنبي ، قد شبهوه « بنسر عتيق اشرف على القمم العالية ، باسطاً جناحيه زهواً وكبرا ، فلاحت له طيور مدوّمة تريد مجاراته ، فانقض عليها كاسراً يصيح بها ، فأوسعها رعباً وذعرا ، فأسفت جوانح للكلاكل ، وراح النسر يخفق بقوادمه وخوافيه ، وقد منع حجاب الشمس عن سائر الاطيار » . وهي جملة دبجها مؤلف مدرسي ، ولم يكن يدري انها ستصبح كليشه جملة يرددها الطالب في كل سؤال يتناول المتنبي .

يتهمون «الآداب» ...

لم تكد اشهر قليلة تنقضي على صدور « الآداب » حتى سجلت نصراً رائعاً عبر عنه هذا الاقبال الشديد من القراء على مطالعتها وترقب موعد صدورها . حتى اذا انقضى عام واحد على ظهورها ، كانت قد احتلت المركز الاول بين الصحف الادبية في العالم العربي ، وخلفت وراءها عدداً من المجلات التي كانت قد مضت على صدورها سنوات وسنوات . ذلك ان « الآداب » اخذت على عاتقها ان تحيي الحركة الادبية بتقديم الوان النتاج الذي يعبر خير تعبير عن واقعنا ، ويتجاوزه الى رسم النزوع المثالي الذي تنشده الامة العربية في محاولتها الانبعاثية الكبرى . وبقدر ما كانت« الآداب » توفق الى اختيار النخبة الواعية من الكتاب، ومعظمهم من الشباب المؤمنين بالقضية العربية ، كانت توفق الى اجتذاب اكبر عدد ممكن من القراء الذين كانوا يبحثون عن ذواتهم في ادب واقعي صادق لم يكونوا يجدونه في المجلات آنذاك .

وكان طبيعياً ان يثير هذا النجاح ، تحرزه هذه المجلة الفتية ، حسد افراد من الناس يؤذيهم ان يتقدم سواهم ويتخلفون هم ، فاذا هم لا ينون يهاجون المجلة ورئيس تحريرها مهاجة تلبست اول الأمر ثوب النقد الزائف، ثم اذا هي تتكشف اخيراً عما في نفوس اصحابها من حطة وقذارة وصغار ... فان هؤلاء الذين يتأكلهم الحسد ، والذين اخفقوا في اصدار مجلات ، حاولت كثيراً ان تقتفي اثر « الآداب » ، او في المشاركة في مجلات لا تلقى الرضى من القراء العرب المخلصين ، إما لنزعاتها الشعوبية السامة ، او لانتفاء رسالة تحملها وتدعو لها – إن هؤلاء الذين لا خلاق لهم ، لم يجدوا آخر الامر إلا ان يتهموا « الآداب » بتهمة اعتادوا ان يلصقوها بكل من يخالفهم في الرأي ، وهي خدمة الاستعمار ...

هذه هي التهمة التي يوجهها هؤلاء الافراد لنا ... ونحن نشعر ان ثمة حملة مركزة لبث هذه التهمة والاعتداء علينا في محاربتنا .. وقد بدأت طلائع هذه المعركة منذ ثلاثة اشهر تقريباً بحملة من الشتم والسباب البذيء الذي ينم عن ان اصحابه لا يحترمون في ذواتهم اخلاق الانسان الخيرة ، ويستخدمون كل وسيلة دنيئة للوصول الى غايتهم التي بها يفثأون حسدهم وضغينتهم .

ونحن على اتم اليقين من ان هذا الذي يطلمون به ، بين حين وآخر ، ليس من شأنه إلا ان يثير الضحك ، بل ويدعو الى الرثاء لهم ، لأنهم ، على ما يبدو ، ما زالوا يؤمنون بانهم يستطيعون ان يخدعوا القارىء العربي الواعي الذي يميز ما يقرأ ويعلم من هم الكتاب والشعراء الذين يخدمون الاستعمار ، ايأ كان مصدره .

إن مما تفخر به « الآداب » ان تسهم في توعية القارىء العربي على قضاياه القومية والاجتماعية والنفسية ، وهي ستمضي في قيادة هذا الجيل من القراء الذين سيكونون نواة للمواطن العربي الصالح الذي لا يعنيه شيء كما تعنيه محاربة هؤلاء الذين لا يؤمنون بالقومية العربية ، ويشككون بقيمة الامة العربية، ثم لا يخجلون من ان يصفوا انفسهم بالطهارة والنبل ، وهما منهم براءا

اما « الآداب » فليست بحاجة الى ان تدافع عن نفسها : ان خطتها ومسلكها وكتّابها (الذين لا يضيرهم انه اندس بينهم في الماضي بعض الخادعين المزيفين) يدافعون عنها بالغاية النبيلة والسير الواعي والانتاج المثمر ، وهي لن تلتفت الى هؤلاء الافراد المضحكين ، لأنها واثقة من ان النصر آخر الامر ، لمن يثبت في الميدان ، وللامة العربية على كل حال .

« الآداب »

النشاط الثقافي في العالم العربي

وعلى هذا النحو تجد مسابقة الادب كشكولاً من اقوال متناثرة يتفاوت فيها الاسلوب ، وتضيع فيها شخصية الطالب .

ورغبة الطالب في القاء محفوظه في ورقة الامتحان ، تدفعه الى ان يتمد شيئاً فشيئاً عن صميم السؤال الموجه اليه ، ولا اتردد في ان اعتبر الخروج عن موضوع السؤال ، السبب الرئيسي في سقوط الطلاب في الادب العربي ، فاذا كان السؤال عن سمة خاصة في شعر المتنبي فسيكون الجواب عرضاً مفصلا لحياة المتنبي منذ ولادته الى وفاته ، مع ذكر اتفه ما مر معه ، دون الافادة من شيء من ذلك في دراسة الموضوع المطلوب . واذا كان السؤال عن مسرحيات شوقي فلا بد ان يفرغ الطالب كل ما عنده من اخبار واقوال عن شوقي دون ان يتعرض لمسرحياته الا قليلاً ...

وبتناسبة الحديث عن شوقي ، لا بد لي من ان اشير الى نزعة خاصة بدت واضحة في الاسئلة الموجهة عن هذا الشاعر ، فقد لاحظت ثلاث مرات على الاقل في سفرات مختلفة ، ان صيغة الاسئلة عن شوقي كانت تحمل دائماً تجريحاً واتهاماً وحطاً من قيمة خالق المسرحية الشعرية في الادب العربي ، ومن هنا يدخل في وهم الطالب ان المطلوب اليه ان يجرد حملة من النقد على شوقي الذي « تنقص شخصيات مسرحياته الابعاد الانسانية » ، والذي « لم يضف الى قيثارة الشعر العربي وتراً جديدا » والذي روى ولم يمثل » ، وتنتهي من قراءة كثير من المسابقات التي تناولت موضوع شوقي ، فاذا بك مع شاعر نزعت منه صفات الشاعرية ، وسمات الانسانية ...!

بل لقد بلغ التطرف ببعض الطلاب انهم لم يقبلوا نص «روى ولم يمثل» المذكور في صلب السؤال ، فرأوا ان شوقي لم يرو ولم يمثل ،لأن من يروي عن التاريخ ينبغي ان تكون روايته صحيحة ، وهذا فضل لم يبلغه شوقي !..

لست من انصار شوقي المتحمسين له ، وهو ليس في حاجة الى ان انصفه من اقلام طلابنا الذين ادموه تشريحاً وتجريحاً ، ولكني اود ان أسأل : على من تقع تبعة هذا التوجيه الغريب فيما يتعلق بشوقي؟ ففي منهاج البكالوريا شخصيات اقل اثراً من شوقي في الحياة الادبية ،مثل المنفلوطي وولي الدين يكن واليازجي وسليمان البستاني ، ومع ذلك يحظى كل من هؤلاء بالتمجيد والاكبار كأنه من كبار المخترعين او من عظماء الفاتحين او من عمالقة الفكر ، حتى اذا دنا الحديث عن شوقي تتابعت الصفعات على ادبه من كل جانب، وممن ؟ من طلاب ما زالوا على عتبة البكالوريا يحفظون ما تعلموه في مدارسهم دون وعي ..

فأما ان يكون شوقي شاعراً جديراً بالدرس ، فيوضع في المنهج، ويعطى حقه من التقدير ، ويبين ما له وما عليه على صعيد النقد العاقل .

واما ان لا يكون جديراً بهذا اللقب ، فينبغي توفيره عن المنهج وتخفيفه عن عبء الطالب .. ولينم الرجل بعد ذلك قرير العين ، بعيداً عن افتراءات توجه اليه في كل امتحان .

ومن الاخطاء التي لا تكاد تخلو منها مسابقة في الادب العربي اخطاء النحو واللغة والاملاء .

ففي النحو ، يكاد اسم (كان) واسم (إن) بعد الجار والمجرور يكونان المزلق الذي لا ينجو منه طالب ، ومن الصعب على هؤلاء ان يقولوا كان لشعر المتنبي جمال ، وإن لشوقي اسلوباً خاصاً ... الخ

اضف الى ذلك مختلف مظاهر الاعراب التي يضيع فيها كثير من الطلاب ، حتى ان بعض الاذكياء منهم احتالوا على النحو فلجأوا الى استعمال الصفات المؤنثة ، ما امكنهم ذلك ، فقالوا شاعرية وبراعة وديباجة وأناقة بدلاً من شعر وجمال واسلوب وسحر ... وتبدو هذه المحاولات واضحة في بعض الكلمات المتتابعة التي وضع القلم عليها خطوطاً ماحية ، واعاد كتابة غيرها من الالفاظ المؤنثة التي لا تخضع قافيتها الى تغيير ، مهما اختلف موضعها الاعرابي .

والاخطاء اللغوية حظ مشترك بين اكثر المرشحين للبكالوريا ، لما يتردد في مسابقاتهم من الفاظ عامية مرة والفاظ اجنبية لا يدرون مقابلها في العربية فيكتبونها بالفرنسية ، وصيغ لا تتعرف اليها العربية ، وكلمات مستعملة في غير ما وضعت له .

اما اخطاء الاملاء فتكثر في كتابة الهمزة ، ولا تخلو بعض الكلمات من خطأ في رسمها .

ومن الغريب ان الطالب لا يكاد يثبت وجوده ويؤكد شخصية إلا في هذه الاخطاء المبثوثة في ورقته ، وتبحث بعد ذلك عن طابع يميزه عن غيره ، ومعالم تجعل له اتجاهاً خاصاً في التحليل ، ورأيا شخصياً في المناقشة ، فلا تعثر لذلك على اثر ، فكلهم ببغاوات يرددون ما خزنته ذاكرتهم لمثل هذا اليوم دون تعديل او تغيير ..

والآن ، من المسؤول عن تدني مستوى طلاب البكالوريا ؟

هل هو المنهاج ? والمنهاج لا يذكر سوى اسماء شعراء وكتاب يطلب دراسة ادبهم ...

ام هو الكتاب المدرسي ? والمدرس لا يكتفي بكتاب واحد ولا يقف

اشتات ادبية

● صدر هذا العدد من « الآداب » قبل ان تعلن نتائج مسابقات جمعية (اهل القلم) في احسن نتاج لعام ١٩٥٣ في الرواية والدراسة والسيرة والمسرحية والشعر . وستتحدث « الآداب » في العدد القادم عن هذه النتائج .

● اتهم الاستاذ عبد الوهاب البياتي مجلة « الآداب » بالعمل في خدمة الاستعمار . وستقيم «الآداب» عليه دعوى قدح وذم لدى المحاكم العراقية. وعلمنا ان الشاعرين الاستاذين بدر السياب وكاظم جواد سيرفعان عليه دعوى مماثلة .

● سيصدر قريباً للاستاذ صدر الدين شرف الدين كتاب بعنوان « حليف مخزوم » يتناول فيه قصة الاسلام من خلال حياة عمار بن ياسر تناولاً يدني القارىء الى اجوائها وينقله الى ظلالها .

● تنوي جريدة (الحياة) البيروتية اصدار عدد اسبوعي صباح كل احد يشترك في تحريره عدد من حملة الاقلام العربية ويعالج قضايا العالم العربي الفكرية والاجتماعية والاقتصادية .

● تنصرف دار العلم للملايين ، خلال فصل الصيف ، الى اخراج مطبوعاتها المدرسية على ان تعود الى قراء كتبها في تشرين القادم ، بنخبة ممتازة من الآثار الادبية ، مترجمة ومؤلفة .

● تعاقد الاستاذ ساطع الحصري رئيس معهد الدراسات العربية العالية مع الاستاذين عبدالله العلايلي ورئيف خوري لإلقاء سلسلة من المحاضرات خلال العام القادم في المعهد المذكور . وسيتناول الاستاذ العلايلي مشكلات المعاجم العربية ، ويتناول الاستاذ رئيف خوري ادب المهجر .

عند نصحه ...

ام هو المدرس ؟ وكثير من المدارس لم تغير اساتذتها الذين كانـوا يقدمون طلاباً ناجحين متفوقين في السنوات الخوالي ...

لعله ، اذن ، الطالب نفسه ، والواقع انه وحده الذي تغير في السنوات الاخيرة ، من بين المنهاج والكتاب والمدرس والمدرسة ...

يبدو لي ان الطالب مسؤول عن هذه الساعات التي يهدرها من حياته ، متسكعاً على ابواب السينما ، ومسؤول عن الايام التي يقضيهـا في امور لا تتعلق بالدرس والمطالعة ... ومسؤول عن سوء تقديره لشهادة البكالوريا ، فهو يريد ان ينالها دون درس واستعداد ، او بدرس يسير واستعداد سريع ، فيخونه التقدير ، ويضيع عليه عام من حياته ... فاذا كان عدد الراسبين في البكالوريا وحدها الفاً وستمائة طالب ، فمعنى ذلك ان الفاً وستمائة عام قد ضاعت على وطننا ، وضاع معها ما في هذه الاعوام من جهود وأموال وانتاج .

إن على رجال التربية في وزارة المعـارف ، وفي المدارس الخاصة ، ايضاح هذه الحقائق للطالب ، ووضعه تجاه تبعاته نحو نفسه وأسرته وامته ، فالزمن لا ينتظر دلالاً او تهاوناً ، ومستقبل وطننا في حاجة ملحة الى شباب واع مثقف . وكل تقصير في إعداد الشباب اعداداً صالحاً ، خيانة وطنية دونها خيانة التجسس ، لأن في هذا التقصير إفساداً لجيل كامـل من ابناء الوطن ...

ولعل هذا الكلام الذي نتحدث فيه عن طلاب لبنان ، ينطبق معظمه على سائر طلاب العالم العربي ، فالداء واحد والمستقبل واحد ، والعدو نفسه هنا وهناك في كل بقعة عربية !

« بهى »

تنظيم النشر في لبنان

واخيراً ادرك الناشرون في لبنان ما يعصف بمهنة النشر من فوضى ، وما يطرأ عليها من دخلاء يشوهون مكانتها ، وما تلقاه من عقبات تتصل بحرية الكتاب وطرق ترويجه ، فألفوا جمعية تضم مختلف دور النشر ، وانتخبوا الاستاذ فؤاد حبيش صاحب دار المكشوف رئيساً ، والاستاذ بهيج عثمان ، احد اصحاب دار العلم للملايين ، اميناً للسر ، والسيد جورج صفير ، صاحب مكتبة صفير ، اميناً للصندوق .

ان على الناشرين مهمة ، تزداد اهمية يوماً عن يوم . فالى جانب مهمتهم في الكتاب المدرسي ، ينبغي ان يكونوا مستعدين للنهوض بتبعاتهم في نشر الكتاب الادبي ، فالحرص على رفع مستوى التأليف ، ودقة الترجمة وأمانتها ، واستبعاد الكتب التي تخدم الاستعمار ، وجعل الكتاب في متناول الجميع ، كل تلك امنيات ندعو الناشرين الى ان يتخذوها اهدافاً لهم حين يسمون الى تنظيم صناعة الكتاب .

ومن الخير ان تنشأ صلات وثيقة بين الناشرين في لبنـان والناشرين في سائر العالم العربي ، لتنظيم النشر وتبادل الكتب وتنسيق الترجمة .

وفي الوقت الذي تدرس فيه جمعية اهل القلم حقوق المؤلفين ، لا بد ان يشترك الناشرون في هذا الدرس ، لتظل العـلاقة بين المؤلف والناشر علاقة فائدة متبادلة ، لاتضيع فيها حقوق واحد منهما من اجل الآخر ، ولا تضيع حقوق القارىء من اجلهما معاً !

ويبقى على اتحاد الناشرين مشكلة السدود التي توضع اليوم في وجـه الكتاب في بعض البلاد العربية كأنه من المواد المخدرة ، والقنابل المخربة . وعليهم ان يكافحوا هذا الستار الحديدي الذي يفرض فرضاً ويقام بين الكتاب والقراء ، وان يتعاونوا مع أرباب القلم لازالته ومحو آثاره .



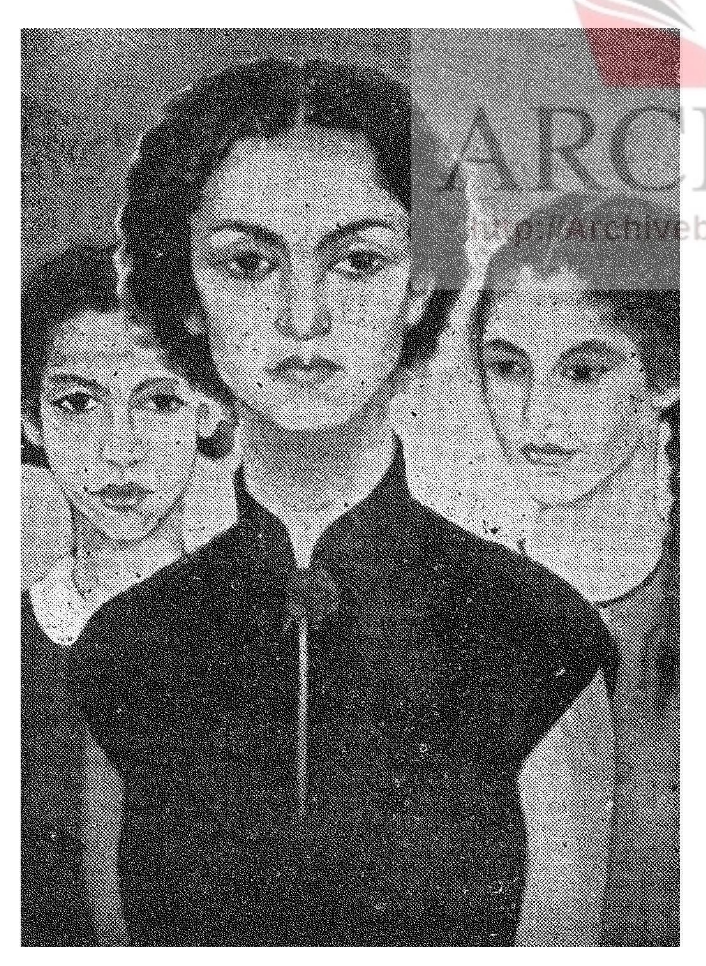
مصر

لمراسل « الآداب » اكرم الميداني

معرض الربيع

شهدت القاهرة في شهري يونيو ويوليو معرضين فنيين ، ولقد زعم بعض النقاد الخبثاء ان منظمي هـذين المعرضين قد اقاموهما في ايام القيظ بالذات ، عن قصد ، فهم يدركون قبل غيرهم ضعف القيمة الفنية الذي لازم ما عرض فيهما من اعمال . ولهذا فهم يتفادون ما قد يثيره هذا الغرض لو اعد في موسمه المعتاد اي في الشتاء .

وانا أكاد ارى ان هذا الزعم فيه الشيء الكثير من الحق ، ولا استثني إلا القليل من صالات القاهرة - وهو ما تحدثت عنه في العدد الماضي - واقل القليل في معرض الربيع .



الأخت الكبيرة — لنبيلة حافظ

النشاط الثقافي في العالم العربي

وعلى هذا فانني لا أجد انني استطيع ان اكتب عن المعرض الاخير - يوليو ١٩٥٤ - كلاماً مجدياً ، اذا وضعنا جانباً اللوحة الشخصية الرائعة التي عرضتها نبيلة حافظ - وهي صورة ذاتية Self Portrait باسم « الأخت الكبيرة » تبدو فيها الاختان الصغيرتان ، صغيرتين في البعد وانكسار نظرة العين وعمق الالوان . واللمسات الاستاذية التي بدت في لوحات نظير خليل والحسين فوزي ومحمد لبيب ، وهم جميعاً قلة قليلة بالنسبة للسبعين فناناً الذين عرضوا في المعرض ٢٤٠ لوحة وتمثالا .

وقد كانت منظم هذه الاعمال محاولات « دراسية » انعدم فيها الاهتمام بالموضوع الحي العميق ، وبذا الاسلوب قلقاً كاسلوب التجارب الفنية .

ولقد كتب احمد بهاء الدين في « روز اليوسف » خلال الشهر الماضي يأخذ على الفنانين الذين عرضوا في صالون القاهرة انهم كانوا يبدأون في اعمالهم من الاسلوب ، وهو كثيراً ما يكون مزاجاً من اساليب غربية . بينا لو بدأوا من الموضوع ، ثم قادهم الموضوع الى الاسلوب الذي يلائمه لكان هذا اقرب الى الصدق في الفن .

ولهذا الرأي قيمته البالغة . فهو يدفع بالفنانين نحو الموضوع على انه القاعدة ثم يجعل الاسلوب مستمداً من روحه ومضمونه ، وعندئذ يصبح تطور العمل الفني منبثقاً من رأس الفنان لا من يده فحسب .

وقد شهدت في معرض الربيع اعمالا لفنان من عارضي صالون القاهرة ، هو صلاح طاهر فاذا بها تقل في فنيتها عما عرض في الصالون ، وقد بدت لوحاته هذه مجرد محاولات في تبني اللون الاحمر واخلاطه دون البحث عن اي موضوع يمكن ان تشير اليه هذه اللوحات وتبين عن تطور بذاته اصابه الفنان بين المعرضين .

لمحات عن كافكا

في حلة سوداء ، كحلة الامير الدانمركي الحائر القلق ، ونفس كافكا الداكنة ، صدرت في القاهرة منذ ايام مجموعة من المقالات باللغات العربية والفرنسية والانجليزية ضمها مجلد واحد بعنوان « لمحات عن كافكا » . وقد شارك في كتابة هذه المقالات : كامل زهيري ومجدي وهبه واحمد ابو زيد وجورج حنين ونيف جيليه وجرالد مسدية و ف.وج همنجز ، وتناولت حياة كافكا وعصره واعماله وعلاقاته ، وعلق مجدي وهبه على رسالة شهيرة بعث بها فرانز كافكا الى ابيه « عرض فيها صورة قاتمة لتلك العلاقة التي يتميز فيها احد الطرفين (الأب) بقوة الشخصية وجبروتها وعنف الخلق ازاء الطرف الثاني (الابن) الضعيف جسما وشخصية على السواء » . وقد ذكر كافكا في هذه الرسالة مخاطباً اباه : « ... وحين كنت اشرع في عمل ما لا يحوز رضاك فتتنبأ بفشله ، كان تقديري لرأيك ونبوءتك من القوة بحيث يصبح ذلك الفشل امراً لا مفر منه عاجلا او آجلا ، حتى انتهى بي الامر الى ان افقد الثقة في نفسي وفي عملي ، واصبحت متردداً لا أقر على رأي ... »

وقد تضمنت هذه المجموعة ايضاً ترجمة لمسرحية كافكا القصيرة « حارس المقبرة » بقلم كامل زهيري .

تاريخ الادب في ايران

في هذا الخضم من الوان الترجمة الذي يهدر في عالمنا الأدبي اليوم ، يتلفت الباحث مفتقداً آثاراً جديرة بالنقل فلا يجدها ، وكثيراً ما يخطر للنقاد ان فوضى الاتجاهات في ادبنا الحالي سببها عدم وجود كتب اساسية في الأدب يهتدي بها الكاتب في التعرف على آداب الاقوام الأخرى ، وعلى هذا فقد كانت وستظل أمنية غالية على المتأدبين ان يجدوا بين ايديهم ، يوماً ، ترجمة صادقة لكتاب جوستاف لانسون عن الادب الفرنسي او كتاب اميل لوجوي ولوي كازاميان عن الأدب الانجليزي ، او كتاب موريس باريخ عن الأدب الروسي ... الخ .

على ان كتاباً كبيراً صدر منذ اسابيع باللغة العربية ما زال يعد حتى اليوم من اهم المراجع في دراسة جانب من جوانب الادب العالمي ، ذلك هو « تاريخ الأدب الفارسي » او « تاريخ الأدب في ايران » للمستشرق الانجليزي الكبير ادوارد جرانفيل براون ، وقد قام بترجمة الكتاب وضبط شواهده ومراجعتها في مظانها في كتب الأدب العربي والفارسي ، الدكتور ابراهيم امين الشواربي استاذ اللغات الشرقية في جامعة هليوبوليس وصاحب اغاني شيراز ، والكتاب يقع في ٧٥٠ ص من القطع الكبير ، وهو الجزء الأول من موسوعة براون الضخمة عن تاريخ الادب في ايران ، وهو يتناول الفترة من الفردوسي الى السعدي .

من تاريخ الشعر العربي

خلال هذه الايام تطوي الآلة الطابعة صحائف كتاب كبير ، سيصدر عند مطلع الشهر القادم ، هو كتاب « تاريخ الشعر العربي » للمستشرق الايطالي الكبير كارلو نالينو ، وهو مجموعة المحاضرات التي القاها الاستاذ في الجامعة المصرية حين كان استاذاً بها ، وحين كان كثير من رجال الفكر الحديث في مصر يطلبون العلم في قاعاتها . وقد حملت هذه المحاضرات التي اوشكت على الصدور مطبوعة ، منهجاً جديداً في الدراسة الادبية لا ينفك الدكتور طه حسين ، تلميذ المستشرق الكبير ، يشير اليه في كل مناسبة .

وسيصدر هذا السفر بمقدمة للدكتور العميد جاء فيها : « ... والذين يقرأون هذا الكتاب الذي اقدمه اليوم الى القراء المتأدبين يحسن بهم ان يقرأوا ما كان يدرس لشبابنا في ذلك الوقت من ادب في معاهدنا ومدارسنا على اختلافها ليقدروا الفرق الهائل بين ما كان الاستاذ نالينو يلقي علينا في الجامعة وبين ما كان يلقى علينا في المعاهد والمدارس ، وأثر هذا الفرق في تطور حياتنا العقلية ، وفي تطور تصورنا للأدب العربي قراءة وفهماً وانتاجاً .

فلأول مرة درس لنا الادب العربي القديم درساً منظماً وألقى في روعنا ان الشعر العربي لا يختلف باختلاف فنونه التقليدية مدحاً ورثاء وهجاء ونسيباً وتشبيباً فحسب وانما يختلف باختلاف موضوعاته التي قيل فيها وظروفه التي احاطت به حين قيل والمؤثرات المختلفة التي أثرت في قائليه وفي سامعيه ايضاً ولأول مرة ألقى في روعنا ما كان للسياسة من آثار دقيقة عميقة في نشأة فنون مختلفة من الشعر العربي في العصر الاسلامي أيام الخلفاء الراشدين وأيام بني امية .

ولأول مرة عرفنا ان من الممكن ان ندرس الادب العربي على اساس من الموازنة بينه وبين الآداب القديمة الكبرى وان الحياة الانسانية تتشابه وتتقارب مهما تختلف ظروفها ومهما يتنوع ما اختلف عليها من خطوب ... »

دكتوراه في اللغة العربية

نوقشت خلال الشهر الماضي في جامعة القاهرة الرسالة المقدمة من الدكتور احسان عباس استاذ الادب العربي في جامعة الخرطوم وكانت عن « نزعة الزهد وأثرها في الادب الاموي » تناول فيها الزهد عند الامم التي اعتنقت

النشاط الثقافي في العالم العربي

المسيحية ثم موقف القرآن والحديث من الحياة الزاهدة ، وفكرة البعث والجنة والنار واثرها في نفسية العرب ، وبحث علاقة هذا كله بمشكلة الخطيئة والانسان وقيمة الجسد ، ثم تناول علاقة الزهد في الادب بالبحث الطويل المستفيض .. وقد استغرقت مناقشة الرسالة اربع ساعات ونصفاً اعلنت اللجنة على اثرها منح المتقدم درجة الدكتوراه بتقدير جيد جداً



لمراسل « الآداب » الخاص

بدأ الجو الادبي والثقافي في بداية هذا الشهر راكداً ، وخلت الصحف او كادت من الاحاديث الادبية ، فقد شغل المجتمع والصحافة بانباء الانتخابات النيابية ، وطغت السياسة على كل شيء ، وساعد على هذا الركود صيف بغداد الملتهب ، الذي يشيع مع اتونه الخمول والكسل .. والحياة الفنية في هذه الفترة تمضي فاترة ثقيلة .. الا انها عادت الى النشاط في نهاية الشهر .. فدعا (نادي البعث العربي) الدكتور محمد عبد الله العربي عميد كلية الحقوق لألقاء محاضرة عامة في حديقة الاتحاد النسائي في الوزيرية بعنوان :

« مقومات القومية العربية »

وهي السلسلة الاخيرة من محاضرات النادي الثقافية لهذا الموسم .. وقد مهد المحاضر بكلمة موجزة عن اصول القومية في الدين الاسلامي ، وعرض الى مقومات القومية بمفهومها الحديث ، وانتهى بتقسيمها الى قسمين : مادي ومعنوي ، فالقسم المادي يضم الموقع الجغرافي ، والثروة الطبيعية ، والكفاية الصناعية ، وعدد السكان ، والاساليب العسكرية والحربية .. والقسم المعنوي ويشتمل على الاخلاق القومية والتي هي الصفات والمميزات التي يتصف بها كل شعب كالوفاء والشجاعة والكرم بالنسبة للشعب العربي ، والصبر والجلد بالنسبة للشعب الروسي ، والروح القومية ومن مظهرها الرأي العام الموحد تجاه الاحداث والكوارث واخيراً الكفاية الادارية الحازمة التي تجمع حولها الرأي العام في مجالات التنظيم الاداري الداخلي وفي السياسة الخارجية . ثم تناول هذه العناصر وطبقها على امكانيات الشعوب العربية وبين مدى ما تتمتع به من غنى قومي كالثروة الطبيعية وعلى رأسها النفط والامكانيات الزراعية والحيوانية وغيرها واشار الى اهمية موقعها الجغرافي قديماً وحديثاً وبين الدور الذي لعبه الاستعمار السافر والمبرقع في توهين هذه القوى والامكانيات ، وفي استغلال مواردها.. واشار الى ضرورة تقوية واستكمال العناصر الضعيفة كالتصنيع وزيادة عدد السكان والاخذ بالاساليب الحربية الحديثة ، واستغلال الموارد الطبيعية استغلالاً علمياً واشاعة العدل بين الناس لخلق رأي عام موحد . وأكد على اهمية الاهتمام بزيادة السكان لما في ذلك من قوة وامتياز للقوميات في المجال الدولي اذا توفرت العناصر الاخرى . كما اشار الى اهمية وضع سياسة تصنيعية منسقة بين الشعوب العربية وزيادة الروابط الاقتصادية والثقافية وبين مدى ما حث عليه الدين الاسلامي من العمل على تقوية هذه العناصر وانتهى من محاضرته الى الدعوة الى الوحدة العربية اتحاداً فيدرالياً تتمتع في ظله كل دولة باستقلالها الداخلي والخارجي وفي شكل نظام الحكم الذي يتمشى مع تطورها التاريخي ومزاج شعبها وحاجته ، على ان تنتظم في وحدة اقتصادية وسياسية وعلى ان تقوم هذه الوحدة على اساس اسلامي في تعاليمه لا في طقوسه ، هذا العنصر الهام الذي اغفله الباحثون على ما له من اهمية وخطر ... اذ لابد للوحدة من مثل اعلى ومقومات روحية تسعى لتحقيقها الشعوب ، وليس هناك اقوى وأجل من هذه التعاليم لتكون اساساً قوياً للوحدة المنشودة .

معرضان فنيان

اقامت كلية التجارة والاقتصاد معرضها السنوي الاول في اواخر الشهر

الماضي وبقي مفتوحاً للجمهور طوال اسبوع.. وضم هذا المعرض سبعاً وتسعين قطعة فنية بين زيتية ومائية وبالوان الباستيل لمواضيع مختلفة ... اجتماعية ومناظر طبيعية ودراسات للازهار وغيرها. وضم الى جانب ذلك مجموعة من اشغال الابرة والخياطة والفصال للابس الاطفال لقسم من طالبات الكلية .. الا ان المعرض كما اخذ عليه الاستاذ عطا صبري كان يعوزه التنظيم في العرض واجتذاب المشاهد، كما اخذ على المعرض خلوه من الصور التخطيطية، والتخطيطات السريعة ذلك العنصر الذي تفتقده المعارض بصورة عامة، على الرغم من اهمية هذا العنصر القوي في الرسم .. وقد عاق على هذا المعرض الاستاذ عطا صبري بمقال نشر في جريدة (صوت الاهالي) جاء فيه « ان بالامكان تقسيم الصور المعروضة الى نوعين، نوع يغلب عليه الطابع التأثري لمدرسي وأساتذة الرسم، ونوع ثان يكاد يستقل بشخصيته كصورة البيت الابيض لأحمد القباني وفي المسبح وأكواخ ودراسة لقاسم علي الحسون، مما يبشر بمستقبل طيب فيما اذا اخذوا المزيد من الدراسة في الرسم والتمرين مع الاحتفاظ بكيانهم الشخصي وبألوانهم وطريقتهم اذ ليس من السهل الاحتفاظ بهذه الشخصية ومدرسو الرسم يفرضون شخصيتهم الفنية بصورة مباشرة او غير مباشرة على الطلاب سواء بوضع فرشاتهم في الصور او بتوجيههم على طريقتهم الخاصة فليس تدريس الرسم بالأمر السهل كما يتصور البعض. »

ومما يلفت النظر في هذا المعرض المجموعة الخاصة بالمائية للرسام (روبي آيار) فصورته المائية المرقمة ٥٣ والمساة بـ (معسكر سكرين) تمثل بعض الخيام وخلفها التلول والجبال والاشجار وألوانها حارة وقوية، وله شخصية خاصة بالمائية تتميز عن زملائه الآخرين فقد استعمل بعض الخطوط السوداء هنا وهناك بشكل ناجح للغاية وكانت صورته الثانية (في الشمال) ناجحة ايضا ولو حاول وضع بعض الاشخاص بمناظره الطبيعية لكانت مملوءة بالحياة والحيوية. ومن الصور الجيدة التي عرضت في هذا المعرض صورة (مزهرية) لعبد القادر العبيدي و (ثناء) لسالم جواد و (طالبة) لثابت الجار.

وأقامت كلية الطب والصيدلة وطب الاسنان معرضاً فنياً في قاعة الكلية .. وضم هذا المعرض مجموعة من الصور الزيتية والمائية والخطية والباستيل لمواضيع طبيعية ورمزية واجتماعية وغيرها وقد كان هذا المعرض في مستوى. اقل من المعرض السابق لكلية التجارة والاقتصاد، ولعل السبب يرجع الى عدم وجود مرشد للرسم، وعدم وجود مرسم في الكلية فلعل عمادة الكلية تتلافى هذا النقص في السنة القادمة. ومن الصور التي تنبيء عن استعداد طيب صورة مستقبل مجهول ومقبرة الازهار لصفوت وغروب لغانم خليل وتصاوير عبد المطلب المائية ..

تشريح المكارثية

ليست الاساليب المكارثية الشاذة في محاربتها للفكر، وازهاقها للثقافة، واغتيالها للضمائر، واعتراضها سبل الحركات التحررية، بعيدة عن الاذهان، لا بل انها منذ بدء الاستعمار الغربي الوجه الديماغوجي المحموم — الذي اتخذ اشكالاً عديدة — الساعي طرق مبدأ الغاية تبرر الواسطة الى ادامة سيطرة الاستعمار وتحصين الرجعية والابقاء على كل وضع راهن يشل عجلة التطور ويعود بالتاريخ الى الوراء.

ولقد كان انتقال هذه الاساليب بعد سقوط الفاشية الى اميركا، واحتضانها من قبل بعض الساسة الامريكيين، ودعوتها بالمكارثية نسبة الى عميدها جو مكارثي، ومساندتها للاستعمار الامريكي، الحدث الذي يستدعي الشرح والابانة والعرض لكافة القراء.

و « تشريح المكارثية » كتيب اصدرته دار الثقافة الجديدة في بغداد لهذا الغرض، وهو يحتوي على قسمين، احدهما يتحدث عن (خطر المكارثية على الثقافة في العراق)، والقسم الآخر عربه ابو نسرين وعنوانه « تشريح المكارثية ». وبخطوط واضحة، يكاد يوجز القسمان ركائز المكارثية واساليبها الجنونية، ونفسيتها، وطرائقها الغريبة في (العمل المعتمد على الكذب والتلفيق والاضطهاد وامتهان الكرامة الانسانية بحجة مقاومة العدو الداخلي والخارجي) — صفحة ب. القسم الاول — و (ان المكارثية بخصائصها المميزة من تعصب وهياج وجنون لا تتصف بها في العادة الا اسفل القبائل الوحشية في سلم التطور الاجتماعي، تريد ان تخرس كل احتجاج وانعقاد وكل معارضة ومحاجة وكل فكرة شعبية ورأي مستقل وكل خلاف سياسي) — ص ٢ القسم الثاني —.

و (تكنيك المكارثية كما يبدو واضحاً من هذا المقال الذي ننشره في هذا الكتيب الصغير الكذب والتلفيق، ووسيلتها الارهاب والظلم وهدر الكرامة الانسانية وتلفيق التهم والتزوير) و(المكارثية ثانياً هي اسلوب الارهاب والمحاكمات المزيفة، اسلوب اغتيال السمعة والكرامة) ص أ القسم الاول، ص٦ القسم الثاني.

ولقد كانت دعوة القسم الاول من الكتيب الى محاربة المكارثية موفقة بحق، لان اساليبها الشاذة المتهسترة لا تخدم الا الرجعية وسيدها الاستعمار.

اشتات

- استأنف الاستاذ محمد مهدي الجواهري اصدار جريدة (الرأي العام) وهي جريدة يومية سياسية يشرف على تحريرها الاستاذ عبدالقادر البراك.
- اصدرت مجلة (المعلم الجديد) عددا خاصا عن موضوع (التعليم المهني في العراق في ١٦٨ صفحة من القطع المتوسط.
- صدر العدد الاول من مجلة (المثقف) لصاحبها الاستاذ عبدالصاحب الملائكة وهي مجلة اسبوعية للثقافة والآداب تصدر مرتين في الشهر مؤقتاً.
- عطلت وزارة الداخلية للمرة الثالثة جريدة العمل لصاحبها الاستاذ عدنان الراوي المحامي. كما عطلت ثلاث صحف اخرى. ولا يسعنا إلا ان نحتج مجددا على خنق حرية القول في العراق.
- صدر كتاب «نظام العراق السياسي» وهو الرسالة التي تقدم بها الدكتور محمد عزيز لنيل (دكتوراه الدولة) من جامعة مونبليه بفرنسا، وقام الدكتور بترجمتها الى العربية وطبعها بمساعدة وزارة المعارف وقد تناول فيها: العراق قبل الاسلام وبعده والحالة في العراق قبل حرب ١٩١٤-١٩١٨ والحركة العربية والمصالح البريطانية في العراق والثورة العربية واتفاق سايكس بيكو واحتلال الانكليز للعراق والانتداب على العراق والمعاهدات والاتفاقات التي تمت بعد ذلك.
- وجهت جامعة كولومبيا الدعوة الى الدكتور عبد العزيز الدوري عميد كلية الآداب والعلوم والاستاذ ممتاز عارف عميد كلية الزراعة للحضور الى نيويورك في نهاية تشرين الاول للمشاركة في احتفالاتها بمناسبة مرور مائتي عام على تأسيسها.
- دخلت الزميلة العراقية (الهاتف) لصاحبها الاستاذ جعفر الخليلي

النشاط الثقافي في العالم العربي

عامها العشرين . وعلى ذلك ، فتكون من اقدم الصحف الادبية العربية التي ما زالت توالي صدورها وتقدم خدمات جلى للادب العربي .

وقد اصدرت الزميلة بهذه المناسبة عدداً ممتازاً في ثلاثين صفحة من الحجم الكبير احتوى طائفة من اجمل الاقاصيص العربية والاجنبية المترجمة ، شارك في كتابتها عدد من كتاب القصة المعروفين في العالم العربي .

فنهنيء الزميلة العراقية الكبرى ونتمنى لها دوام النجاح والتوفيق .

المغرب العربي

القصة العربية في مراكش

استيقظت مراكش بعد الحرب العالميـــة الاولى لتجد نفسها في مؤخرة القافلة ترزح تحت اعبـــاء عوامل شتى تهدف الى محو شخصية مراكش من الوجود . ولتبرير ذلك سلك الاستعمار سياسة التفقير والتجهيل محاولا بذلك ان يتخطى بالبلاد وجودها الحقيقي الخالد الى وجود مزيف ليست له جذور تمتد الى تاريخ قديم .

وتبعت هذه اليقظة السياسية يقظة فكرية قوية تزعمتها طوائف شتى من الشباب الذين تخرجوا في اوربا فعادوا يحملون الى بلادهم اخباراً عن نهضة اوربا ووثبتها الفكرية وتكاثفت جهود هؤلاء مع جهود طلبة كلية القرويين العامرة فلم يلبث المغرب ان عرف الواناً من الفكر لم يعهدها وفنوناً من الأدب كان الشباب المثقف يتطلع اليها باكبار بينا يراها شيوخ الادب دخيلة على تراثهم الفكري ويجب التنكر لها .

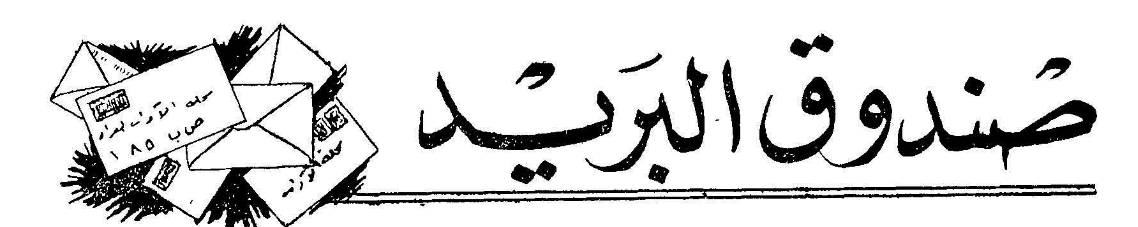
واخذ المغرب يعرف النوادي الادبية والجمعيات الثقافية... ولكن تلك النوادي وهذه الجمعيات التي لم تحاول التكتل داخل منظمة واحدة كانت لكثرتها وتفرق جهودها لا تحدث الا اثراً محدوداً في نهضة كبرى يترقبها المغرب . ولذلك شعرت بعض الشخصيات بحاجة ماسة الى مجلات ادبية تجمع حولها شتات هذه النوادي فكان ان قام المرحوم : (سعيد حجي) بسلا فأصدر جريدة (المغرب) وجعل ضمنها صفحة ادبية (١) تهتم بكل ما جد في دنيا الادب بالمغرب وكان المرحوم حجي عنـــد اصداره جريدة المغرب لايتجاوز الثانية والعشرين من عمره وقد تشبعت روحه بثورة حية على كل الاوضاع المألوفة وبرغبة اكيدة في الاسراع بالسير قدماً نحو نهضة ادبيـــة كبيرة لذلك جعل لجريدته ملحقاً ادبياً كان تسجيلا حافلا للأدب المغربي في تلك الفترة من التاريخ ، وبعـــد ذلك الوقت بقليل اصدر الاستاذ (محمد غازي) مجلة (رسالة المغرب) كما صدرت مجلة (الثقافة) فعرف المغرب بذلك ازدهاراً ادبياً طيباً واكب النهضة القائمة في الشرق فكانت المجلات المغربية تعمل جاهدة لتعرف المغاربة بادب الشرق ونهضته الحديثة فتبارت اقلام الكتاب منتجة وظهرت للوجود مواهب دفينة عالجت كافة الوان الأدب ومن ضمنها القصة .

والحقيقة ان المغاربة لم يكونوا قبل هـــذا التاريخ يعرفون شيئاً اسمه القصة الادبية ، فاذا كان العامة يعرفون القصص الشعبية وقصص الملك سيف وعنترة والف ليلة وليلة الخ ... واوساط المثقفين يعرفون امثال مقامـــات الحريري والهمذاني ويقرأونها على انهـــا قصص فانهم لم يعرفوا القصة ولا الاقصوصة حسب الاطلاق الحديث . وعندما اخذ الاستاذ احمد بناني ينشر في مجلة (رسالة المغرب) امثـــال قصة (الخابية التي لا تمتليء) او قصة (صديقان) كان كثيرون يتهافتون على قراءتها بشغف ويرون فيها لوناً من الادب ينقص نهضتهم .. وتوالت على المجلة رسائل الاعجاب والتشجيع رغم ان امثال هذه القصص لم تكن تحتوي على فكرة فلسفية او تحليل نفسي او تصوير واقعي فمثلا قصة (الخابية التي لا تمتليء) تقع احداثها في مارستان فاس وهي ترمز الى التهكم على احد الكتاب الاجانب اكثر مما تصور الواقع.. اما قصة (صديقان) فهي لون من الوعظ في اسلوب شيق تمثل حياة صديقين لم يعرفا غير الوفاء دينا ؛ اما قصة (حنين الى الماضي) فهي من القصص التي تعد بحق نواة القصة المغربية الكاملة وليس هذا مجال تحليلها .

وفي هذا الوقت بالذات عرف المغرب شيئاً اسمه (المسرح) وذلك على يد المرحوم (المهدي المنيعي) والاستاذ (عبد الواحد الشاوي) اللذين زودا المسرح العربي في المغرب بآثار زادت من اعتناء الناس بالقصة الادبية وكل ما يمت اليها بصلة النسب او القربى .

وكأنما ألهمت خطوات الاستاذ احمد بناني ادباء مغاربة شباناً فدفعتهم الى خوض هذا المضمار فبرز للوجود ادباء مجيدون عالجوا القصة وافتنوا فيهـــا بكافة الوانها من ادبية واجتماعية وانسانية وتاريخية وتزعم هذه الطائفة لمديب مراكش الممتاز الاستاذ (عبد الرحمن الفاسي) وغيره من الادباء .. ففتحت

(١) كانت هناك جرائد اخرى ولكنها لم تعن بشؤون الادب



سرقة أدبية ضخمة ...

قرأت رواية « مرداد » للاستاذ ميخائيل نعيمه ، وقرأت رواية « مسبحة الراهب » للاستاذ يوسف يونس . وهذا ما وجدت :

في مقدمة « مرداد » نرى نعيمه يصعد الى القمـــة ليجد الراهب ، وفي « مسبحة الراهب » نرى المؤلف ينحدر الى الوادي .

نعيمه وضع في الفلك تسعة لا يزيدون ، والناقل عنه أقام في منسك دير قنوبين اثنين لا يزيدان ، ومن زاد فهو خادم ، كما فعل نعيمه .

نعيمه لقي في صعوده الى القمة امرأة عريانة ، وسارقه جعل من امرأة المثال عريانة .

نعيمه اقام صراعاً حول المعرفة بين شمادم ومرداد ، وكذلك اقام صراعاً حول المعرفة بين بطل روايته ونائب دير قزحيا .

نعيمه تسلم الكتاب من الراهب شمادم ، على ان يعيده ، وذاك تسلمه من ناسك وادي قنوبين على ان يعيده ،

شمادم بات تمثالا من حجر ، ورواية الناقل تدور كلها على تمثال من حجر وقد خلت من الواقع ...

ولماذا تراني امضي في تعداد وجوه السرقة ؟

ان « مسبحة الراهب » مسخ « مرداد » ، ونقلته حرفاً حرفاً إلا في بعض فصول الرواية البعيدة عن الحقيقة ، كأن يغري المثال امرأته امام فتى غريب ، وأن يربطها بتمثالها المحطم ، وان يسافر طوبيا الى الجنوب ليحب فتاة تعشقه ثم تحبل من سواه . ويفر الى دير قزحيا ويصبح رئيسه لتأتي اليه امرأة الرسام مجنونة ، ولكن بعد عشر سنوات ، ثم تشفى حالاً وتموت حالاً كما في الأساطير .

والأسخف مجيء ابنة الجنوب بعد عشرات السنين لتموت في الغابة . وكم هناك من متناقضات فنية تستغرق صفحات كثيرة إذا احببت ان اقصها . وحسب القارىء ان يطالع مثلي « مرداد » ليدرك ان « المونة » على نعيمه المسكين بلغت حدها البعيد :

طوبيا الذي ورث ديوان ابيه وخيراته هو في فصل الدائن والمديون في مرداد.

حب طوبيا لامرأة الرسام في المسبحة هو حب زمورا الحجلة في مرداد .

المجلات الادبية صفحاتها مرحبة بهذا اللون الجديد من الادب مما ساعد على ازدهاره ؛ وهكذا ظهر قصاصون كاد النسيان يكتب حولهم سطوره فنشر مثلا الاستاذ (قاسم الزهيري) قصصاً كقصة (هيهات !..) (١) وغيرها بينما نشر الاستاذ (عبد الرحمن الفاسي) قصصاً حية كقصة (الكاهنة) وهي قصة تصور حياة بطلة مغربية بربرية عاشت في المغرب قبل دخول الاسلام اليه وقصة (عمي بوشناق) (٢) وهي صورة من صميم المجتمع المغربي ومثلها (في هدوء الشارع) . واكبر ميزات هذا القاص المغربي صدقه الفني ومقدرته على التصوير ثم احتفاظه بديباجة رشيقة وقدرة على التحوير ... وان المغرب الذي ينظر الى المستقبل بعيون مليئة بالأمل ليطالب هذا الاديب بالخروج عن وحدته .

هذه الوثبة التي وثبتها القصة العربية على يد هؤلاء والتشجيع الذي لاقوه من القراء حفز ادباء آخرين الى معالجة القصة او ترجمتها وتزعم هذه الطائفة الثانية الاستاذ (عبد المجيد ابن جلون) فكتب قصصـــاً برهنت عن مقدرة طيبة وهو الاديب المغربي الاول الذي كتب القصة الطويلة وتعتبر قصة حياته التي كتبها تحت عنوان : (في الطفولة) نوعاً من الادب الانساني وأروع قصصه نشرها في مجلة (رسالة المغرب) من سنة ١٩٤٩ الى سنة ١٩٥٣ ، كقصة (موكب الحياة) و (خلف قضبان الحديد) و (الحج الى بيت الله الحرام) الخ وهي قصص تمتاز بسمو افكارها وبراعة تصويرها كما تمتاز بتوفر شروط القصة الجريئة فيها . ولم يفته الاستاذ ابن جلون رغم بعد الشقة بينه وبين بلاده (٣) ان يترجم لابناء وطنه روائع من ادب الغرب كانت بمثابة تغذية منتجة للذوق القصصي في المغرب وهكذا قرأ على يديه من يجهلون اللغات الاجنبية امثال قصة (الغربة الحمراء) لويلز وقصة (داخل الكوخ) لواندا واسيلاوسكا وقصة (علبة الموسيقى) لواتشي ميلكاير وغيرها مـــن القصص الرائعة التي كانت ضرورية لفترة من فترات النضج الادبي في المغرب .

ومن الذين قاموا للكفاح بجانب الاستاذ ابن جلون يوجد كثيرون امثال الاستاذ (عبد العزيز بن عبد الله) الذي كتب قصصاً تاريخية اشهرها قصة (غادة اصيلا) وهي مطبوعة ومعروضة للبيع في المكتبات المغربية ويمتاز الاستاذ بن عبد الله بجزالة الاسلوب تلك الجزالة التي لا يريد التحرر منها حتى حين اجراء الحوار ومع ذلك فعباراته رشيقة وقصصه ممتعة ؛ وقل مثل هذا في قصص الاستاذ (عبد الله ابراهيم) وهي كثيرة اشهرها (خادمتي) وكذلك الاستاذ (عبد الكريم غلاب) في عدة قصص منهـــا (الراهبة) والاستاذ (عبد الكريم ابن ثابت) في (فاكهة الشتاء) و (ابو خليل) .

وبعد ، فهذه نظرة عابرة موجزة عن تاريخ النهضة القصصية في المغرب ، نظرة مجملة لم اعبر فيهـــا الى التدقيق والتفصيل لأن ذلك يتطلب وقتاً طويلا وصفحات كثيرة .

على ان اطراءنا للقصاصين المغاربة لا يمنعنا من توجيه بعض ملاحظاتنا لهم . فنحن نجتاز مرحلة من أشق مراحل تاريخنا والقصة في ميادين الكفاح يد لا تنكر فقد استخدمتها كافة الشعوب المغلوبة على امرها وسيلة لتربية روح التضحية والكفاح في الشعب ، روح الايمان والثبات على المبـــادىء وايضاً تصوير واقعهم المر بآلامه ودموعه . واستطيع ان اقول انه لا توجد بلاد في العالم بحـــاجة الى من يصور بؤسها وشقاءها كمراكش الحزينة بلد الفقر المدقع والغنى المفرط ، بلد يعانق فيه الكوخ الحقير و (البراكة) الخشبية اقدام العمارات الضخمة . بلد يجمع بين التليفيزيون ومحراث آدم !!

ادريس جلون
فاس — مراكش

(١) السنة الاولى من رسالة المغرب ١٩٤٣ .

(٢) الثريا السنة الثالثة ١٩٤٦ .

(٣) يقيم الاستاذ عبد المجيد ابن جلون في بيت المغرب بالقاهرة

آدم وحواء في المسبحة ورأي المثال فيها ، هما آدم وحواء في مرداد .
عيد النهر لتدشين جسر الباشا في المسبحة ، هو عيد الخمرة في مرداد .
الخطبة عن الفلك في مرداد هي خطبة المثال عن تماثيله .
حبس المثال في المسبحة هو حبس مرداد .
لغة المسبحة مأخوذة عن مرداد . معاني المسبحة معاني مرداد لا غش فيها .
فما لمؤلف المسبحة إلا ان يقول : انا نعيمه والسلام .

بيروت **الدكتور سليم مخفوظ**

★

حول « نشيد الارض » (*)

بدأت القصة اسطورة وخرافة ، وانتهت فلذة من الواقع والحياة . فالقصة في الادب الحديث اليوم ، تمثل نموذجاً انسانياً معيناً ، خلال حادثة واحدة ، او سلسلة من الوقائع والاحداث .

ولم تعد القصة عرضاً لحوادث هوجاء ، كما كانت في التراث الرومانتيكي ، المأسوف عليه ، وإنما اصبحت - كما يقول (البروفسور هوايتهيد) - تتضمن شكلاً معيناً ، لان الحياة هي مبدعة الاشكال . وكل شكل من اشكال الواقع ، انما ينبغي ان يتوافر فيه عنصران هما عنصر (الصراع) ، وعنصر (التعقيد) . فالصراع هو محاولة اية شخصية من الشخصيات - في الواقع ، او القصة - التغلب على صعوبة ، او معضلة سواء اكانت في العالم الخارجي ، ام في عالم الباطن والوجدان . ومثال ذلك قصة (الراهب الاسود) لانطوان تشيكوف ، او الصراع النفساني الخفي بين (دارسي) و (اليزابث) ، والذي انتهى بزواجها ، في قصة (جين اوستن) الكبرى (كبرياء وتعصب) . وأما عنصر التعقيد ، فهو الظروف التي تقف بوجه البطل من ان يحقق اهداف صراعه ، ومثال ذلك الظروف التي تحيط بابطال قصص (ستيفن زفايغ) بوجه العموم ، والتي تنتهي بتحطيمهم وانهيارهم في معظم الاحيان .

هذان العنصران يشيعان في كل شكل من اشكال الواقع ، بل هما جزء لا يتجزأ من الشكل ، وبالتالي من الحياة . فاذا نقل احد الكتاب شكلاً واقعيا ، فانما يستتبع ذلك إبرازاً لهذين العنصرين الجوهريين من عناصر الواقع وهما اللذان يسبغان على الواقع - والقصة ايضاً - معقولية الحدث ، واستبعاد المحال ، فلا يمكن لبطل من ابطال الواقع ، او القصة ، ان ينهار او ان ينتصر ، دون توافر نمط معين من التعقيد الذي يقدم لنا سلسلة من الظروف المانعة التي يتهاوى امامها البطل ، او ينتصر عليها .

ومجموعة السيد عبد الملك نوري (نشيد الأرض) اقاصيص نرى فيها محاولة لانتقاء (الاشكال) بصراعها وتعقيدها ، من المجتمع العراقي ، ولكن القاريء يلمس فيها اول ما يلمس اضطراباً في عرض هذه الاشكال وتصويرها وغرابتها عن الجو المحلي ، منشؤه ان هذا الكاتب لم يبحث عن هذه النماذج و (الاشكال) في الحياة ، وإنما مضى يبحث عنها فيما كتب الآخرون .

والفنان الحق ، هو الذي يستطيع ان يعرض لنا شخصياته بصراعها ، وبالظروف المعقدة التي تحيط بها ، فيكمل بذلك ملامح كل شخصية ، وقسماتها الوجدانية او النفسية . وقد يكون الفنان ممن يقدم لنا شخصية ذات جانب واحد لا غير ، فيجتزىء بأقل الأحداث تعقيداً في رسم شخوصه . ويسمي النقاد هذا النمط من الشخصيات ذات الجانب الواحد (شخصيات منبسطة) Flat Characters ، وأمثال ذلك ، شخصيات ثاكري وديكنز وتولستوي . وقد يكون الفنان ممن يعنى برسم الشخصيات المعقدة ، المصطرعة الوجدان ، ذات الجوانب العديدة الكثار ، فيضطر بذلك ان ينتقي أغرب الحوادث وأشدها عسراً واضطراباً ، ليلقي الضوء على اغوار تلك الشخصيات التي يدعوها النقاد (شخصيات مستديرة) Round Characters ، حيث يمعن النظر الى جوانبها كلها ، دون تقليبها بين يديك . ومثال ذلك ، شخصيات دستويفسكي وتوماس هاردي .

وقد آثر السيد عبد الملك نوري ، في معظم ما كتب ، ان يصور لنا (شخصيات مستديرة) غريبة مضطرمة مشبوبة النفس . ولكنه استل هذه النماذج مما ابدع الآخرون ، ومن هنا تهافته في منطقية التطور النفساني لمعظم ابطاله . فبطل قصته الاولى (نشيد الارض) هو نفسه بطل قصة دستويفسكي الرائعة (حلم رجل هزأة) (راجع ترجمة على أدهم لها في مجموعة فبراتا او الهارب من الخطيئة .)

فدستويفسكي كتب قصته هذه على لسان المتكلم ، وبلهجة خطابية مع الآخرين ، وكذلك فعل صاحب (نشيد الأرض) . والبطل في القصتين نموذج واحد تكرر على يد السيد عبد الملك مع التشويه الذي فرضه المدى بين عبقريه سامقة و (إنسان سوي) يدب على الأرض ! والبطل في (نشيد الارض) يقول : (هل من اللياقة ان أضحي هزأة في اعينكم ابنا غدوت؟...) والبطل في (حلم الرجل الهزأة) يقول : (ادركت ادراكاً أدق وأوفى أنني هزأة ...) ومن هنا اضطراب هذه الشخصية القلقة في قصة دستويفسكي

(*) (نشيد الارض) مجموعة قصص لعبد الملك نوري– من منشورات (الثقافة الجديدة)– بغداد

والتي سطا عليها صاحب (نشيد الارض) الذي نواجهه اليوم بدم (الآدب) ونشهد الناس عليه .

فالرجل الهزأة عند دستويفسكي، قد احس بأنه ضحكة الناس ، وأن هذا الاحساس هو مصدر شقائه الرهيب . وأنه قد بدأ يستشعر بأن (ليس هناك شيء موجود ...) ثم (نبذ الغضب من الناس) وبدأ يشفق عليهم وعلى ضحكهم وزرايتهم به . وكذلك بطل (نشيد الارض) ، احس بأنه (هزأة)، بالرغم من ان (ليس فيه ما يضحك كثيراً ...) ، وهذه هي عقدة قلقه واضطرابه وفزعه من الناس وإشفاقه عليهم . وقد فقد بذلك العالم الخارجي معناه ! وكذلك قد طرأ عليه نفس ذلك التغيير الذي طرأ على (الرجل الهزأة) !

و (الرجل الهزأة) عند دستويفسكي (يلحظ في إحدى هذه الرقاع نجمة ...) ثم تعاوده الرؤيا ، فيرى النجمة مرة اخرى في حلمه ، ومن ثم يحلم بعالم (يهيج الاشراق) هو (بهاء انتصار عظيم مقدس ...) وكان ذلك العالم مشرقاً سعيداً فواحاً كله مرح وسرور . وقد جاء اهل ذلك العالم وأحاطوه وقبلوه . وكذلك بطل (نشيد الارض) يحلم بعالم آخر — بعد ان رأى في رقعة السماء القمر المضيء — ، وقد وجد في ذلك العالم (كل ما افتقده من حنان عظيم ...) وكان ذلك العالم ، كعالم الهزأة تماماً ، عالماً يسبح بالسعادة والخضرة والبياض !

وقد حاول (الهزأة) عند دستويفسكي ان ينتحر لولا تلك الطفلة التي بعثت في كيانه الأمل ، وصرفته عن الموت ، وكذلك بطل (نشيد الارض) يحاول ان يهشم وجهه امام المرآة ، لولا (خديجة) صاحبة البيت، التي دخلت عليه ، فردته عن فعلته .

وأما الغرفة التي يسكنها (البطلان) فهي ذات الغرفة بكرسيها البالي ، وبأكداس الكتب المبعثرة ، وبالفقر البادي عليها .. حتى الغرفة لم يستطع صاحب (نشيد الارض) ان يستأجر لبطله اخرى على حسابه الخاص !

والنهاية واحدة ، اعني ان التطور الوجداني عند الرجلين واحد مضبوط بالميل والمدماك ، حب وايمان بالمستقبل والانسان .. حب واشفاق حتى على الضاحكين الساخرين !

هذه هي قصة (نشيد الارض) في هذه المجموعة التي قذف بها السيد عبد الملك نوري وجه الادب العربي ، وهي حصيلة عشر سنين من جهده الطويل ، مرت على شرقنا العربي ، بشدها وجذبها ، وكوابيسها واحلامها ، فكانت احفل الفترات .

اما الاقاصيص الست الاخرى في هذه المجموعة ، فلم يستطع السيد عبد الملك ان يقدم لنا في واحدة منها ، نموذجاً عراقياً حياً واضح القسمات . والعلة في ذلك — مرة اخرى — انه يستوحي كل ما يقرأ ، وليست له من طاقة على استيعاب التجربة المباشرة ، التي لا يمكن ان تتوافر في ذات الفنان إلا عن طريق الوعي العميق لمدركات العصر وتجاريبه . وعن طريق هذا الوعي العميق يستطيع الفنان ان يلتمس جوهر شخصيته ، وان يعبر عنها تعبيراً تتميز به خصائص فنه وسماته ، وان يلتقط (اشكال) الحياة من الواقع

ومعظم شخصيات هذه المجموعة ، شخصيات باهتة ، لا تكاد تبين لك من وراء اسلوب الكاتب الذي تحس بجماله وإشراقه اول الأمر ، ثم ينتابك الضجر من رتابته وتكراره . ومع ذلك فأسلوب هذا الكاتب ، اسلوب له خصائصه الطيبة ، وفيه من عناصر الشعر الشيء الكثير اما مثال الشخصية المنسرة الباهتة، في هذه المجموعة، فهي شخصية بطل اقصوصة « غثيان » (*) التي حاول ان يحقق فيها لوناً محلياً فأخفق ، والسبب في ذلك ، انها شخصية (معرّقة) هي الاخرى ، مستوحاة من الكتب لا من الحياة ... اشكال منقولة لا غير !

بغداد — **محي الدين اسماعيل**

★

ردود خاصة

● الى السيد حسني عايش يوسف (دار المعلمين ، عمان) : ان قصتك المترجمة (عيون) هي التي سبق للدكتور سهيل ادريس ان ترجمها بعنوان (عينا ليلى) ونشرت في المجموعة القصصية المترجمة التي صدرت اخيراً بعنوان (عشر قصص عالمية) . فنعتذر عن نشرها .

● الى الاستاذ محمود فتحي المحروق (الموصل ، العراق) : كان المقرر ان تنشر قصيدتك (الذكرى) المترجمة عن لامارتين في «الآداب» الى ان رأيناها منشورة في إحدى الزميلات العراقية ...

● الى (لمياء المطوقة) : تعتذر « الآداب » عن نشر اي شيء باسم مستعار ، وتتمنى على الآنسة (لمياء المطوقة) التي تنبض كتاباتها بالثورة والوعي ، وإن كانت تحتاج الى تركيز ، ان تتدرع بالجرأة وتقدم على كشف اسمها الصريح ، فتتحمل بذلك مسؤوليتها في الادب والحياة .

(*) لعل لنا عودة الى المقارنة بين هذه الاقصوصة وبين الفصل الذي نشرته مجلة (بارتزان رفيو) الامريكية في عدد شتاء ١٩٤٦ من (غثيان) لسارتر بعنوان (تحت شجرة الكستناء) كما قد اشار الاستاذ كاظم جواد الى مصدر قصة السيد عبدالملك (صديقتان) في عدد الآداب الخامس لسنة ١٩٥٤ .